كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر
تقدم
المسيحية
في
جوهرها
تأليف : جون ستوت
تعريب : نجيب غالى

كنيسة المراك بالظاهر

تقدم

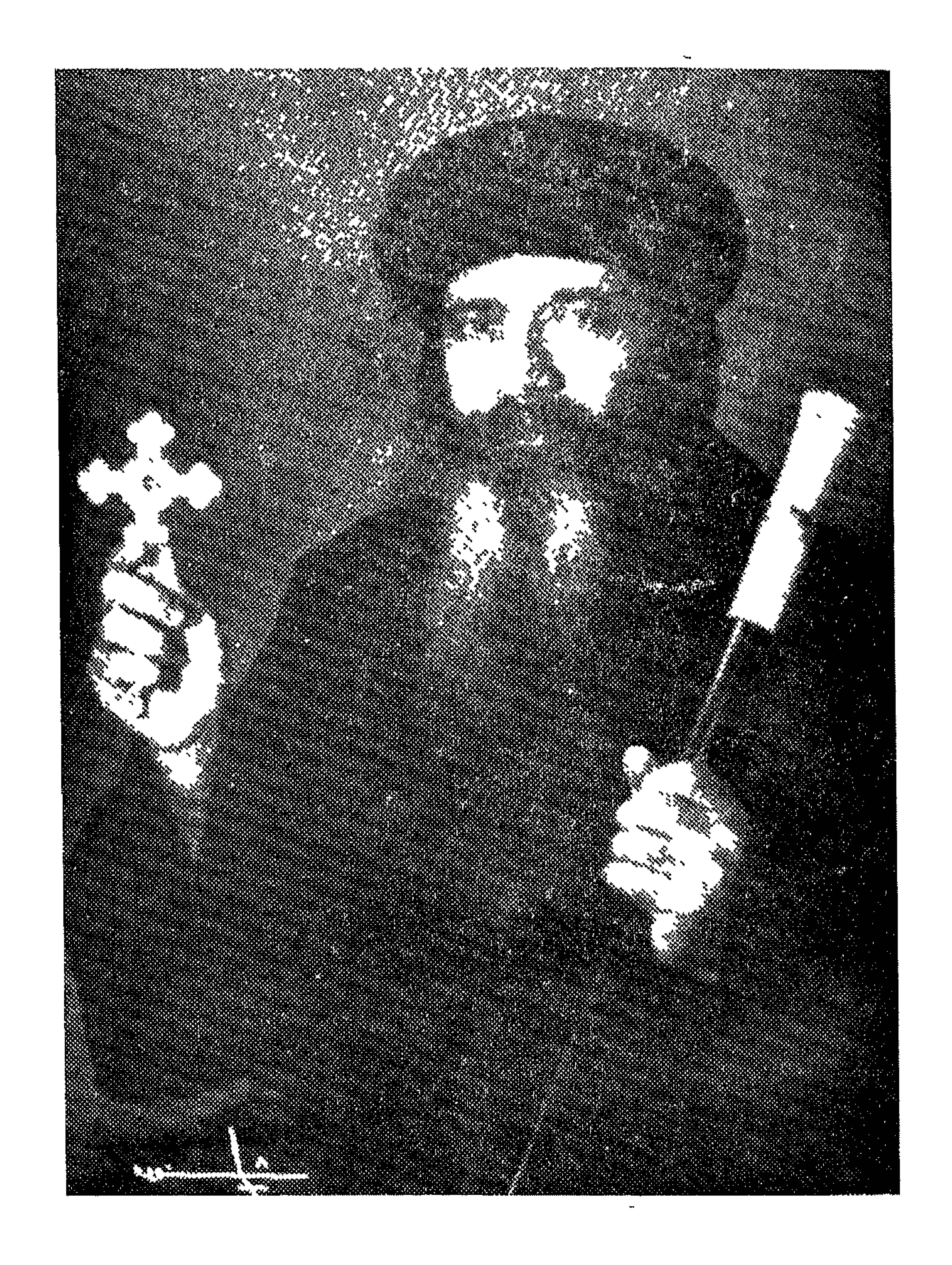
المسيحية في جوهرها

تاليف جون ستوت*

تعريب الاستاذ نجيب غالى

دار يوسف كمال للطباعة

ت : ٨٢٣٥٧٨



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية

تقـديم لجنة التأليف والترجمة والنشر لكتاب :

المسـيحية فى جـوهرها

كم هى كثيرة هـذه الشكوك التى تنتاب المؤمن فتحاربه ؟ ! ٠٠ انها قد تأتيه من الداخل ، وقد تفد عليه من الخارج ، وقد تهاجمه من الداخل والخارج فى وقت معا ٠ وقد يستطيع المؤمن صدها حينا ، وقد يضعف أمامها فلا يستطيع لهـا صـدا أحيانا ، ولكن يا ويله ان هو استسلم لهـا بكامله ، لأنها حرية حينئذ بأن تجرفه الى حيث لا يهوى ، بل تهوى به الى حيث لا يدرى ! ٠٠

لذلك كان المؤمن محتاجا ـ تمـام الاحتياج ـ الى أن يدرس المسيحية التى ولد فيها دراسة واعية ، وأن يعرف من هو الرب يسوع الذى اليه ينتسب معرفة حقيقية ، أما الطريق الى هذه المعرفة وتلك الدراسة فمعبد أمام المؤمن ان هو التمسه بصـدق وفى سلامة قصـد ٠ ذلك أن المسيحية لا تلغى الفـكر والعقل ، ولا تتنكر لطلب المعرفة والفهم ، ولا تصد عن السؤال لاستجلاء غامض وللتوضيح مبهم دق فهمه على الأذهان ٠

والكتاب الذى بين يديك أيها القـارىء العزيز يسلم جدلا بوجود الانسان الشـاك المسـتريب ٠ ومن ثم فهـو يحـاول أن يرقى به فى تدرج سـلس من حضيض الشك الى وضوح الرؤية وانبلاج الحق ٠ ففى الكتاب اجابات مقنعة عن مثل هذه الأسـئلة :

- **ما هو جوهر المسـيحية ؟**
- **وما هى الأصـول والعقائد التى تفردت بهـا وتميزت على سـائر الديانات ؟**
- **وهل نستطيع أن نسمى أنفسنا مسيحيين لمجرد ايماننا بهذه العقائد والأصول أم أنها تقتضينا سـلوكا معينا هو ثمرة من ثمـار الايمان بهـا ، وسمة من السـمات التى تمـيز المسـيحيين عن غيرهم من النـاس ؟ ! ٠٠**

واذن ، فهذا الكتاب يحتاج كل مسيحى أن يقرأه ليثبت ايمانه ، وليقيس عليه سلوكه ، وليقدمه لأبنائه ، وليعلمه لمن أضحوا نهبا للشك أو باتوا ضحايا للتردد والسلبية ! ••

لهؤلاء ولأولئك نقدم هذا الكتاب ونطلب من الله أن يكون سبب بركة لكل من يقرأه •• ونبتهل الى الله أن ينزع منا كل شك أو تردد ، وأن يثبت فينا كل ما هو صالح للايمان والبنيان ••

بشفاعة العذراء القديسة مريم ورئيس الملائكة الجليل ميخائيل وببركة وصلوات قداسة البابا **شنودة الثالث** أدام الله حياته ••

وليعوض الرب الأستاذ **نجيب غالى** الذى تعب كثيرا فى التعريب والكتابة وليعوض أيضا كل من له تعب فى النشر والمراجعة والتوزيع ؟

١ اكتوبر ١٩٧٨

٣١ بابة ١٦٩٥

لجنة التأليف والترجمة والنشر
بكنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر

كلمــة المعــرب

بلغ كتابنا هــذا من الشهرة مبلغــا أدى الى طبعه ـ حــتى عام ٦٨ ـ اثنتى عشرة طبعة ، والى ترجمته ـ حتى ذلك الوقت ـ الى ثلاث عشرة لغــة ، كانت اللغة العربية من بينها ٠

ولـمـا كانت الطبعة العربية قد صدرت خارج مصر ، ومن ثم صارت بعيدة عن متناول القراء ، فقد حدا ذلك بنا الى تقديمه لهم (ولا سيما لهــذا الشباب المثقف المشرئب للمعرفة) فى هذه الترجمة الجديدة ٠

وبعد ، فالكتاب جدير منــا حقــا بهــذا الاهتمام ٠ فهو لا يخاطب فقط العاطفة والوجدان ، وانمــا يتعداهما الى الحديث الى العقل والجنان ٠ واذ هو يتحدث الىأولئك الذين عرفوا المسيحية كأصدقاء فلم يسبروا عمقها كأصفياء ، بل قبلوها ، وسلموا بها ، لأنهم هكذا وجدوها فعايشوها ! ! ٠٠ فهو يتحدث بالأكثر ـ وعن طريق المحاجة والاقناع ـ الى أولئك المجادلين المتشككين ، الذين ما تفتأ تراود عقولهم تساؤلات فى شأن بعض حقائق المسيحية ، لعلهم اذ يتحاجون ويتجادلون ، أن يصلوا الى أغوارها ، وأن يتغلغلوا الى أعماقها، فيستقر لهم معها قرار ، ومن ثم يكوناعتناقهم لها مؤسسا على صخرة اليقين٠

ولــكن ثمة ملحوظة يريد المعرب أن يلفت اليها عناية القراء : وهى أن الأسلوب الذىاختاره المؤلف للاقناع ، على طول وعرضالكتاب ، هو ألا يفرض على القارىء رأيه ، وانمــا يتدرج به ، فى حذر وتحفظ ، وخطوة فخطوة ، حتى يقتنع القــارىء بالمرأى من ذاته ٠٠

وقــد يتكلف الكاتب ، فى هــذا الســبيل حدا يبــدو معه أمام القارىء كما لو كان شاكا مستريبا ، هو نفسه ، بل وقد يبالغ فى هذا أحيانا ويشتط ، ليعبر بالقارىء من مرحلة الشك ، الى مرتبة اليقين ! ٠٠ على أنى فى تعريبى له لم أر أن أجاريه فى هذه النبرة العالية من الشك ، فطامنت منها ، وخفضت من غلوها ، مخافة أن يعمق الشك فينعكس جحودا ، فى نفس تكون مهيأة للشك ، مستعدة للجحود ! ! ٠

للسطحيين من هؤلاء ، والمتعمقين من أولئك ، عربت هذا الكتاب ، موضحا لهم بأنهم ليسوا أمام ترجمة حرفية ، فغاية جهدى أن أنقل اليهم ما قصد اليه المؤلف من معان وأفكار ، وان أجسد لهم هذه الأفكار والمعانى ، فى عبارات تشيع فيها ، وتشع منها ، روح الكاتب ، دون ما التزام بايراد كل كلمة للكاتب أو عبارة ، بحرفيتها وعلى علاتها ٠

ومسألة أخرى أود أن انبه اليها . لقد كان المؤلف يكتفى ، للتدليل على وجهة نظره ، بالاستشهاد بآية أو بعض آية ، قانعا منها بالعبارة التى تلقى الضوء على الرأى الذى يذهب اليه ، فى حين انى اعتبرتها فرصة مواتية ، يقلب فيها القارىء كتابه المقدس ، فيتعرف اليه أكثر فأكثر ، ويوثق الرابطة بينه وبين آياته ، عاقدا صداقة معها ٠٠٠ فيحفظ منها أكبر قدر يحتمله المقام ، ويتجاوب ايجابيا وروح الكتاب ٠

وسيجد القارىء ـ الى جانب هذه الآيات والنصوص ـ انى قد اقتبست له فقرات من قداسات الكنيسة القبطية كلما وجدتها مسايرة لعبارات المؤلف ٠٠٠ ولما تفيض به من روحانية سامية عجيبة جاء التعبير عنها فى عبارات هى قمم حيث الحلاوة فى المعنى ، والجمال فى الأسلوب والمبنى ٠

وبعد ، فانى أدعو الله لمقتنى الكتاب ، أن يجد فيه ، متعة نفس ، وغذاء روح ودستور عمل ، لمجد الله ؟

نجيب غالى

مقـدمة المؤلف

ما أكثر أولئـك الذين يقفون من المسـيحية ، فى أيامنا هـذه ، موقف الأصدقاء ، يلزمون أنفسهم بمعايشتها ، دون أن يلتزموا التيقن من حقيقتها ! ألعل هؤلاء يخشون على المسيحية ألا تصمد أمام الأضواء التى يسلطها العقل عليها ؟ ألعلهم قد نشئوا على قبولها ، حتى اذا ما تعرضوا لتحديات أو جدل بشأنها ، آثروا نبذها ، دون ثبات لمناقشة حقائقها ؟ !

لمثـل هؤلاء ، وللباحثين عن الحقيقة والمنطلقات العملية لهـا ، كتبت هذا الكتاب ، ليعطى صورة صحيحة لمسيحيتنا فى لبها وجوهرها ، وليقـدم الحقائق الأساسية التى تعتبر أحجارا للزاوية فيها ٠

وكانت نقطة البـدء فى بحثنا ، هى شخصية المسيح التاريخية ، التى تدور ــ كما سجلها التاريخ ــ حول انسان ولد ، ونمـا ، وعمل ــ قاسى ، وعانى وتألم ٠٠٠ ثم مات أخيرا كما يموت البشر ! ٠

ومن هنـا ينشأ السؤال ٠ أيكون المسيح ، الى جانب ما تقدم ، الهـا ؟ أو أن ألوهيته زعم يحتاج الى اثبات ؟ هل يكون « نجار الناصرة » هو ابن الله الوحيد ؟ فان كان فعلا كذلك ، فما هو برهان المسيحية عليه ؟

والسؤال ، كما ترى ، جوهرى ٠ وتقضى الأمانة أن نقف عنده وقفة ٠ لأنه على الاجابة عنه يتوقف كل شيء ! ذلك أن يسوع ، لو لم يكن ــ جدلا ــ « الله ظهر فى الجسد » ، لمـا كانت هناك مسيحية ، ولانهارت من أساسها ، ولفقدت أجل ما يميزها عما عداها ، ولغدت مجرد سلسلة من الأفكار اللامعة البراقة ، ومجموعة من أنماط السلوك الرفيع وحسب ! ٠

ولكننا نبادر فنقول ، بان الدليل على لاهوت المسيح قائم موجود ، وواقع تاريخى ، يستطيع كل انسان أن يقتنع به ، طالمـا كان حسن النية ، نزيه القصد والطوية ، وذلك دون أن نـكلفه المغـامرة بالغـــاء عقـله ، أو تعطيل قدراته الذهنيـة !

● فهنـاك ـ أولا ـ شهادات المسـيح عن نفسـه ، وما نسبه لذاته من صفات وامتيازات ، جاهر بها ، فكانت هذه المجاهرة غاية فى الوضوح والقوة ، والجـلاء والسـخاء ٠

● وهناك ـ ثانيا ـ الحيـاة التى عاشها ، والسجايا التى عرف بها ، وأنماط السلوك التى اصطنعها ، والتى ما كان له فيها ند أو شبيه ٠

والحق ، فان العـالم بأسره ليتملـكه الاعجاب بشخص يسـوع الذى اجتمعت فيه ، وتلاقت عنده : الصلابة واللين ، والبر والحنان ، والحدب على المستضعفين ، والعطف على المنبوذين ٠٠ ويتوج كل هذا ايثار عجيب ، وانكار للذات فريد ٠

ثم ، لنتأمل ذلك الموت القاسى الذى ذاق ، ونسأل : أكانت فيه نهايته ؟ مطلقـا ! فقد قام من الأموات ، وقيامته فوق الشك والظنون ، لأن الأدلة على القيامة لا تقبل الدحض والانكار (١) ٠

فاذا نحن بها سلمنا ٠ أفلا نكون بالتالى قد سلمنا بكل الجوهر الذى فى المسيحية ، واللباب ؟ ! ٠

كلا ٠ فالى الاقتناع بلاهوت المسيح ، ينبغى أن نتعرف الى « عمـله » حتى نصل الى جواب عن هذا السؤال : « لمـاذا جاء المسيح الى العالم » ؟

أما « الكتاب المقدس » (٢) فقد زودنا بالاجابة حين أوضـح أن المسيح جاء الى العـالم لخلاص الخطاة ٠ « فالناصرى » هو مبعوث السماء ورسولها الينـا نحن الخـطاة ، ولا آخر سـواه ٠ لأنه هو وحـده من نحتـاج ليطهرنا من خطايانا التى فصلتنا عن الله ٠ وما لم يتم لنـا « الخلاص » منها ، فلن تعود الينـا تلك الشركة التى كانت لنـا معه قبل التردى فى الاثم والخطية !

ومن هنا يكون « للخلاص » بعد جديد ، ومعنى أوسع يتمثل فى التجرد من الأنانية ، والحيـاة فى ملء قامة تلك المثـل الرفيعة التى رسمت لنـا ، فتصير محبتنا للعدو كما للصديق ، وتصبح بركتنا للاعنين كما للمباركين ، ويغدو احساننا لمبغضينا كما للمحسنين ، وتصير صلاتنا ومغفرتنا من أجل المذنبين الينـا والمسيئين !

---

(١) انظر الفصل الرابع ٠

(٢) سنكتفى ممـا يلى بكلمة « الكتاب » تعبيرا عن « الكتاب المقدس » وهل يوجد بعده من كتاب ، وهو كتاب الكتب ، وكلمة الله ؟

ولنعد الى ما كنا بصدده من استفسارات ، فنسأل : هل يكون جوهر المسيحية هو الايمان بأن يسوع المسيح هو ابن الله الذى جاء لخلاص العالم ؟ لا ٠٠ ولا هذا يكفى فالى جانب الاقتناع والايمان ، فاننا مطالبون بالسلوك العملى ٠٠ فهو وحده الذى يعنى أننا قد طورنا من عقائدنا فأحلناها سلوكا ، وترجمنا المبـادىء السامية النبيلة الى عمل ٠

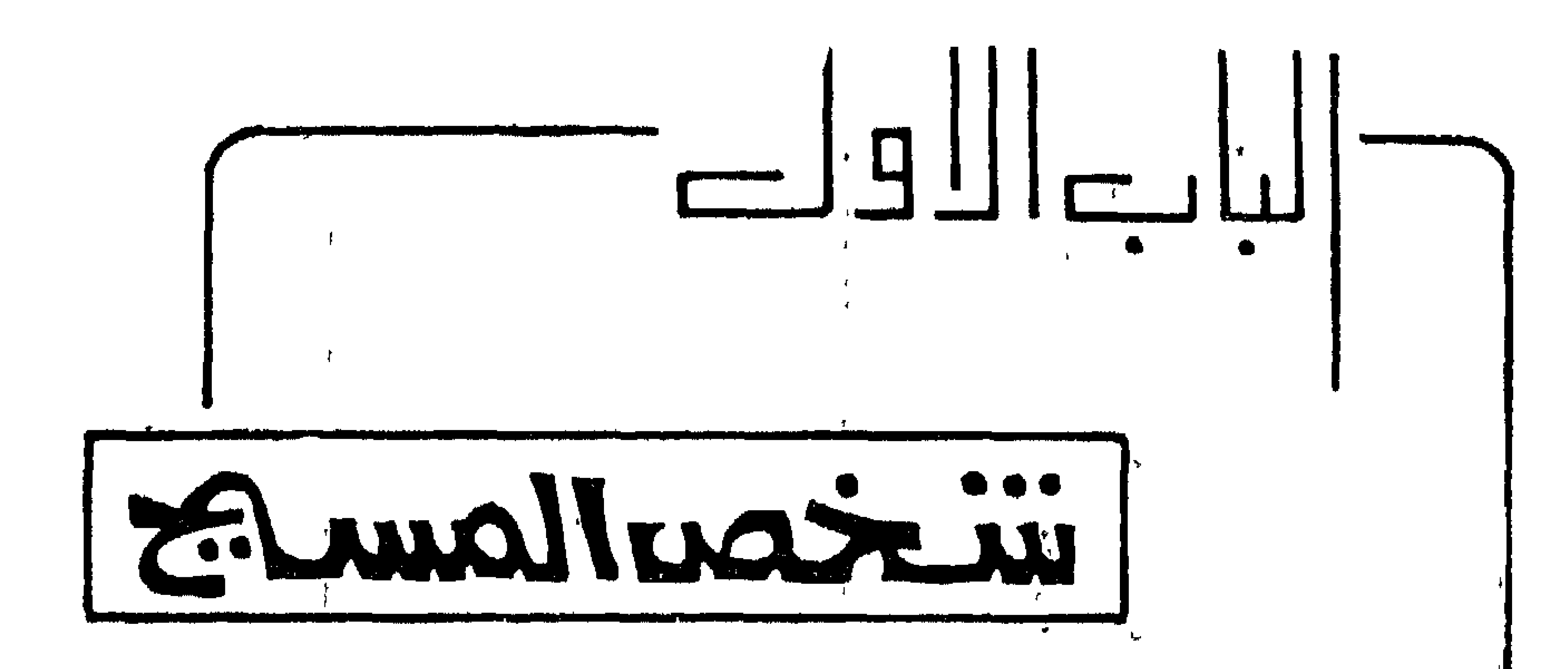
وما سبيلنا الى هـذا ؟ ان السبيل اليه ، هو أن نسلم قلوبنا وعقولنا ، أرواحنا ومهجنا ، ارادتنا وأفكارنا ، أشخاصنا وبيوتنا ٠٠ وأن نسلمها جميعا بالكامل ، وفى اتضاع تام ، ودون ما تحفظ ، للرب يسوع السيد والمخلص ٠٠ حتى اذا ما تم لنـا هذا ، لم يبق لنـا الا أن نشمر عن سواعدنا ،لنضطلع بمسئولياتنا كأعضاء عاملين مثمرين فى الكنيسة والمجتمع ٠

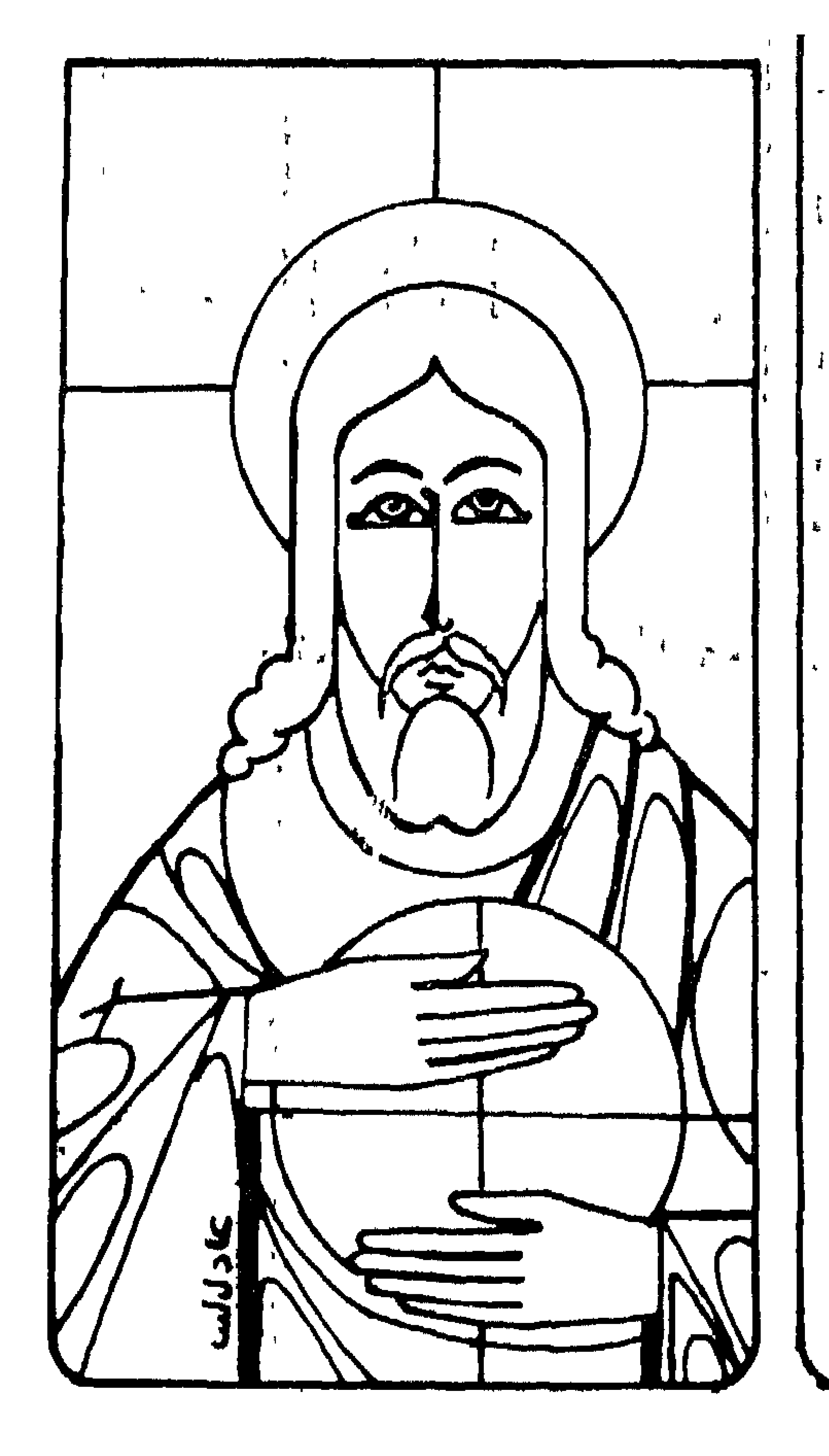
هذا هو جوهر مسيحيتنا ، والمحور الذى تدور حوله أبحاث هذا الكتاب ٠

اننـا ان أردنا أن نرى الله ، فلنره فى شخص المسيح يسوع ٠٠

على أننا يجب أن نثق من أننا سنراه لأنه هو يبحث عنا ، وبدوره يريد أن يرانا حتى يتم لنـا التلامس معه واللقيـا واياه ؟

جـون سـتوت



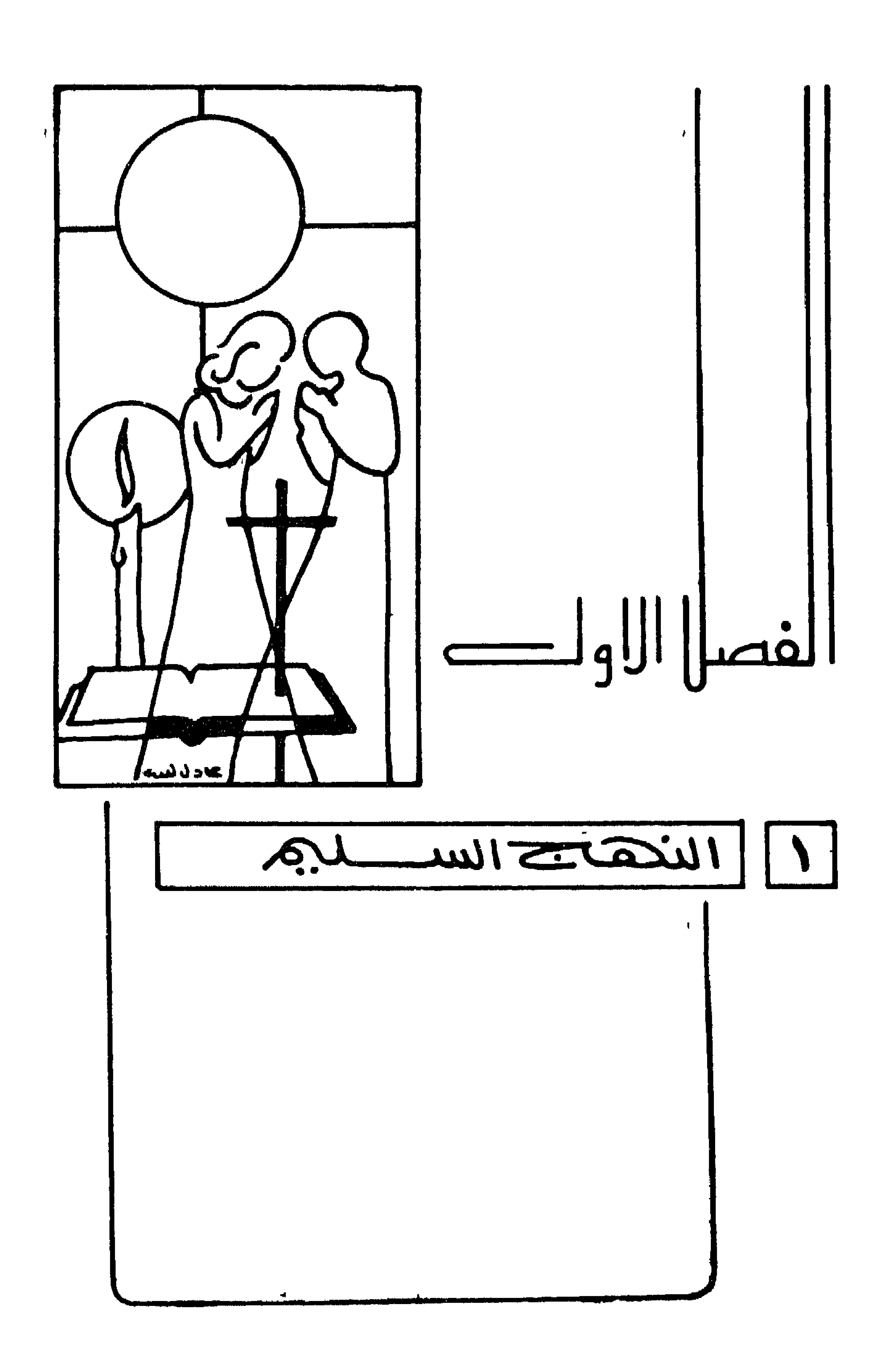


١ المنهج السليم.

٢ شهادة المسيح عن نفسه.

٣ السمات الخلقية للمسيح وسجاياه.

٤ قيامة المسيح.



الفصل الأول

١ النهج السليم

الفصل الأول

النهـج السـليم

« فى البدء خلق الله ··· » · بهـذه الكلمات الأربع كانت المقدمة التى استهل بها « الكتاب المقدس » سفر التكوين ، وقصة الخليقة · أما عندنا فهى أكثر من مقدمة · انها أيضا مفتاح يفتح لنـا مغاليق « الكتاب » ، ويكفل لنـا فهما مستنيرا له ، ويتيح لنـا أن ندرك أن رسالة « الكتاب » الينـا ، وفى مركز الصدارة منها ، ان الله هو الألف ، وفيه البدء ، ومنه المبادرة · ذلك أن الله ، فيما يصوره « الكتاب » لا يمكن أن يفاجأ ، أو يؤخذ على غرة ، اذ منه فى ذاته تكون البداية ، وعنه تصدر الحركة الأولى· فالله كائن قبل كل وجود ، وموجود فى كل آن ومكان ، وفاعل لمـا يريد · وقبل أن يحرك الانسان قدما فى سبيل البحث عن الله ، نجـد أن الله هو الذى يفتش عن الانسـان · هكذا يصوره « الـكتاب » فى أكثر من مكان ، واذ نحن قد لا نجد فيه صـورة لذلك الانسان الممسك ابدا ، والمتشبث دائما ، والى آخر المدى ، بالله ··· واذا بالصور تتوالى ، لترينـا الله مادا يده للانسـان ، ولا يكف اطلاقا عن أن يمـد هـذه اليـد لخليقته ·

ان البعض ليتصور الله وقد استوى ، فى عظمة وجلال ، على عرش رفيع الذرى ··· ناء ومتعال ، ومن ثم فهو فوق شكاوى النـاس ، وهيهات أن يأبه لهـا ، ثم هو لا يبالى بحاجات البشر ولا يستمع اليها ··· مالم يرتفع الصراخ منهم والنحيب حتى يقلق راحته ، فان أعارهم أذنا صاغية ، فانمـا ليخلص ممـا أقلقه · وعندئذ يعن له أن يزيل ما كانوا منه يشتكون ! !

وهـذه نظرة ابعد ما تكون عن الحقيقة ، واقرب ماتكون الى التجديف ·

والواقع يختلف اشد ما يكون الاختلاف عن كل هذا · فالانسان وهو بعد يعمه فى الضلالة ، ويتخبط فى دياجير الظلام ، ويغوص فى غمار الخطية ·· الانسان وهو بعد فى هذا ، وحتى قبل أن يفكر فى الالتجاء الى الله ، نرى أن

الله ـ وهكذا يصوره الكتاب ـ يأخذ بزمام المبادأة ، فينهض عن عرشه ، ويخلى ذاته من مجده ، ويأخذ فى التفتيش عن الانسان حتى يجده ٠

هكذا يتمثل الله لنا دائما فى « الكتاب » ، وهكذا لنا يتراءى ٠

● فقد كانت له المبادأة فى خلق الكون ، وكل ما فيه ٠ فمنذ البدء « خلق الله السموات والأرض » (تك ١ : ١) ٠

● وكانت له المبادأة فى الاعلان عن طبيعته ، وعن قصده ، فيما اتصل بخليقته التى صنعتها يداه ٠٠٠ فيحدثنا بولس الرسول فى رسالته الى العبرانيين ان « الله بعد أن كلم الآباء بالأنبياء قديما ، بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » (١ . ١ ، ٢) ٠

● وكانت له المبادأة للخلاص فى شخص ابنه الذى به عتق البشر من خطاياهم ، كما كتب لوقا البشير : « مبارك الرب اله اسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه » (١ : ٦٨) ٠

وهكذا تتلخص بشارة الكتاب وكرازته فى صور ثلاث . وهى جميعا تصور الله وقد أخذ بزمام البدء والمبادرة :

فالله قد خلق ،

والله قد تكلم ،

والله قد عمل ،

ويعنينا أن نتصدى ، فى كتابنا هذا ، للحقيقتين الثانية والثالثة : انه قد **تكلم** ، وانه قد **عمل** ، لأنهما الحقيقتان اللتان ترتبطان بالمسيح والمسيحية ، برباط أشد وأوثق مما عداهما ٠

فالله اذ تكلم فان كلمته الأولى والأخيرة هى المسيح ٠

والله اذ عمل ، فان أنبل ، وأكرم ، وأسمى أعماله كان الفداء المقدم لنا فى المسيح ٠

وهكذا يكون الله قد تكلم وعمل فى شخص المسيح . تكلم فقال شيئا ، وعمل فصنع شيئا ٠ وهذه هى طبيعة المسيحية ، وهذه هى سمتها البارزة ! فهى قط لم تكن مجرد أقوال تقوية ، أو مبادىء دينية أو نصوص أدبية ٠٠٠ وانما هى البشارة بالأخبار السارة ، أو كما وضح ذلك بولس الرسول لأهل روما : « بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو رسولا ، والمفرز لانجيل الله ،

الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه ، الذى صار من نسل داود من جهة الجسد ، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة ، بالقيامة من الأموات · يسوع المسيح ربنا » (١ : ١ ـ ٤) ·

فالمسيحية اذن ، ليست دعوة موجهة لانسان كى يعمل شيئا ، وانمـا هى ـ وفى المقـام الأول ـ اعلان عمـا عمله الله فى المسيح من أجلنـا نحن البشر ·

+ + +

الله قــد تــكلم

الانسان محب للاستطلاع بطبعه · يشغله البحث فيما وراء الأشياء ، ويشغفه استكناه المجهول · وهو فى شوق أبدا الى المعرفة ، ونهم لا يزول · بل قل ان رحلة حياته برمتها استطلاع لا يكاد يخبو أو ينتهى ، وطلب معرفة لا يهدأ أو يستكين ··· وانه ليظل يتحرى ، ويسأل ، ويبحث ، ويستكشف ·· وتتقدم به السنون واذا به دائب على السؤال وكأنه لم يشب عن طبيعة الطفل التى تدفعه فى دأب ، ولهفة ، والحاف ، لأن يسأل : لماذا هــذا ؟ ولماذا ذاك ؟·· حتى اذا ما عن له أن يسأل عن الله ، لفه غموض ، وغشيه ظلام ، وتهاوى صريع تخبط ، وضحية ما هام فيه من أوهام ! وهل فى هذا من عجب ؟ وانى المحدود أن يسبر ما ليس بالمحــدود ؟ وكيف للفــانى أن يدرك الأزلى غير الفــانى ؟ وكيف للدانى أن يطاول البعيد المتنائى ؟ من هنا كان قصور ادراكنا عن أن يجتاز الهوة أو المفازة بين الاثنين · وها أيوب يكاد يصرخ وهو يسأل نفسه مستنكرا . « أالى عمق الله تصل ، أم الى نهاية القدير تنتهى ؟ ! » ·

ولكن الله لم يرد للانسان أن يظل هكذا عاجزا عن المعرفة يسأل ــ كما سـأل بيـلاطس ــ « ما هو الحق » (يو ١٨ : ٣٨) دون أن يتريث أو يتلبث لسماع الجواب عن سؤاله ، أو يؤمل فى أن يجـد هـذا الجواب ·· وكأن قصاراه أن يستمر متعبدا (لأن التعبـد فى فطرته) وكأنما هو أمام : « مذبح مكتوب عليه الاله المجهول » ! (أ ع ١٧ : ٢٣) ·

أما الله ، فقد أخذ المبـادأة ليعلن للانسان عن نفســه ، ويكشف له عن ذاته ، ومن أجل هذا الكشف ، أنطق الطبيعة بداءة ، وجعل لهـا لسانا يخبر ويحدث ، أبلغ ما يكون الحديث والخبر « فالسموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) · ومن ثم صارت للنــاس معرفة الله ظاهرة ،

لأن الله اظهرها لهم · لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العـالم ، مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته ، حتى أنهم بلا عذر » (رو ١ : ١٩ ، ٢٠)

ولما كان هذا الاعلان العـام عن وجود الله ، وعن قدرته الأزلية ، وعن مجده الأقدس لا يعد فى ذاته كافيا ليتيح للانسـان أن يعرف خالقـه معرفة شخصية تؤهله للشركة معه (لا سيما وخطيته تحول دون الشركة بينهما) فمن ثم أصبح الانسان فى حاجة الى اعلان عملى يكشف عن قداسـة الله وعن بره ، وفى الوقت ذاته ، يكشف عن محبة الله ، وعن قدرته على أن يخلص من الاثم، ويطهر من الخطيـة ·

فالله ، والحالة هـذه ، سر أن يعلن عن ذاته على وجه فائق للطبيعة··· أولا عن طريق كوكبة من أنبياء العهد القديم ··· ، ثم اخيرا سر **بالأكثر أن يعلن عن ذاته فى شخص وعمل ابنه يسـوع المسـيح** ، الذى كانت فيه أيضـا مسرته ·

ثم جاء تعبير « الكتاب » عن هذا الاعلان بأن الله « تكلم » ! ·

ولما كان الانسان لا يستطيع أن يعرف ما يجول بخاطر انسان آخر ، وأن يتعرف الى معدن عقله ، وأسلوب تفكيره ، ما لم يبادله الحديث ليسمعه حين يتكلم ، فقد شاءت محبة الله أن يكشف عن فكره غير المحدود لأفـكارنا المحدودة ، وأن يلبس افكاره التى تعلو « كما علت السموات عن الأرض » عن افكارنا ، ثوب الكلمة ··· من اجل هذا كانت كلمة الله الى أنبياء كثيرين ··· حتى اذا ما جاء اخـيرا ملء الزمان ، « صـار الكلمة جسـدا وحل بيننا » (يو ١ : ١٤) ·· وهذا ما كتبه بولس الرسـول فى رسـالته الأولى الى أهل كورنثوس : « لأنه اذ كان العـالم فى حـكمة الله لم يعرف الله بالحـكمة ، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » (١ : ٢١) ·

فالانسان لا يستطيع أن يعرف الله من خلال حكمته البشرية وانمـا من خلال كلمة الله الذاتيـة ·

لهـذا يستطيع المسيحى أن يصـمد ، فى قوة وجسـارة ، أمام أولئـك اللاارادين والنقادين للخرافات ، فيقول لهم ما قاله بولس فى أريوس باغوس للأثينين [« لأنى بينما كنت أجتاز ، وانظر الى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه لاله مجهول ، فالذى تتقونه ، وأنتم تجهلونه ، هذا أنا أنادى لكم به ».(١ ع ١٧ : ٢٢ ، ٢٣) ·

وهـذا هو وجه الخصومة بين العـلم والدين : ومرجع هذه الخصومة الى أن المعرفة القائمة على العلم قوامها الملاحظة والتجربة ومدركات الحواس· وأما القضايا الدينية ، وما فوق الطبيعة ، وما يتصل بالله ··· فالمعلومات ــ ان وجدت ــ لا تغنى شيئا · فهل ترانا نستطيع أن نلمس الله ، أو أن نسمعه ونراه ؟ ··· اذن **فقد شاءت ارادة الله ، وفى الوقت الذى اختاره بذاته ، أن « يتكلم »** ، **وأن يلبس جسـدا يلمس ويرى** · الذى رأينـاه بعيـوننا · الذى شاهدناه ولمسته أيدينا ··· (هـذا) الذى رأيناه وسمعناه ، نخبركم به ، لكى يكون لكم أيضا شركة معنا · وأما شركتنا نحن ، فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١ يو ١ : ١ ــ ٣) ·

+ + +

الله قــد عمــل

لا تقتصر أخبــار مسيحيتنا الســارة على الاعــلان عن أن الله « تــكلم » بل انها لتؤكد انه أيضا قد « عمل » ·

وكانت المبادأة من جانب الله بهاتين الوسيلتين ، منبثقة عن ، وبسبب من حاجتنا نحن البشر · فالى جانب جهلنا ، وحاجتنا لأن نعلم ، فنحن خطاة ، وفى حاجـة لأن نتبرر · فـان كان اعلان الله لذاته يبدد جهلنـا ، فانه سيظل اعلانا ناقصا ما لم يقترن بعمل الله لخلاصنا من دنس خطايانا ·

لهـذا بادر الله ، منذ القديم ، فخطط لأن يقتنى له شعبا ، ويكون لنفسه خاصة · وتحقيقا لهـذا استدعى ابراهيم من (أور) ليجعل منـه هو ونسله أمة ، فخلصهم من عبودية المصريين ، وأقام معهم ، (من فوق جبل سيناء) عهدا ·· وقادهم فى القفر ميمما بهم أرض الموعد · ثم فى دأب ، وصبر ، أخذ يعلمهم ، ويهذبهم ، ويرشدهم ، ويوجههم ··· أو ليسوا شعبه الذى اصطفى ، وخاصته التى اختــار ؟ ! ·

وكان كل هذا ــ فى الواقع ــ بمثابة التمهيد لعمله الأكبر والأجل · وهو عمل الفداء بالمسيح · ذلك أن حاجة البشر لم تكن الى مخلص من العبودية فى مصر ، أو من الأسر فى بابل ··· بقدر ما كانت الى مخلص من أسر الخطية ورقها · وهذا هو ما أتى المسيح أصلا لأجله · وقد دعى اسمه يسوع « لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) ، وقـد جاء الى العالم ، ليخلص

الخطاة الذين أولهم أنا » (لو ١٩ : ١) ، ذلك أن مثله مثل راعى الخراف الأمين ، اذ أنه « يذهب لأجل الضال حتى يجده » (لو ١٥ : ٣ ــ ٧) ٠

واذن فليس كالمسيحية دين خلاص ! فهى من هذه الناحية ليس لها من ند ، أو ترب ، أو نظير ! فهى رسالة اله محب للخطاة ، والشاردين ، والضالين ٠٠ هكذا كان حبه ٠ حتى أنه جاء ليفتش عن هؤلاء ، وليسعى وراءهم ، وليبذل ذاته من أجلهم ، وليحمل صليب العار عنهم ، ثم يموت من دونهم ! ٠

وماذا كانت استجابة البشر ؟ ٠

أجل ! ماذا كان موقف الانسان من هذا الحب العظيم ، وتلك العناية العجيبة ، وازاء ما « تكلم » به الله « وعمل » ؟ ٠

أما أقوال وأعمال الله « فالكتاب » من ألفه الى يائه ، حافل أيما حفل بها ٠ ولكنها ستظل مجرد أقوال وأفعال وحسب ٠٠٠ ما لم ننشط من جانبنا لعمل ايجابى ٠٠ فنخرج بها من الماضى ، لنصيرها ملء خبرة الحاضر ، وأن ندخل بها فى نسيج حياتنا ، بكل حاضرها ومستقبلها ٠

والآن ، واذ تكلم الله ، فهل أصغينا لكلماته ؟ وهل أفدنا ، اذ عمل الله ، من عمله؟ ٠

أما ما يجب علينا عمله ، فقد أوضحناه فى الصفحات التالية من هذا الكتاب ٠٠ أما الآن فحسبنا أن نشير الى مسألة تتبوأ مركز الصدارة من كل ما عداها وليس من مندوحة عن أن نقفمنها موقفا ايجابيا : أولم يسبق الله فحسب ــ بل مازاليبحث ــ عنا ؟ فهل فتشنا نحن بدورنا عنه ؟ ان « الرب من السماء يشرف على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله ؟ » (مز ١٤ : ٢) ٠

ان من أجمل وعود المسيح وأبعثها على الاطمئنان ، وأكثرها ادخالا للسكينة علىالنفس، وعده : «اطلبوا تجدوا » ؟ أو ليس معنى ذلك ، وبالضرورة أننا سوف لا نجد ما نريده ما لم نطلبه ؟ ! ٠

ففى مثل الراعى ، نراه وقد « ذهب لأجل الخروف الضال حتى وجده » ! وفى مثل الدرهم المفقود ، نرى المرأة وقد « فتشت باجتهاد حتى وجدته » ؟ ٠
ان الله ذاته مستعد للبحث عنا حتى يجدنا ٠ فما بالنا نقنع بما هو دونذلك ، اذا ما تعلق الأمر بنا ؟ ! ٠ ان الله لا يطرح قط درره أمام الخنازير٠

انه يطرحها أمامنا فلماذا لا نسعى نحن اليها ؟ ٠

أما الله ، فانه يطلب الينـا ، وفى جدية ، أن نطلبه ٠ بل أنه ليحب لمن يطلبه أن يكون طلبـه اياه ، والتماسه له ، فى الحـاح ولجاجة دائبين ، وفى اهتمام وحماس ملتهبين وفى اتضاع وطاعة كاملين ٠

● **فأولا علينـا أن نطلبه باهتمام :**

لأنه مما يتنافى وكرامة الله أن نكون ، اذ نطلبه ، فاترين ! فان أردنا أن نكرم الرب ، تحـتم أن نطلبه باهتمام ، وفى حرارة وغـيرة ، ودون ما تراخ أو فتور ٠ بل ان مسرة الله لتكون فيمن يطلبه من كل القلب ، والفكر ، والقدرة ٠

ولعلنـا أن نسأل : لمـاذا نحن نبذل غاية الجهد لنحظى بالثروة ، أو الجاه أو الشهرة ٠٠ ونقدم على كل تضحية لقـاء عرض زائل ومجد باطل ؟ ثم نحن ، للأسف ، لا نطلب ، وعلى نفس المستوى ، الحكمة التى لن نجدها الا عندالله وحده ؟ وها سليمان ينادى : « ان دعوت المعرفة ، ورفعت صوتك الى الفهم ٠٠ ان طلبتها كالفضة ، وبحثت عنها كالكنوز ، فحينئذ تفهم مخافة الرب ، وتجد معرفة الله » (امثال ٢ : ٣ الى ٥) ٠

ان الكسل مكرهة للرب ٠ والله قط لا يعطف على الكسالى والمتراخين ٠ ذلك أنه « بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه ٠ لأنه يجب أن الذى يأتى الى الله ، يؤمن بأنه موجود ، وأنه يجازى الذين يطلبونه » (عب ١١ : ٦) ٠

● **وثانيا ، علينا أن نطلبه فى اتضاع :**

ذلك أن التراخى كما يعد من المعوقات لمن طلب الله ، فكذلك تعد الكبرياء ٠ فمن واجبنا ، اذن ، أن نعترف فى اتضاع بأن عقولنـا محـدودة ، وأنها ليس لهـا ، من ذاتها ، أن تميط اللثام عن حقائق الروح ٠٠ فلكى ما تصل الى هذا ، عليها أن تعتمد على اعلانات الله عن ذاته ٠

وليس المقصود من هذا ، بداهة ، أن يلغى الناس عقولهم ! ان صاحب المزمور لينهى عن هذا فيقول ٠ « لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم ، بلجام وزمام زينته ، يكم (يكمم) لئلا يدنو اليك » (٣٢ : ٩) ٠

واذن ، فلنستخدم عقولنـا ٠ ولكن لنكن على حذر من قصورها ، أن يسوع قد أشار الى هذا عندما قال : « أحمدك أيها الآب ، رب السموات والأرض ،

لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال » (مت ١١ : ٢٥) ، بل لعله من أجل هـذا أحب يسـوع الأطفال لأنهم كأطفال يقبـلون التعليم ، فلا تمسكهم عنه كبرياء ، ولا يداخلهم به غرور ، ٠٠ فما أحرانا أن تكون لنـا عقول الأطفال من حيث هى بسيطة ، وديعة ، متفتحة لاستقبال ما يلقى اليهـا من تعـليم ! ٠

● وثالثـا ، علينا أن نطلبه بأمانة :

وحتى يتم لنـا هذا ، علينا أن نتوخى الا يكون تلامسنا مع اعلان الله عن ذاته مشـوبا بصـلف وكبرياء ، أو بتحامل وانحياز ٠٠ بل ليـكن لنـا الفكر البسيط ، والعقل المتفتح ٠ ولن يكون ذلك بالأمر الهين على كل حال ! ذلك أن من يتصـدى لبحث موضوع ، قلما ينجح تماما فى طرح كل فكرة مسبقة عنه ٠ من أجل هذا كم من باحث فى «الكتاب» تناوله وقد كون لنفسه سلفا رأيا خاصا ، أو تشبع بعقيدة معينة ، مما كان حائلا بينه وبين أوليات الايمان ، فيقر ويعترف بأن يسوع الناصرى هو ابن الله الوحيد ، وأنه مات من أجل الخطاة ومن أولهم هـذا الباحث ، ومن ثم وجب عليه أن يتعبد له ، وأن يثق فيه ، وأن يعتمد عليه !

ليس غريبا اذن ، أن نجـد مثل هـذا العقل قد استعصى عليه قبول الأفكار الجديدة ، مهما قام عليها من البينات والشواهد ! على أن الأمـر ليستفحل ويشتد كلما تقدمت ، بمثل هذا الانسان ، الأيام ، ولا سيما حين تضعف قابلية ذهنه لاستيعاب الحقائق الجديدة ، وتتحول مرونتها الى صلابة وجمود ! ٠

ومهما يكن من أمر ، فليس أمامنا الا أن نتخلى عن تحيزنا لأفكار نكون قد استبقنا الحوادث فكوناها ، وأن ندع لعقولنا أن تتفتح لامـكانية صحة المسيحية (١) ، لأنه ما لم تكن لنـا الشجاعة والأمانة فى هذا المجال ، فسوف يتعذر علينا أن نصل الى شىء ٠ لأن وعد الله انمـا لأولئك الذين لا يألون جهدا فى البحث عنـه ، وطلبه من كل القلب ٠ ولنسمعه يقـول على لسان أرميـا : « تطلبوننى فتجدوننى ، اذ تطلبوننى بكل قلبكم » (٢٩ ٠ ١٣) ٠

---

(١) المسيحية عند المؤلف ، كما هى عندنا ، صحيحة دون شك ، ولكنها هى خطة المؤلف (وقد أشرنا اليها فى تقديم الكتاب) من حيث التدرج بالقـارىء ، مبتدئا بمرتبة الشك حتى يصل به الى ملء اليقين ٠

● **ورابعا ، علينا أن نطلبه فى طاعة :**

ولعـل هذا الشرط هو أصعب الشروط جميعا · لأن الحد الأدنى لما يطلبه الله الينا هو التسليم الكامل لله ، والاستعداد الدائم لا لتغيير أذهاننا وحسب، بل لأن نعيد تشكيل حياتنا من جديد · وهنا يبرز التباين الواضح بين مايتصل بالبحث العلمى ، والحقيقة الأدبيــة الدينية · ففى البحث العـلمى ، يجب أن يكون الباحث موضوعيا متجـردا مما يتصل بميوله هو ما أمـكن ، حذرا من من الانسياق وراء مشاعره الخاصة وعواطفه ··· وحسبه تلك النتائج التى يتمخض عنها بحثه ·· أما الله ، فحاشا له ، أن يوضع فى بوتقة أو يصهر فى فرن ، أو يمتحن بحامض ، أو يرصد بتلسكوب ، حتى اذا فعلنا ، صـحنا : « ما أمتع ما نرى ؟ ! » وكأن ما نراه هو مادة حسية ترى وتلمس فتحس ! جل الله عن أن يكون موضوعا للفحص·· لأنه هو الذى ايانا يفحص ،ويمحص وينقى ! ·

وما قلنــاه عن الله ، هو عين ما نقوله عن الابن يسوع المسيح · وشتان ما بين دراسة يكون موضوعها «أرسطو» مثلا ، ودراسة موضوعها «المسيح» فاننا اذ ندرس أرسـطو ، فاننا نسـلط عليه أضـواء الفكر ، وننفعل عقليـا بفلسفته ، أما مع المسـيح فنحن ننفعل روحيا ، نعم اننا نسـتطيع أن ندرس المسيح دراسة عقلية ننأى بها عن التحيز ، ونسمو فوقه ، ولكننا نعجز ، من الناحية الأدبية ، عن أن نكون محايدين غير متحيزين ·· ولعل هذا هو ما عناه يسوع عندما وجه حديثه الى جماعة غير مؤمنة من اليهود ، فقال : « ان شاء أحد أن يعمل مشيئته (أى الله) يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى » (يو ٧ : ١٧) · وهنا نجد الوعد واضحا جليا : اننا سنعطى أن نعرف ما اذا كان المسيح على خطأ أو صواب ، وما اذا كان تعليمه من الناس أو من الله · أما شرطه لهذا ، فهو بايجاز هكذا : ان أردنا أن نعرف هل التعليم صحيح ، فعلينا أن نكون على أتم الاستعداد ، لا لأن نؤمن به فقط ، بل لأن نطيعه أيضا : وأن نكون على تمــام الأهبة لأن نكمل ارادته اذا ما أعلنت لنا ·

ان غاية « الـكتاب » كما لابد أن نعلم ، هى غاية عملية · فلا هى علمية ولا هى « أكاديمية » ··· انها غاية يراد منها أن تعلن لنــا عن الحق ، وأن تقودنا الى الحق · لذلك لا يمكن أن يندرج « الكتاب » تحت أى وصف مما يمكن أن نصف به كتابا للعلم أو للسمر ! ! وعلينا ، اذ نتصدى للدراسة فيــه ، أن نلتمس عنده أمورا تنفذ الى الصميم فى تشكيل حيــاتنا الحاضرة ، وفى مصيرنا الأبدى أيضا · أما ذلك القصور الذى نحسه ، اذ ندرسه ، فمرجعه الى شــعورنا بالتردد فى الخضـوع لمـا يفرضــه علينــا من التزامات ! ·

وبمعنى آخر ، فاننا اذ نعجز عن الطاعة والاذعان ، نصرح بعجزنا عن الايمان ! وبذلك نجعل من عدم الايمان ستارا نخفي وراءه ما ننزع اليه من عصيان ! ·

ومما له دلالة خاصة ، أن « الكتاب » يستخدم كلمة « الاثم » أو « الشر » بدلا من كلمة الخطأ لما هو مناقض أو مناهض « للحق » · ذلك لأن الاثم هو الذى يحجب الحق عن عيون الناس فى غالب الأحيان ! من أجل هذا يقول بولس الرسول : « ان غضب الله معلن على جميع فجور الناس واثمهم · الذين يحجزون الحق بالاثم » (رو ١ . ١٨) ثم يكرر نفس المعنى فى الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى فيقول : « لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالاثم » (٢ : ١٢) ·

واذن فليراع فى الروح التى تسود بحثنا ، أن تكون بعيدة عن التراخى ، والكبرياء ، والتحيز ، والخطية · وعلينا أن نلتمس الله مهما كانت النتائج ، عالمين أن التحزب والتحامل من جانب ، وأن الخطية والتمرد ضد النواميس الأدبية من جانب آخر ، هى المعوقات التى تفوق أية معوقات أخرى ، من حيث أن التغلب عليها عسير ، ولأنها فى جوهرها انما هى صورة للتعبير عن الخوف ، والخوف بدوره من ألد أعداء الحق ، بل ان الخوف ليصيب بالشلل كل باحث وبحث ! ·

ان طلب الله ، وقبول المسيح ، خبرتان مجهدتان ، لأنهما تستوجبان من الانسان أن يعيد النظر فى فلسفته ، وأن يعدل من الأسلوب الذى تجرى عليه حياته ، حسبما يقتضيه الموقف فى غير تردد ، وفى شجاعة وحسم ! ·

وخلاصة هذا كله :

اننا لا نجد ، لأننا لا نطلب ·

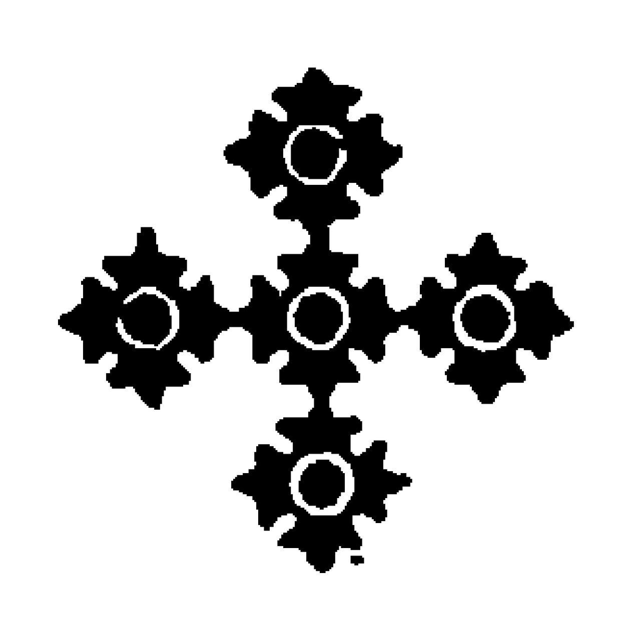
واننا لا نطلب ، لأننا لا ننشط او نتحمس للطلب ، أو تستفزنا اليه حاجة ، أو يستفزنا اليه مارب ·

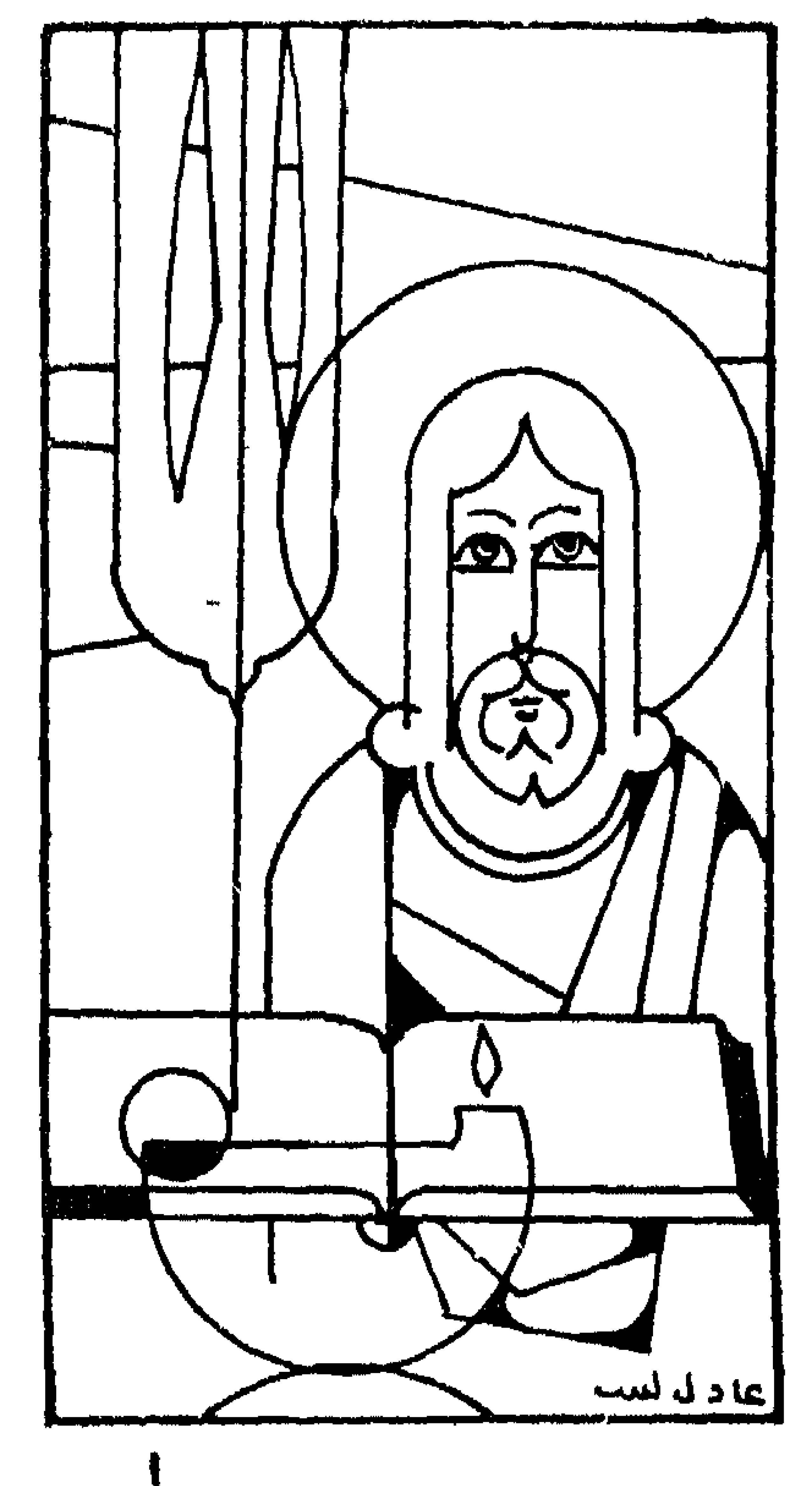
فان أردت الا تجد ، فاياك أن تبحث عما تريد أن تجد ! !

ليت الله يهبك الشجاعة لأن تطلب · وأن تنشط فى ملء الوداعة ، والأمانة ، والطاعة ، للبحث عن الله · وأن تاتى الى « الكتاب » الذى هو اعلان الله لنا عن ذاته ، وأن توجه اهتمامك الى الانجيل بخاصة ، لأنه هو الذى يقص عليك قصة يسوع ··· وعليك أن تعطى ليسوع الفرصة حتى يحصرك فى شخصه ، ويعلن لك عن ذاته ·

فاذا ما أتيت اليـه ، فلتأت منكرا ذاتك ، ومهيئا ارادتك وعقـلك ، لأن تؤمن وتطيع ، اذا ما تنازل الله لأن يقنعك ، فاذا ما عن لك أن تقرأ الانجيل ، فانى أنصحك أن تقرأه جاثيا على ركبتيك ، ممهدا للقراءة بصلاة ، حتى تتهيأ لك الدراسة التى تحدوها الأناة ، ويسودها التأمل · ولتكتف ، كمبتدىء ، بقراءة أصحاح واحد ·· ثم تزداد هـذه القراءة كلما رسخت منـك القـدم وتأصلت فى نفسك عادة القراءة ·· وانى لأحب لك أن تتأكد من أن الصـلاة التى تستهل بها القراءة ، لا يمكن أن تخيب · **فالله لا يقبـل أن يـكون مدينا لأحد · فهو يرد الدين مضاعفا ، ويكافىء فى سخاء أولئك الذين يبحثون عنه فى استماتة وفى أمانة ·**

ويكفيك وعده « اطلب تجد » ، ووعده هو الوعد الصادق والأمين







٢ شهادات المسيح عن نفسه

- تعليم المسيح عن نفسه.
- شهادات المسيح المباشرة.
- شهادات المسيح غير المباشرة.
- إعلانات عملية.

الفصــل الثــانى
شهادات المسيح عن نفسه

رأينا فيما سبق ، أننا لكى نجد ، علينا أن نطلب· واننا الآن لنتساءل :
من أين ينبغى لنـــا أن نطلب ؟ ·

أما المسيحى فلا تخرج اجابته ، غالبـــا ، عن قوله بان نقطة البدء هى
شخص يسوع الناصرى نفسه · فالله اذ تكلم وعمل ، فان كلمته وعمله قــد
تمـــا ــ فى كمال وحسم ــ فى المسيح يسوع ·

وهنا لابد أن يرد على البــال هذا السؤال (وهو سؤال خطير ودقيق
فى وقت معا) : هل كان ذلك النجار وليد النــاصرة هو ابن الله ؟ ·

وسيظل هذا السؤال هو السؤال الأول ، أو رأس الأســئلة فى المسيحية ·
من عساه يكون يسوع يا ترى ؟ ! ·

لقد كان هذا السؤال ــ فيما نرجح ــ هو السؤال الأول كذلك ، الذى
انبثق عن تعاليم المسيح وأعماله ابان خدمته · فمنذ أن قال للمفلوج : « أيها
الانسان · مغفورة لك خطاياك » بدأ الكتبة والفريسيون « يفكرون قائلين . من
هذا الذى يتكلم بتجاديف ؟ من يقــدر أن يغفر خــطايا الا الله وحــده ؟ »
(لو ٥ : ٢٠ ، ٢١) ·

وتكرر السؤال عندما « انتهر الريح ، وقال للبحر ابكم · فسكنت الريح »
اذ خاف التلاميذ خوفا عظيما « وقال بعضهم لبعض من هو هذا ؟ فان الريح
أيضا والبحر يطيعانه » (مر ٤ : ٣٩ ، ٤١) ·

وتكرر السؤال ثالثة عندما دخل يسوع بيت الفريسى وغفر للمرأةالخاطئة
خطاياها · فما أن فعل ، حتى ثارت دهشة المتكئيين معه ، وابتدأوا يقولون
فى أنفسهم : « من هو هذا الذى يغفر خطايا أيضا ؟ » (لو ٧ : ٤٩) ·

ورابعة تكرر السؤال عندما سمع هيرودس (رئيس الربع) بجميعأعمال
يسوع ، فسأل : « فمن هو هذا الذى أسمع عنه مثل هذا ؟ » (لو ٩ : ٩)·

ثم تواتر السؤال على ألسنة سكان أورشليم كلها ، حين جاء اليها ملكها وديعا ، راكبا على آتان وجحش ابن آتان ، « فارتجت المدينة كلها قائلة : من هـذا ؟ فقالت الجمـوع هـذا يســوع النـبى الـذى من ناصرة الجليـل » (مت ٢١ : ١٠ ، ١١) ٠

ولعلنـا نستطيع أن نقطع بأن السؤال لازال يتردد حتى اليوم ٠ أجل ! فشخص يسوع له سحره ، وله جاذبيته ، وله تاثيره على كافة المفكرين ٠

لقـد جاء فى مقال لكاتب انجليزى كبير ٠ « أن من أبرز معالم الحيـاة العقلية على مدى القرنين المـاضيين ، ذلك الاهتمام الذى لا شـبيه له بحياة وتعاليم المسيح ، وتلك الجهود المضنية فى سبيل الاحاطة بها (لو أنه كان فى مقدور بشر أن يحيطوا بها) ، وفى سبيل تقويم دلالتها ومراميها ٠ ان المؤلفات التى وضعت على هذا المدى الطويل عن حياة المسيح ، كانت من الكثرة ، بحيث يجوز للسائلين أن يسألوا : أو لم تستنفد بعد ؟ أهناك جديد يضـاف ؟ ومن عجب فالواقع ، يكذب كل ظن بأنها أستنفدت أو اعتراها ركود ونقصان !

ولنعد الى ما كنا بصدده من أن كل دراسـة للمسيحية ينبغى أن تبـدأ بشخص المسيح : فلمـاذا يا ترى كان ذلك كذلك ؟ ٠

● أما السبب الأول ، فلأن **المسـيحية أساسا هى المسـيح** ٠ فشخص المسيح وعمله ، هما حجرا الزاوية فيها ، وعلى صخرتها ترتكز المسيحية ٠ ولو أن المسيح لم يكن من قال انه هو ، ولو أنه لم يعمل العمل الذى جاء أصلا ليتممه ٠٠٠ اذن لانهارت المسيحية من الأساس ، وصـارت أثرا بعـد عين أو لغدت ، على الأقل ، طللا باليـا ، وحطاما ! وهل من بقية كان يمـكن أن تبقى لهـا ، لو أننا انتزعنا المسيح منها ؟ ! بالطبع لا ٠ وألف مرة لا ٠ ذلك أن المسيح هو مركز الدائرة منها ، وكل ما عداه ثانوى ٠ وفى هذا قال أستاذ انجليزى له وزنه ٠ « ان الديانة المسيحية هى الوحيدة بين ديانات العـالم التى ترتكز على شخص مؤسسها » ٠٠٠ وقد قال قوله هذا وهو يقدم لكتاب له أسماه « المسيحية هى المسـيح » ٠٠ ثم اسـتشهد بمـا قاله كارليـل المؤرخ والفيلسوف الكبير « لو أن عقيـدة لاهوت المسـيح ضاعت ، اذن لتقوضت المسيحية ، وصارت أثرا بعد عين ، أو لتبخرت كحلم » ٠

انطلاقا من هذا ، فسـوف تنصرف عنايتنا ، لا الى البحث فى خاصية فلسفة المسيح ، أو الى قيمة طريقته ، أو الى تقويم الأخلاقيات التى بها عـلم ونادى ٠٠٠ بل ان عنايتنا ــ ولم لا نقـول غايتنا ــ سـوف تتركز فى طبيعـة شخص المسيح ٠

● أما السبب الثـانى ، فلأننا **متى استطعنا أن نقدم المسيح كشخص الهى فريد فى ذاته** ، فاننا نـكون قد أوجدنا حلولا لكثير من المشكلات ، **ونكون قد برهنا على وجود الله** ، ووجدنا جوابا عن كل سؤال يتعلق بواجب الانسان وبمصيره ، وبحياة ما بعد الموت ، وبمعنى الصليب ·· ذلك أن المسيح قد علم بهذا كله ، وكان تعليمه ذا سلطان ·

اذن فليكن الـبدء ، وبحق ، بالمسيح ·

ولكى ندرس يسوع ، يجب أن نرجع الى الأناجيـل ، مستبعدين كونها موحى بها(١) ، وناظرين فقط اليها باعتبارها مجـرد وثائق تاريخية سجلت حياة المسيح تسجيلا دقيقا ، وأوردت تعاليمه فى أمانة ·· متذكرين فى نفس الوقت ، أن همنا الأول هو أن نأتى بالدليل على أن يسوع هو ابن الله الوحيد ، غير قانعين بقرار يعلن لنـا عن الوهيته فى غلالة من غموض وابهـام ·· بل ليكن اثباتنا للاهوت واضحا صريحا لا ترقى اليه شكوك · اننا نؤمن بهذه العلاقة الازلية التى للمسيح مع الله الآب ، والتى لم تكن لآخر سواه ! انه فى يقيننا ليس الها متنكرا فى صورة انســان ، وليس انســانا متفردا بصــفات قدسية ، بل اننا لنؤمن بأنه الاله المتجسد أو « الله ظهر فى الجسد » ·

نعم انه كان شخصا تاريخيا · ولـكنه كان المسـيح الذى اجتمع فيـه الناسوت كاملا واللاهوت كاملا · فبهذا قد تفرد ، والى الأبد · عمن عداه ·

من أجل هذا كان يسوع جديرا منا لا بذلك الاعجاب فائق الحد الذى نكنه له فحسب ، بل لأنه هو وحده الجدير بأن نعبد ، واياه وحده نسبح ونحمد، وله وحده نخر ونسجد ·

والبينات التى نسوقها لاثبات ما نذهب اليه هنا (والذى هو الحق الذى يذهب اليه كل المسيحيين) قد استقيناها من مصادر ثلاثة ·

١ ــ أولها ، ما تعلق بشهادات المسيح لنفسه ، واعلاناته عن ذاته ، والامتيازات التى صرح بأنه صاحبها دون سواه ·

٢ ــ وثانيها ، ما اتصل بطبيعة المسيح ، وصفاته البـاهرة ، وسجاياه التى انفرد بهـا وتفرد ·

---

(١) ··· وحتى لا ننسى ، فانى لا أفتأ أذكر بمـا سبق أن أوضحته بشأن أسلوب المؤلف فى العرض ، مما جاء خاصة بالمقدمة التىقدمت بها الكتابللقراء · وادن فالاناجيل موحي بها · بهذا يؤمن المؤلف والمعرب ، وكل مسيحى ·   (المعرب)

٣ ـ وثالثها ، ما اتصل بقيامته من الأموات ٠

وفى هذا الفصل ، والفصلين التاليين من الكتاب ، سنعرف الحقيقة الكاملة عن هذه النواحى ، وسنعرفها متكاملة ، وضاءة ، ومضيئة كالشمس فى وضح النهار ٠

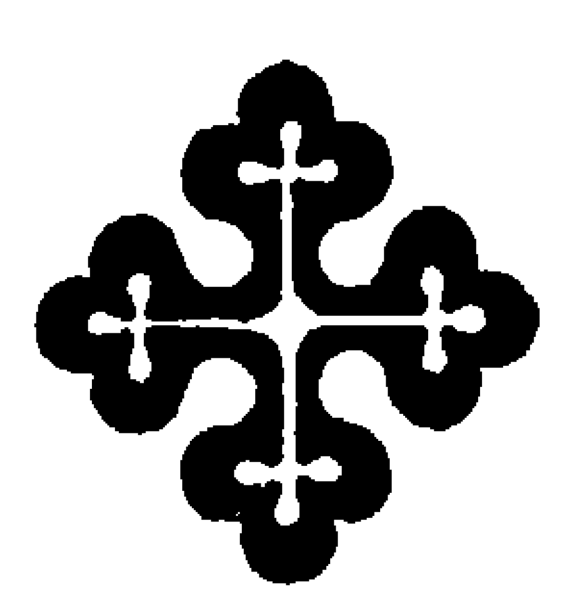
واليكم الآن هذه الأدلة ، مبتدئين بأولها ، ونعنى به تصريحات المسيح عن نفسه ، وسنقسمها ـ توخيا للوضوح والبساطة ـ الى أنواع أربعة ٠

أولا ـ تعليم المسيح عن نفسه ٠

ثانيا ـ شهادة المسيح المباشرة عن نفسه ٠

ثالثا ـ شهادة المسيح غير المباشرة عن نفسه ٠

رابعا ـ الصور العملية لاعلانات المسيح عن نفسه ٠



أولا ــ تعليم المسيح عن نفسه

ان الظاهرة البــارزة فى تعليم المسيح هى اطــراد حديثة عن نفسه · حقا لقد كثر حديثه عن أبوة الله له ، ولكنه كثيرا ما كان يعقب على ذلك بالقول بأنه ابن الآب · وأن هذه العــلاقة التى تربطه بالآب ، لا يمــكن أن تتأتى لــكائن ، أو يستطيع أن يستمتع بها انسان · وهو ، وان يكن قد جال مبشرا بملكوت الله ، الا انه كان يعتبر ذاته فى مركز فريد من هذا الملكوت · وان دخولنا لهذا الملكوت رهن بطاعتنا له · ولذلك كان من البركات والمواعيد التى خص تلاميذه بها « أن يخلصوا » ، « وأن يدخلوا ملكوت الله » ، وأن « يرثوا الحياة الأبدية » ·

فليس من عجب أن نقرأ أن ملكوت الله هو ملكوت المسيح ، وأن يسوع قد دعا نفسه ملكا ·

ففى انجيل متى نقــرأ : « يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته المعاثر وفاعلى الاثم » (١٣ · ٤١) ، وفيه ايضا : « الحق اقول لكم ، ان من القيــام ههنا ، قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » (١٦ : ٢٨) ، وفيه : « قالت (أم ابنى زبدى) قل أن يجلس ابناى هــذان واحد عن يمينك ، والآخر عن يسارك فى ملكوتك » (٢٠ : ٢١) ، وفيه : « ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ··· ثم يقول الملك للذين عن يمينه . تعالوا يا مباركى أبى · رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العــالم » (٢٥ : ٣١ ــ ٤٠) ·

وجاء فى انجيل لوقا : « ثم قال ليسوع » : اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » (٢٣ : ٤٢) ·

وجاء فى انجيل يوحنا · « لو لم يكن هــذا من الله ، لم يقــدر أن يفعل شيئا ··· فوجده (الأعمى) وقال له (يسوع) : أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك وقال · من هو يا سيدى لأؤمن به ؟ فقال له يسوع : قد رأيته ، وهو الذى يتكلم معك هو هو · فقال : أؤمن يا سيد · وسجد له » (١٨ · ٣٣ ــ ٣٨) ·

لقــد قال أحدهم « ان أروع اعلانات المسيح كانت ذاته » · ومن أجل هذا ، كانت للمسيح هذه المكانة الفريدة التى لم تكن لأعظم عظيم بين معلمى

الأديان فى العـالم قاطبة ، ولم يكن لأحد منهم أن يلحق بها أو يدركها ٠٠ بل انهم بمقدار ما كانت شخصياتهم تنحسر ، وتتبخر ، وتذوب ، كانت شخصية المسـيح تنمو ، وتبرز ، وتزكو ، وتزيد ٠ وبينما كان هؤلاء يشـيرون ، وعلى استحياء ، اليه قائلين : « هذا هو الحق الذى نعرفه ، فاتبعوه » كان يسوع يقول عن نفسه [« أنا هو الحق ، فاتبعونى » ٠ فهل كان لأحد أن يجترىء على مثل هذا القول سواه ؟]! ٠

وما أكثر ما يتردد فى أقوال المسيح ضمير المتكلم « أنا » ٠٠٠ ومنهـا قوله : « أنا هو خبز الحياة ، من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (لو ٦ : ٣٥) ٠

وقوله : « أنا هو نور العـالم ٠ من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ٠ بل يكون له نور الحيـاة » (يو ٨ : ١٢) ٠

وقوله : « أنا هو القيـامة والحيـاة ٠ من آمن بى ولو مات فسـيحيا ٠ وكل من كان حيا ، وآمن بى ، فلن يموت الى الأبد » (يو ١١ ٠ ٢٥ ، ٢٦) ٠

وقوله : « أنا هو الطريق ، والحق ، والحياة ٠ ليس أحد يأتى الى الآب، الا بى » (لو ١٤ ٠ ٦) ٠

+ + +

ولعل السؤال الأول والخطر الذى انبثق عن تعاليم المسـيح فى المرحلة الأولى من خـدمته ٠٠ كان سؤاله لتـلاميذه « وأنتم من تقـولون انى أنا ؟ » (مت ٨ : ٢٩) ٠ [ثم أخذ يوضح لهم أن « ابراهيم تهلل بأن يرى يومى ، فرأى وفرح » (يو ٨ : ٥٦) ثم يقول : « لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى » (يو ٥ : ٣٩) كما يشير الى ما كتب عنه فى العهد القديم قائلا : « انه لابد أن يـتم جميـع ما هو مـكتوب عـنى فى ناموس موسى ، والأنبيـاء ، والمزامير » (لو ٢٤ : ٢٧ ، ٤٤) ٠

ويصف لوقا البشير بشىء من التفصيل زيارة المسيح المثيرة الى قريته النـاصرة ، « حيث كان قد تربى » ، ثم دخـوله المجمـع حسـب عادته يوم السبت ، وقيامه ليقرأ ، « فدفع اليه سفر أشعياء النبى ٠ ولمـا فتح السفر ، وجد الموضـع الذى كان مـكتوبا فيه : روح الرب على ، لأنه مسـحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ٠ لأنادى للمأسورين بالاطلاق ،

وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة » (ع : ١٦ ــ ١٩) ثم اذ يطوى السفر ، يجلس والجميع يرمقونه بعيون شاخصة، معجبين ومتعجبين من كلمات النعمة الخارجة من فيه ، فيبتدىء يقول لهم : « انه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » ··· وكأنه يقول لهم : « ان هذا الذى كتبه اشعياء انمـا هو عنى » ! ·

فان تكن هذه هى فكرته عن نفسه ، فليس من غرابة ، اذن ، أن يكثر من دعوة النـاس اليه ! ولكنه جعل دعوته فى صيغة أمر قاطع لاتردد فيه « تعالوا الى » ··· وللمتعابى قال : « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨ ــ ٣٠) ··· وللجياع والعطاش قال : « أنا هو خبز الحيـاة ، من يقبـل الى فلا يجـــوع ، ومن يؤمن بى فـلا يعطش أبدا » (يو ٦ : ٣٥) ·

لم يكن بد حينئذ من أن يطيعه تابعوه ، وأن يعترفوا به قدام الناس ·

وانطلاقا من هذا ، كان تلاميذه يعترفون بحقه فيما شهد به عن نفسه ، فكان من دواعى افتخار بولس ، وبطرس، ويهوذا ، أن يلقبوا انفسهم «عبيده» ·

وقد جعل نفســه موضــوع ايمان النـاس وحبهم · ودعا المؤمنين بالله أن يؤمنـوا به ، حيث يقول لهم : « هذا هو عمـل الله : أن تؤمنـوا بالذى هو أرسله » (لو ٦ : ٢٩) · « فالذى يؤمن بالابن له حياة أبدية · والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة · بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦) ··· ثم يقول محذرا « ان لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) ·

فان تكن الوصية الأولى هى « أن تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك » ، فالمسيح يطالب ، وفى ملء اليقين ، أن تكون له كل محبة الانسان لأن : « من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابنا أو ابنه أكثر منى ، فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) ·

وهوذا المسيح يكرر هذا المعنى باستخدام الشىء ونقيضه (كما يحـــلو التعبير فى العبرية) فيقول : « ان كان أحد ياتى الى ، ولا يبغض أباه ، وأمه ، وامرأته ، وأولاده ، واخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميـذا » ·

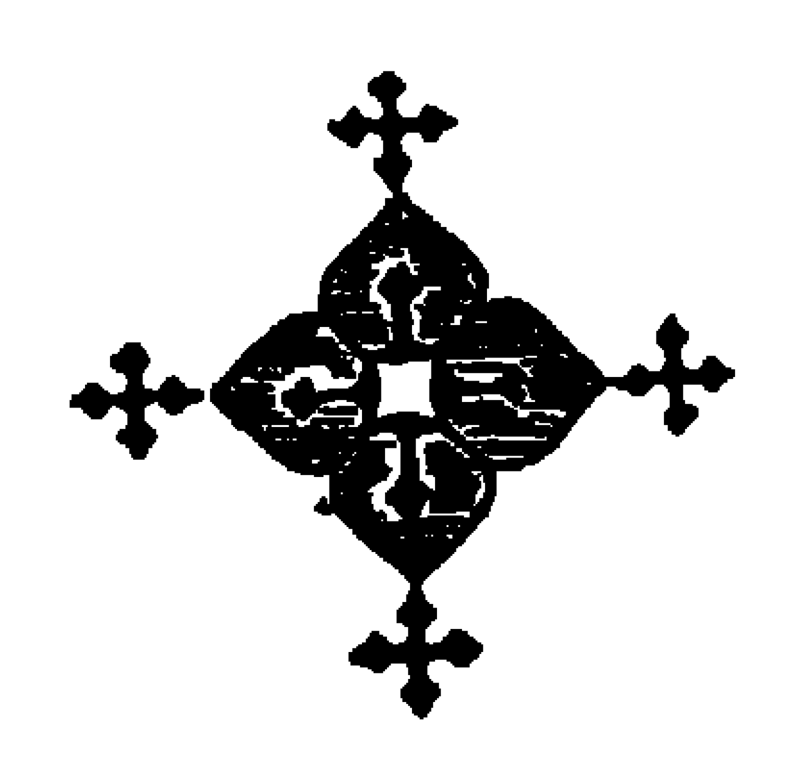
هكذا كانت ثقة المسيح فى مكانه المرموق ، والذى هو محور قصد الله ، حتى ليأخذ على عاتقه أن يرسـل من يخلفه بعد صعوده ، ويعــنى به الروح

القدس أو « البارقليط » كما كان يحلو للمسيح أن يسميه اذ أن الكلمة تعنى « المدافع والمحامى المترافع » ··· ذلك أن عمل الروح القدس ما هو الا الدفاع عن قضية المسيح أمام العـالم · فهو اذ ينبثق من عند الآب ، « فهو يشهد لى » ، وهو الذى « يمجدنى ، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٤) هكذا يقول السيد المسيح ·

فبالمسـيح اذن تتعلق شـهادة الروح القـدس ، وبه يتعلق اعلان الروح القدس للكنيسة : « فانا أن ارتفعت عن الأرض أجذب الى الجميع » (يو ١٢ : ٣٢)

وبعد ، فليس فى هذا ما يثير العجب · فللصليب وصاحبه ، تأثير قوى، وجاذبيـة أدبية ، يستجيب لهـا الجميع وينقـادون ، وهو اذ يجـذبهم فليس للاتيان بهم الى الله ، أو الكنيسة ، أو البر ، ولكن ليأتى بهم الى نفسه، حتى اذا ما جاءوا اليه ، فكأنهم قد جاءوا الى الله ، والى الكنيسة ، والى البر ·

والحقيقة المثيرة فى هذا التعـليم الذى يركزه المســيح فى ذاته ، أنه يصدر عن ذاك الذى أوصى مشددا بفضيلة التواضـع حتى أنه ليوبخ تلاميذه كلما أحس منهم اعتدادا بذواتهم ، أو ميلا نحو تسليط الأضواء على أشخاصهم! وكم كان يضيق بتساؤلهم عمن يكون العظيم فيهم ·· الى الدرجة التى اضطرته الى أن يقيم فى وسطهم طفلا ، ليكون اموذجا لهم ، ولتكون لهم فيه أسـوة ، وبه يقتـدون ·



ثانيا ـ شهادات المسيح المباشرة عن نفسه

ممـا لاشك فيه ، أن المسيح كان يعتبر نفسه « المسيا » الذى تنبأ به العهد القديم ، والذى فيه كملت النبوات وتمت • وان مجيئه كان من أجل أن يقـيم ملكوت الله الذى سبق فتنبأت به سحابة من الأنبياء على مدى أجيال هذا عددها !

ولعله ممـا يسترعى الانتباه أن تكون الكلمة التى فاه بها عند بدء خدمته هى كلمة « كمل » • كذلك كانت « كمل » هى الـكلمة الأولى التى استهل بهـا كرازته فى الجليل ، لأنها كانت تحمل بين ثناياها معنى الاكمال والتتميم • فهو ينادى « قد كمل الزمان ، واقـترب ملكوت الله • فتوبوا وآمنوا بالانجيـل » (مر ١ : ١٥) •

وقد لقب المسيح نفسه « بابن الانسان » لأنه بدوره من ألقاب « المسيا » وقد استقى أصلا من احدى رؤى دانيال • فاذ يجد المسـيح تحديا من رئيس الكهنة ، قبل ان يصف نفسه بابن الله كما جاء فى قوله عند محاكمته : « •• أما هو فكان ساكتا ، ولم يجب بشيء • فسأله رئيس الـكهنة أيضا ، وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك ؟ قال يسوع أنا هو • وسـوف تبصرون « ابن الانسـان » جالسا عن يمين القوة ، وآتيا فى سحاب السـماء » (مر ١٤ : ٦١) • كذلك استخدم هذا اللقب باعتباره من ألقاب « المسيا » حيث ورد فى المزمور : « أنت ابنى • وأنا اليوم ولدتك » (٢ : ٧) •

كذلك فسر المسيح ارساليته فى ضوء الصورة التى قدمها اشعيا فى الشطر الأخير من رؤياه : « كرجل اوجاع •• لا صورة له ولا جمال •• محتقر مخذول من الناس ••• مجروح ، بل ومسـحوق لأجـل معاصينا وآثامنا ••• مظلوم متذلل ••• لم يعمل ظلما ، ولم يكن فى فمه غش ••• ولكن الرب وضع عليـه اثم جميعنا ، فضرب من أجل ذنب الشعب ، وجعل مع الأشرار قبره ••• ذاك الذى مسـحه الرب ليبشر المسـاكين ، وليعصب منكسرى القـلوب ، وليعزى النائحين ، ولينادى للمأسورين بالاطلاق » (الاصحاحان ٥٣ ، ٦١) •

على أن المرحلة الأولى من تعليمه للاثنى عشر قد توجت بهذا الاعتراف الذى جاء فى ثنـايا الحوار الذى قام بين يسوع وتلاميذه عندما سألهم « من يقول الناس انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح » (مر ٨ : ٢٧ ـ ٢٩) •

واذن فقد عرف فيه بطرس ذاك الذى أشار اليه الأنبياء • وهذا هو الحق الذى لا تدانيه ريبة أو ظل شك • **فمـا كان المسيح علامة على الطريق ، بل كان هو من انتهت اليـه الطريق ، ومن به ختم المطاف ، ومن فيه تمت المسـيرة** • ومن أجل هذا وسمت ارساليته بسمة « الاتمام » • ولعـله كان يشير الى هـذا عندما قال لتـلاميذه : « طوبى لعيونكم لأنها تبصر ، ولآذانكم لأنها تسمع • فانى الحق أقول لكم ان أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (مت ١٣ : ١٦ ، ١٧)• وقد أورد القديس لوقا نفس المعنى فيما يكاد أن يكون صورة طبق الأصل منه (لو ١٠ : ٢٣) •

+ + +

أما شهادة المسيح المباشرة ، والتى هى موضوع حديثنا هنا ، فهى تلك التى تشير لا الى أنه « المسيا » فحسب ، بل الى لاهوته أيضا • فقد جاهر بانه « ابن الله » لا بوصفه « المسيا » فقط ، بل لأنه تربطه مع أبيه علاقة وحيدة أزلية فريدة سرمدية •

وهناك أمثلة ثلاثة نوردها لك فى هذا المقام :

● أما المثـل الأول ، فعن ذلك الارتبـاط الوثيق الذى له بالله أبيه ، والذى كثيرا ما حدثنا عنه ، منذ كان فى الثانيـــة عشـــرة •• مما ملأ أبويه بالدهشـة ، وهو يبدى حماسة لا نظير لهـا بعمل أبيه السـماوى • فهو يقـول لهما ، اذ يطلبـاه ، لمـاذا كنتما تطلباننى ؟ ألم تعلما انه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ؟ » (لو ٢ : ٤٩) •

وقال لليهود الذين كانوا يطلبون أن يقتلوه لأنه أبرأ فى السبت : « أبى يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل » (يو ٥ : ١٧) •

وقال لفيـلبس : « الذى رآنى فقـد رأى الآب ••• ألسـت تؤمن انى فى الآب ، والآب فـى ؟ ••• صـــدقونى انـى فـى الآب ، والآب فـى » (يو ١٤ : ٩) • وللاسخريوطى قال : « ان احبنى أحد ، يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى ، وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢٣) •

حقا ان المسيح قد علم تلاميذه أن يتحدثوا الى الله كاب ، ولكن شـتان ما بين البنوتين : بنوته هو للآب ، وبنوتنا نحن • ولعله من قبيل التمييز بين

الأبوتين أو البنوتين ما قاله لتلاميذه : « أنظروا · لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، لأنى أقول لكم ان ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٠) وكذلك فانه يقول : « ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه ، فانه يكون لهم من قبل أبى الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٩) ، ثم يضيف : « فهكذا أبى السماوى يفعل بكم ، ان لم تتركوا من كل قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (مت ١٨ : ٣٥) ·

ولا بأس من الاستطراد فى سرد أقواله ، فها هو ذا يقول : « ليس كل من يقول لى يا رب يدخل ملكوت السموات · بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) ·

وقال لابنى زبدى : « ··· وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى ، فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبى » (مت ٢٦ : ٢٣) ·· وقال للمجدلية : « لاتلمسينى · لأنى لم أصعد بعد الى أبى · ولكن اذهبى الى اخوتى وقولى لهم انى أصعد الى أبى وأبيكم ، الهى والهكم » (يو ٢٠ : ١٧) أما كان فى امكانه أن يقول « اصعد الى أبينا » ؟ ان ماقرره هنا القديس يوحنا فى شأن العلاقة الفريدة التى تربط المسيح الابن بالله الآب ، يقرر مثله القديس متى فيذكرنا بقول المسيح : « كل شىء قد دفع إلى من أبى · وليس أحد يعرف الابن الا الآب ، وليس أحد يعرف الآب الا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له » (١١ : ٢٧) ·

وليس أدل على هذا الارتباط الوثيق الذى يربط الابن بالآب ، من حنق اليهود ، حينما رأوا منه مجاهرة به ، حنقا بلغ حد المطالبة بالحكم عليه بالموت ، فصرخوا أمام بيلاطس : « لنا ناموس · وحسب ناموسنا ، يجب أن يموت · لأنه جعل نفسه ابن الله » (يو ١٩ : ٧) ·

واننا لنرى هذا الارتباط وقد بلغ الذروة عندما سألوه «أين هو أبوك ؟» فكان جوابه : « لستم تعرفوننى انا ولا أبى · لو عرفتمونى ، لعرفتم أبى أيضا » (يو ٨ : ١٩) ··· وكذلك كان جوابه لتلاميذه « لو كنتم قد عرفتمونى ، لعرفتم أبى أيضا ، ومن الآن تعرفونه ، وقد رأيتموه (يو ١٤ : ٧) ··· لأن « الذى رآنى يرى الذى أرسلنى » (يو ١٢ : ٤٥) ··· ثم يوجه لفيلبس ذلك السؤال الاستنكارى : « ··· الذى رآنى فقد رأى الآب · فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ » (يو ١٤ : ٩) ثم ينادى : « الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى » (يو ١٢ : ٤٤) ··· ثم يطمئن تلاميذه ، والمؤمنين به ، مؤمنا لهم من خوف ،

مهدئا لهم من قلق ، فيقول « لا تضطرب قلوبكم • أنتم تؤمنون بالله ، فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١) ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا ، بل الذى ارسلنى » (مر ٩ : ٣٧) « والذى يبغضنى يبغض أبى أيضا » (يو ١٥ : ٢٣) •

والان فلنأت للمثالين الثانى والثالث ، وفيهما ننتقل من شهادة المسيح المباشرة بعلاقته بالآب بوجه عام ، الى العلاقة الشخصية الوثيقة بالاب •

● وفى المثال الثانى يحدثنا يوحنا الرسول فى صدد النقاش بين اليهود والمسيح الذى جاء فى ختام الاصحاح الثامن ، حين جادلوه معارضين : « ••• قد مات ابراهيم والأنبياء ، وأنت تقول ان كان أحد يحفظ كلامى ، فلن يذوق الموت الى الأبد ! ألعلك أعظم من ابينا ابراهيم ؟ •• من تجعل نفسك ؟ أجاب يسوع : ان كنت أمجد نفسى ، فليس مجدى شيئا • أبى هو الذى يمجدنى • الذى تقولونه إنتم انه الهكم ، ولستم تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه ••• ابراهيم تهلل بأن يرى يومى ، فرأى وفرح ••• الحق الحق أقول لكم ، قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » (يو ٨ : ٥١ ـ ٥٨) • وبداهة ، فقد أحنق هذا القول اليهود ، حنقا كاد « يشقهم » ، ومن أجله حاولوا رجمه ، اذ أن ناموس موسى كان ينص على أن عقوبة التجديف هى الرجم بالحجارة ••• ويسوع كان فى نظرهم مجدفا ! فأى تجديف تراهم ، قد سمعوا ؟ أفى قوله « قبل ابراهيم أنا كائن » ؟ لقد ردد هذا المعنى أكثر من مرة من قبل ••• لقد قال مرة مثلا : « انه نزل من السماء » وأخرى قال : « ان الاب أرسله » • واذن فالاتهام لم يقم على أساس • وبقدر شططهم فى الحكم ، كانت براءة المسيح من التجديف ! •

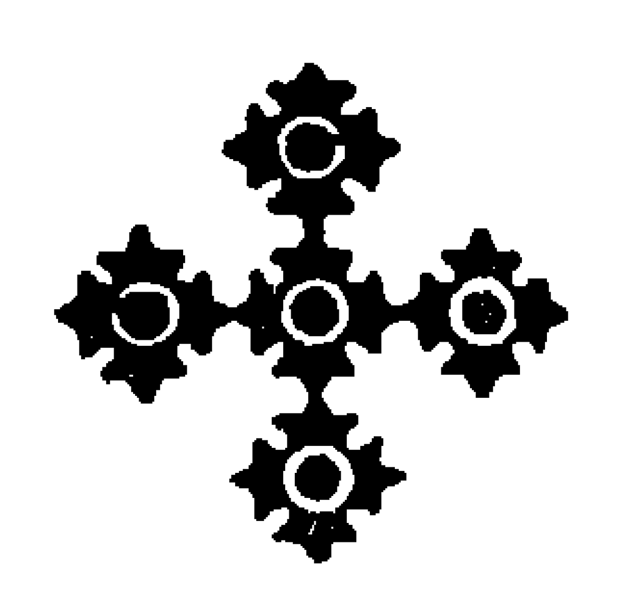
على أننا يجب أن نلاحظ شيئا هاما • ان يسوع قال « قبل ابراهيم انا كائن » • ولم يقل قبل ابراهيم « كنت كائنا » • وهذا يعنى خلوده من جهة ، ويعنى لاهوته من جهة أخرى • فبهذا اللفظ « أنا كائن » او « أهيه » أعلن الله لموسى فى العليقة عن ذاته اذ قال له ردا على سؤاله : « ما اسم اله آبائكم ؟ قل : « اهيه الذى اهيه » • وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل : « اهيه أرسلنى اليكم » (خر ٣ : ١٤) والمعنى : « أنا من أرسلت نفسى اليكم » •

بمثل هذه البساطة ، والرزانة والتؤدة ، اختص المسيح نفسه بهذا اللقب الالهى •

● وفى المثال الثالث ، نرى المسيح وقد نسب الالوهية لنفسه فى صورة

مباشرة ··· فقد توالت الأحداث بعد قيامته · ولكننا نشير بخاصة الىما حدث بعد قيامته بثمانية أيام على التحديد ، حين كان تلاميذه ، ومعهم توما الذى شك فى قيامته ، مجتمعين فى العلية : « فجاء يسوع ، والأبواب مغلقة ، ووقف فى الوسط ، وقال سلام لكم · ثم قال لتوما هات اصبعك هنا ··· ولا تكن غير مؤمن ، بل مؤمنا · أجاب توما وقال **ربى والهى** · قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت ؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا » ! ·

ان توبيخ المسيح لتوما لم يكن لأنه اعترف به ربا والها ، فالمسيح لا اعتراض له على هذا ، وانما جاء توبيخه لتوما ، لأنه لم يصدق أنه قام ! ··



(ثالثـا)

شهادات المسيح غير المباشرة عن نفسه

دلل المسيح على صحة نسبه اللاهوت لذاته بوسائل مباشرة ، وأخـرى غير مباشرة فى آن معـا • فقد كانت خدمته ، وما حفلت به من أعمال ، لسانا ناطقا ، وشهادة مبينة عن نفسه • اذ مارس عمليا ، مالا يمكن أن يصدر الا عن الله ، ونسب لنفسه من الامتيازات مالا يمكن أن يكون الا لاله •

واليكم ، فيما يلى ، أربعة من هـذه الامتيازات « كعينة » لـكثير غيرها وكثـير :

● **الامتياز الأول الذى نسبه المسيح لنفسه هو أنه « غافر الخطايا » •**

وقد حدث هـذا فى مناسبتين : الأولى ، عنـدما جاءوا بمفلوج يحمله أربعة • واذ تعذر عليهم أن يدخلوه من الباب ، حيث كان البيت مزدحما بسبب الجمع الغفير ، « حتى لم يعد يسع ولا ما حول البـاب » •• فقد دلوه من السقف • واذ علم يسوع أن حاجة مريضهم هى ، فى جذورها ، روحية ، قال للمفلوج ــ وسط دهشة عارمة من الجمع ــ « يا بنى مغفورة لك خطاياك » (مر ٢ : ١ ــ ١٢) •

والثـانية ، عندما غفر للمرأة الخاطئة خطاياها ، موبخا الفريسى الذى دخل بيته •• فأوضح له أنه من اجل أن هذه المرأة « غسلت رجلى بالدموع ، ومسحتهما بشعر رأسها » •• ومن أجل « أنها لم تكف منذ دخلت بيتك ، عن تقبيل رجلى » •• ومن أجل « أنها دهنت بالطيب رجلى » ••• « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيرا » •• ثم بعد هذا العرض الرائع لمـا فعلته المرأة ليسوع ، قال لهـا . « مغفورة لك خطاياك » (لو ٧ : ٣٦ ــ ٥٠) •

· هاتان المناسبتان كانتا كلتاهما مثار دهشة من الجميع ، حتى أنهم ابتدأوا يقولون فى أنفسهم : « من هذا الذى يغفر خطايا أيضا ؟ » « من يقدر أن يغفر خطايا الا الله وحده ؟ » •

وهكذا أنطقهم الله بالحـق ! فليس لبشر فعلا أن يغفر الخطايا ! قـد يتجاوز الانسان عن بعض السيئات للمسيئين ، أما أنه يستطيع مغفرة الخطايا ، فلا ! ولكن الله وحده هو الذى يغفر لنـا الخطايا التى نأثم بها فى حقه وقدامه

نصنع ! والخلاصة ؟ ان مغفرة المسـيح للخـطايا كانت مؤشرا على لاهوته ، ودليلا بينا عليه لا ينقض ٠

● **الامتياز الثاني غير المباشر ، انه « مانح الحياة »** ٠ ومن هذا القبيل، ما وصف به نفسه من أنه « الطريق والحق والحيـاة » (يو ١٤ : ٦) ، وأنه « القيامة والحياة » (يو ١١ : ١ ، ٢) ، وأنه « خبز الحياة » (يو ٦ : ٣٥)٠

وقد شبه المؤمنين به ، والمتكلين عليه ، بالأغصان التى اذ تثبت فى الكرمة، فانها تستمد منها عصارة الحياة ٠

وقد أعطى للسامرية « المـاء الحى » قائلا : « لو كنت تعلمين عطية الله ، ومن هو الذى يقـول لك أعطينى لأشرب ، لطلبت أنت منــه فأعطاك ماء حيـا » (يو ٤ : ١٠) ٠

كذلك وعد المسيح الشاب الغنى بالحيـــاة الابدية ، ان هو باع كل ماله وأعطى الفقراء « فيكون له كنز فى السماء » (مر ١٠ : ١٧ ، ٢١) ٠

وقد لقب نفسه « بالراعى الصالح » الذى « يبذل نفسه عن الخراف » ، « ويضع نفسه عن الخراف ، فتتبعه لأنها تعرف صوته ، وهو يعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك الى الابد » (يو ١٠ : ١١ ـ ٢٨) ٠

ـ كذلك جاهر المسيح بأن الله أعطاه « سلطانا على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته » (يو ١٧ : ٢) ٠

وكان مما صرح به يسوع عن نفسه أيضا أنه « كما ان الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء » (يو ٥ : ٢١) ٠

وكانت جميع أقوال المسـيح فيما يتصـل بهذا ، قاطعة حاسمة بحيث لم يساور تلاميذه شك فى انها الحقيقة التى لا مرية فيها ، ولا جدال بشأنها ٠٠٠ ومن ثم آمنوا بها ، وبسببها زادوا قربا منــه والتصـاقا به ، حتى ان بطرس يصرخ : « الى من نذهب ؟ كلام الحياة الابدية عندك » (يو : ٦٨) ٠

وحصيلة ما تقدم أن الحياة ، هـذا اللغز المسـتغلق ، والتى لا يستطيع الناس لهـا تحديدا ، ولا يعرفون لهـا هوية ، أو أصلا وطبيعة ، ويجهلون من اين تأتى وتتولد ٠٠ (ولعل كل ما يسـتطيعون قوله عنهـا انها عطية من الله وكفى) ٠٠٠ هذه الحياة ، ان جهلنا نحن كل ما يتصل بها ، الا أن المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يمنحها ويعطيها ٠

● **الامتياز الثـالث للمسيح ـ والذى يقوله عن نفسه ـ « أنه يعلم الحق » :**

والحق ! ان الحقائق التى علم بها المسـيح تسترعى الانتباه فعـلا · ولكن الأكثر استرعاء للانتباه ، هو ذلك الاسلوبالصريح ، والحاسم ، والقوى، الذى علم به هذه الحقائق الى الدرجة التى جعلت عشراءه وسامعيه يقفون موقف العجب والتعجب بل والاعجاب من هذه الحكمة التى كان يفوه بهـا ، حتى أنهم من فرط دهشة وانبهار أخذوا يتسـاءلون : « من أين له هـذا ، ذاك الذى نحن بنسبه عارفون ؟ » ·

وكذلك كان الشأن مع اليهود ، فقد أخذهم ، بدورهم ، العجب فتساءلوا : « كيف هذا يعرف الكتب ، وهو لم يتعلم ؟ » (يو ٧ : ١٥) ·

الى هذا الحد كان تعجبهم من « كلمات النعمة الخارجة من فمه » وكانوا يسألون مستنكرين : « أليس هذا ابن يوسف ؟ » (لو ٤ : ٢٢) ·

ثم عظة الجبل العظيمة ! ألم تختتم بهذه الكلمات « فلما أكمل يسـوع هذه الأقوال بهت الجموع من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان ، وليس كالكتبة » (مت ٧ : ٢٨ ، ٢٩) ·

ولعلنـا أن نتساءل : « لمن عساه أن يكون هذا السلطان » ؟ ان كان هـذا السلطان لنبى ، فسـلطان النبى ليس له من ذاته ، ولكنه مسـتمد من الله ، ولذلك كانت غاية جهد النبى أن يقول : « هـكذا قال السيد الرب » ! · ولـكن ها هى ذى العبـارة الأثيرة عند المسيح : « الحق الحق أقول لـكم » أجـل ! ان سلطانه مستمد من ذاته هو ، ونابع من داخله ! ·

حقـا ، ان المسيح قد وصف تعليمه بأنه ليس منه ، وانما هو من الآب الذى أرسله · ولذلك قال : « ان شاء أحد أن يعمل مشيئته ، يعرف التعليم هل هو من الله ، أم أتكلم أنا من نفسى · من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله ، فهو صادق وليس فيه ظلم » (يو ٧ : ١٧ ، ١٨) ·· على أن المسيح كان يعلم تمام العلم ، أنه الوسيلة المباشرة للاعلان السماوى ، بحيث يستطيع أن يوجه حديثه لسامعيه فى اقتدار ، وثقة ، وتمكن ، وسلطان ·

من أجل هذا ، لم يؤخذ على المسـيح أنه تردد فى قول ، أو تراجـع فى وعد ، أو اعتذر عن عبارة ، أو تناقض فى تصريح ، أو ندم على فعل ، أو عدل عن لفظ ، أو نكص فى قرار ··· بل كان ــ وقد أرسله الله ــ « يتكلم بـكلام الله » (يو ٣ : ٣٤) ·

وقد فاه المسيح بأوامر سلوكية ، كانت فى ذاتها حقائق مطلقة لا يمكن أن تتجزأ · ومنها قوله :« أحبوا أعداءكم ، أحسـنوا الى مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم » (مت ٥ · ٤٤) · ومثل هـذا تماما ما سجله القديس لوقا فى انجيله (٦ : ٢٧) ·

ثم لنستمع الى قوله : « لا تهتموا للغـد ، لأن الغـد يهتم بما لنفسه » (مت ٦ : ٣٤) ·

ولنصغ اليه وهو يقول . « لا تدينوا لكى لا تدانوا · لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون » (مت ٧ : ١) ·

أما مواعيده فما كانت ، ولن تكون ، موضع شك · « اسألوا تعطوا ، أطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧ ، لو ١١ : ٩) ·

وقد أكد المسـيح أن كلامه ثابت ثبوت النـاموس ، وأن حرفا من كلامه لا يزول : « فالسماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول » (مر ١٣ . ٣١) « والى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة ، من الناموس » (مت ٥ : ١٨) ·

وقد بصر يسـوع تابعيه بأن مصيرهم يتوقف على طاعتهم اوصاياه · وقد شـبه المسـيح من يسمع اقواله ، « برجل عاقل بـنى بيتـه على الصـخر فثبت البيت ولم يسقط» · بذلك امتاز العاقل عن الجاهل الذى بنى بيته على الرمل فسقط وكان سقوطه عظيما » (مت ٧ : ٢٤ ـ ٢٧) وهكذا كان تشبيه المسيح لمن لا يعمل بما يسمع ·

وقد ردد القديس يوحنا نفس المعنى على لسان المسيح اذ قال . « من رذلنى ، ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه · الكلام الذى تكلمت به هويدينه فى اليوم الأخير » (١٢ : ٤٨)

● **الامتياز الرابع الذى نسبه المسيح لنفسه أنه « ديان العـالم » :**

وهو ـ ولا شك ـ أكثر تصريحات المسيح اثارة · وقد تضمنت أمثاله الكثير من الاشارات عن مجيئه الثانى فى اليوم الأخير ، واقامته للموتى حين « يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) ·· وستتجمع حوله كل قبائل الأرض ، فيجلس على كرسى مجده · وسيعطى من أبيه أن يدين المسكونة · « فالآب لا يدين أحدا ، بل أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢)·

ومتى جاء المسيح الملك : « حينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم عن بعض ٠٠ فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى ٠٠٠ ثم يقول للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين ٠٠٠ » (مت ٢٥ : ٣١ ــ ٤٦) ٠

وسيكون محك دينونة المسيح للبشر هو موقفهم من « اخوته » ومن « عمل مشيئته » ٠٠ فمن يصنع مشيئة الله ، هو أخى وأختى وأمى » (مر ٣ : ٢٥) ٠

وسيكون ثم اعتبار لموقف من يدينهم من كلامه : فمن رذله ، ولم يقبل كلامه ، فله من يدينه : « الكلام الذى تكلمت به ٠ هو الذى يدينه » (لو ١٢ : ٤٧ ، ٤٨) ٠

وكذلك ستكون الدينونة رهن الاعتراف به أو انكاره ٠ « فكل من يعترف بى قدام النـاس ، أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات ٠ ولكن من ينكرنى قدام الناس ، أنكره أنا أيضـا قدام أبى الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) ٠

وانه ليكفى ، لحرمان قوم من السماء ، أن يصرح المسيح بقوله : « لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » (مت ٧ : ٢٣) ٠

وبعــد ، فهل يتأتى لكائن أن يقول هذا غير المسيح الذى له سلطان أن يدين ؟ كلا ٠٠٠ فمثل هذا الكائن لن يكون له وجود ٠ ولو أننا تصورنا واعظا وقف يقول لموعوظيه : « أعيرونى سمعكم ، واستمعوا الى جيدا ، لأن مصيركم الأبدى يتوقف على ما أقوله لكم ، وستكون أبديتكم رهن طاعتكم لمـا أقول ٠٠ » الا نعتبره ملتاثا ومن الخير له ولنـا ، أن يلقى به الى المصحات العقلية ليكون بين من بهم لوثة أو جنون ، أو من وقعوا تحت تأثير خبل وهذيان ؟ ! ٠

+ + +

(رابعــا)

اعلانات عملية أعلن المسيح بها عن ذاته

وبعد ، فلم يبق أمامنا ، أخيرا ، الا أن نتأمل فى الآيــات والمعجزات ، التى أجراها المسيح على مرأى ومســمع من تابعيه ، ومن كان يمشى وراءه ، أو يحيط به من جموع ٠

وسوف لا نعرض ـ بطبيعة الحال ـ لامكانية حدوث الآية أو المعجزة ، أو نتصدى للمقصد منها ٠٠٠ وانمــا حسبنا الاشارة الى أن قيمة الآية ليست باعتبــارها انجازا خارقا للعــادة أو فوق الطبيعـــة وحسب ، وانمــا قيمتهــا بالأكثر فى مغزاها الروحى ٠ **فالمعجزات هى عجائب حقا ، ولكنها الى جانب ذلك (أو بالأولى هى فوق ذلك) علامات واعلانات ٠ ذلك أن المعجــزة لا تتم عفوية ، وانما قصدا لمــا وراءها من مضمون ومغزى ٠ ومعجزات المسيح ، لم يقصد منها بتاتا ، أن ينبهر بها النــاس ، ولم تستخدم كوسيلة للتأثير على النــاس ٠٠٠ أو لتكون أسلوبا من أساليب اخضاع الناس ، كما لم تكن مطلقا مظهرا لقوة بدنيــة خارقة أو لقــدرة ذهنيــة ســاحقة ٠٠٠ وانمــا كانت القيم الحقيقية للمعجزات فى دلالتها على السلطان الروحى الذى لصانع المعجــزة ، وهو الرب المخلص يسوع ٠**

ان معجزات المسيح هى صور أخرى من أمثاله ٠ ولكنها بدلا من أن تكون أقوالا شفوية ، فانه ترجمها الى صور عملية ، رأى الناس فيها أقوال وتصريحات المسيح عن نفسه ، وقد تجسدت فى مشاهد تتوالى وتتلاحق أمام الرائين ٠

والمعجزات منبثة فى جميع الأناجيل ، وتكاد أن تكون قسمة عادلة متوازنة بينهــــا ٠

وقد رأى يوحنـــا الحبيب العديد من هذه الآيات الى الحد الذى جعله يقول : « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه ، لم تكتب فى هذا الكتاب ٠ وأما « هذه » فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله ، ولكى تكون لكم ، اذا آمنتم ، حياة باسمة » (يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) ٠

وقد قصد يوحنا بلفظ « هذه » تلك المعجزات التى بنى عليها انجيله ، لأنه ذكر المعجزة مقترنة بتصريح من هذه التصريحات العظيمة التى جاهر بها يسوع مستهلا لهـا بقوله : « أنا هو » ٠

وسنوضح هذا بطرف من تلك المعجزات ، لنبين كيف كانت فى نفس الوقت، وفى جوهرها ، « علامات » ٠

والعلامة الأولى التى سنبدأ بها الآن ، هى تحويل الرب يسوع للمـاء الى خمر فى عرس قانا الجليل ٠ فقيمة هـذه الآية ، وكما هى السمة العـامة لكافة الآيات ، لم تكن فى ظاهرها أو مظهرها ٠ لأن وراء هذا المظهر المعنى الذى جعل المعجزة ذات موضوع ! فيوحنا يذكر أنه كانت هناك « ستة أجران من حجـارة موضوعة هناك **حسب تطهير اليهود** » (٢ : ٦) ان عبارة « حسب تطهير اليهود » فيها المفتاح الذى يفتح لنا ما لعله أن يكون قد استغلق علينا ٠ فالمـاء هنا يشير الى ديانة العهد القديم التى سبق فرمزت لهـا بئر يعقوب التى جلس عندها يسوع ، والتى اليها جاءت السامرية لتستقى ماء (يو ٠ ٤) ٠ أما الخمر فترمز الى كرازة يسوع : حيث **حل الانجيل محل الناموس ، وحلت الخمر فى الاجران محل المـاء** ٠٠ ونشأ ذلك النظام الجديد الذى يستند الى كفاية مؤسسه وحاميه « المسـيا » يسوع المسيح ٠ وقد أعلنه صراحة ، عندما قالت السامرية : « أنا أعلم أن مسيا يقال له المسيح يأتى ٠ فمتى جاء يخبرنا بكل شىء » فيقول لهـا المسيح : « أنا الذى أكلمك هو » (٤ : ٢٦) ٠

على نفس الدرب سارت آية اشباع الخمسة الآلاف ٠ فقد كانت التوكيد من جانب المسيح لمـا سبق وجاهر به ، من أن فيه وحده الشبع والرى للنفوس الجائعة الظمأى ، حيث نادى : « أنا هو خبز الحياة ٠ من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (يو ٦ : ٣٥) ٠

وبعد ذلك ، ولم يكن قد مضى وقت طويل ، فتح يسوع عينى المولود أعمى ٠ أو لم يكن هو القائل : « أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » (لو ٨ : ١٢) ؟ ٠

فاذا كان ليسوع أن يعيد البصر للعميان ، أفما يكون فى سلطانه أن يفتح أعين البشر ليبصروا الله ويعرفوه ؟ ٠

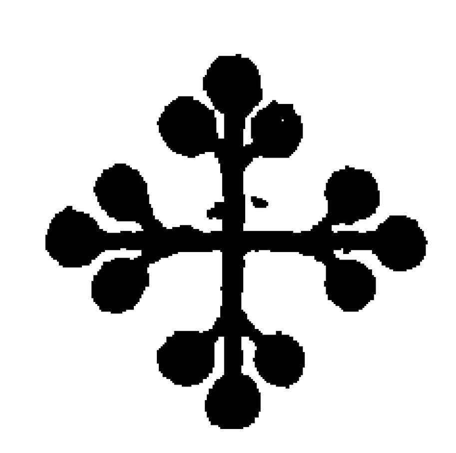
أما ختام حديثنا عن المعجزات ، فاننا نخص به اقامة لعـازر من الموت بعد أن مكث أربعة أيام فى القبر ٠ وهذه المعجزة مرتبطة كل الارتباط بقول المسيح: « أنا هو القيامة والحياة ٠ من آمن بى ، ولو مات ، فسيحيا » (يو ١١ : ٢٥) :

وهذه المعجزة ، بدورها ، هى رمز وعلامة ، حيث يرمز احياء جسد الميت الى قدرة المسيح على احياء النفس كذلك ، لأن فيه حياة المسيحى المؤمن فى الزمان الحاضر ··· وفيه قيامته فى الدهر الذى سيأتى ·

أوليست الآيات جميعا هى من قبيل الأمثال ؟ نعم ! وان البشر لجيـاع ، وعميان ، وموتى ··· وفى المسيح لا سواه يكون اشباعهم روحيا بعد جوع ، واعادة البصيرة اليهم بعد عمى ، وردهم الى جدة الحياة ·

+ والخلاصـــة ؟ ··

ـ الخلاصـــة أن هذه الامتيازات التى جاهر المسيح بأنها حق من حقوقه وحده ، والأقوال التى وردت على لسانه ، والآيات التى جرت على يديه ·· هى كل لا يتجزأ من التعليم الذى به قد علم · نعـم ! انهـا من جهـة لا يمكن أن تنفصم منه أو تنعزل عنه ، وهى من جهة ثانية ، مما لا سبيل الى دمغه بالمبالغة والتهويل ··· ثم هى ـ من جهة ثالثة ـ قد انبثت فى الأناجيل كلها ، ووزعت توزيعا عادلا بينهـا ··· وأخيرا فان صاحبها كانت له الشـخصية الثـابتة المتزنة التى يستبعد استبعادا قاطعا أن تكون ـ وعلى أية صورة من الصور ـ من نسج خيال كاتب ، أو وضع مؤلف ، أو اختراع بشـر ·







٣ السمات الخلقية للمسيح

- ما قاله هو عن نفسه.
- ما قاله عنه أحباؤه.
- ما قاله عنه أعداؤه.
- ما نقوله عنه نحن.

الفصـــل الثــالث

السمات الخلقية للمسيح ، وسجاياه

اذكر انى كنت قد تلقيت ، منذ سنوات ، رسالة من شابكانت لى به معرفة عابرة · وقد جاء فى رسالته : « ابشر ! فقد أتيح لى أن أكشف عن حقيقة جـد رائعة ، وهى أن الله كان له ابنان : أولهما كان المسيح ، والثانى هو ·· أنا » ! وعندما أعدت النظر فى الرسالة ، أدركت كل شىء · فقد كان المكان الذى جاءتنى منه الرسالة مصحا للأمراض العقلية ! ··

ولعـل هـذا الحدث ليس بالحـدث الفـذ · فمدعو العظمة والالوهيـة كثيرون · ومن هؤلاء تشكو مصحات الأمراض العقلية الامتلاء والتخمة · فمن بين النزلاء من يدعى أنه الاسكندر الأكبر ، ومن يزعم أنه قيصر ، أو بونابرت·· أو ··· أو ··· ولكن هل من يصدق زعمهم غيرهم هم أنفسهم ، أو على الكثير من هم على شاكلتهم من أمثالهم من المرضى ؟ ! ·

وأما الأسوياء فلا سبيل الى خداعهم · ولمـاذا ؟ لأن المرضى المدعينليس لهم من مظهرهم ما ينم على أنهـم هم من يدعون ·· ولأنه ليس فى سـلوكهم ما يتواءم ودعواهم ، أو يتسق وما يزعمون ·

أما عقيدة المسيحى فى مسيحه ، فانه يدعمها ، ويثبت من أركانها ، أن المسيح يبدو دائما فى الصورة التى يقول انها له · فلم يتناقض ، قط ، وما قاله عن نفسه : لقد وافقت أعماله ما سمعناه من أقواله ، واتسقت أنماط سـلوكه وشـهاداته لنفسـه · والحـق أنه كان فذا فريدا · ولم يكن له من ند أو ترب أو نظير ! · وقد وصفه سـتيوارت ميل : « بأنه شخص فريد ، وليس له بين السابقين واللاحقين شبيه » ·

اما كارنيجى سيمسون فقال : « اننا مضطرون هكذا بالفطرة والسليقة الا نعـده فردا بين أفراد أو اسما فى قائمة أسماء ·· بل انها لتكون مهانة أن

نفعل شيئا من هذا ، فنجعل اسمه مثلا فى قائمة واحدة مع فريق من العظماء مهما تكن عظمتهم ، ومهما اردفنا اسماءهم بنعوت ، او اضفينا عليهم من القاب « كالأكبر » و « الأعظم » ۰ فهناك الاسكندر الأكبر ۰ وبطرس الأكبر ۰ وايفان المخيف ! ۰۰ أما المسيح فسيظل فريدا فى ذاته ، متفردا بنفسه ۰۰ انه ليس الأعظم أو الأكبر ۰۰ **انه « الأوحد » أو انه ببساطة « يسوع » ۰ وليس فى التزود من الألقاب ، ما يضيف اليه ۰ وليس فى الشح بالألقاب ما ينقص منه ۰ وذلك ۰۰ وبكل بساطة ۰۰ لأن المسيح فوق معايير البشر ۰** وأيا من هذه المعايير ليتضاءل وينكمش ، بل لينزوى ، اذا غمره جلاله ۰۰ ولأن المسيح أخيرا ، فوق كل نقد أو تحليل ! ۰

يؤثر عن « شارلس لام » أكبر دعاة شكسبير ومريديه ، أن قال : « لو أنه تأتى لشكسبير أن يعود الى هذه القاعة ، لهممنا جميعا بالوقوف لاستقباله ۰۰ أما لو أن يسوع كان هو القادم ، اذن لخررنا جميعا سجدا له ، ملتمسين ولو هدب ثوبه لنلثمه ! » ۰

فليكن جل همنا ، هنا ، أن نعرف المسيح ، وقد وقف فى صف وحده دون ما شريك له ۰۰۰ انه لن يرضينا أن يقال عنه انه « أعظم من أقلته الأرض وأظلته السماء » !! ۰ ان المسألة عندنا ، أنه فوق المقارنةوالمضاهاة ۰۰۰ بل انه ليكون مما يتجافى واللياقة ومقتضيات الذوق السليم أن يقارن أو يضاهى بمخلوق ۰۰ **ولا تستطيع صيغة من صيغ المبالغة أن تكون وصفا له ۰۰۰ فلا هو « بالعظيم » أو « الأعظم » لأنه فوقهما جميعا ! ۰۰**

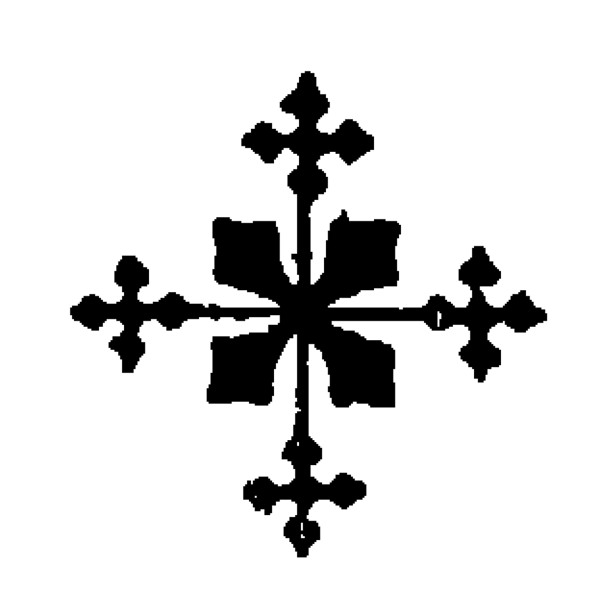
وعندنا ، أن المسألة وان انتفت فيها وجوه المقارنة ، فانها الى التباين أقرب ! ألم يسأل يسوع ذلك الشاب الغنى قائلا : « لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحد هو الله » (مت ١٩ : ١٧) أجل ! وان هذا لصحيح ! فالأمر ـ يا يسوع ـ ليس مرده انك أفضل الآخرين ، أو أنك الأفضل بين الجميع على الاطلاق ۰ ولكن « انك صالح » وحسب ۰ وان صلاحك هو الصلاح المطلق ، غير المحدود ، الذى لله أبيك ؟ ! ۰

ويجدر بنا الآن ، أن نتناول هذه النقطة بشىء من الايضاح : فنذكر أن الخطية مرض معد ، وقد وصلت عدواه الى الجميع ۰ وقد ولدنا جميعا ونحن نحمل فى طبيعتنا ، وجنسنا ، جرثومة الخطية ۰ أما المسيح فلم يكن مثلنا ، وقد سما على جميع جنس البشر ، فكان بلا خطية ۰ وقد عبر أحدهم عن هذا بقوله : « ان اعتزال المسيح للخطية ، وانعزاله عن الخطاة ، ليس بالمسألة

العـابرة ··· ففيها يـكمن سر « الفـداء » · لأن الفـداء يستوجب أن يكون « الفادى » بلا خطية · ولو انه كانت للمسيح خطية ، اذن لما كان له أن يكون « مخلصا » بل لاحتاج هو نفسه الى مخلص » ! ! ·

وسنورد فيما يلى الأدلة على عصمة المسيح من الخطية تحت عنـاوين أربعـــة :

- ما قاله هو عن نفسه ·
- ما قاله عنه أحبـاؤه ·
- ما قاله عنـه أعـداؤه ·
- ما نقـوله نحن عنـه ·



(أولا)
ما قاله هو عن نفســه

ذكر المسيح عن نفسه ، فى مناسبتين ، انه بلا خطية ٠

فعندما « أمسكت امرأة فى زنا » وأقاموها فى الوسط ، وقالوا للمسيح : « موسى فى الناموس ، أوصانا أن مثل هذه ترجم ٠ فماذا تقول أنت ؟ » ٠٠ أجاب يسوع : « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولا بحجر » فلمــا سمعوا « وكانت ضمائرهم تبكتهم ، خرجوا واحدا واحدا ، **وبقى يســوع وحــده** » (لو ٨ : ١ ــ ١١) وبذلك كان « خروج » هؤلاء جميعا بمثابة الاقرار بأنهم كلهم خطاة ٠٠٠ أجل ! وقد بقى يسوع وحده ٠٠ فما له والخطيئة ؟ ! ٠٠

على أن المسيح ، وفىنفس الاصحاح ، يجابه اليهود فىتحد ، ويسألهم : « **من منكم يبكتنى على خطية ؟** فان كنت أقول الحق ، فلماذا لســتم تؤمنون بى ؟ » ! ٠٠ وهو تحد جرىء كما ترى ٠ فالمسيح « وحده » هو الذى يســتطيع أن يصمد أمام كل مواجهة أو مجابهة ، لأنه « وحده » بلا خطية ٠٠ أما أولئــك فهيهات أن يكون لهم صمود ، لأنهم جميعا خطاة ! ٠

ان حياة المسيح كانت فى ملء الطاعة لله أبيه ٠ وفى هــذا كان قوله فى الاصحاح نفســه ، « ان الاب لم يتركنى وحــدى ٠ لانى فى كل حــين أفعــل ما يرضــيه » ٠

هل كان المسيح ، حين تفوه بهذا الكلام ، مزهوا مختــالا ، يتيه به على أحد أو يفاخر به أحدا ؟ ٠٠ كلا ! فقد كان طبيعيا : لهجة وأسلوبا ، ولم يسمح لأى عرض من ادعاء أو ضوضاء ، أن يشوبهما أو أن يشوههما ٠

وعلى هذا النسق ، وضــع يســوع نفســه ، فى مرتبة تفردت بها ذاته ، وباينت كل التباين تلك المكانة التى أراد « الفريسى » أن تكون لذاته ، عندما قال فى تبجح وتعال « انى لست مثل باقى الناس ٠٠٠ » (لو ١٨ : ١١) ٠

أما هذا التفرد الذى نسبه المسيح لنفسه ، فلم تــكن به شــائبة من زهو أو خيلاء ، ولم تكن فيه محاولة للفت الأنظار ٠ لأن تفرده كان ــ بالنسبة له ــ حقيقة ثابتــة لا تفتقر الى توكيــد : فهى ذاتية ، وليست بعارضــة أو وقتية !

فقد كنا كلنا « كغنم ضالة » بينما كان يسوع هو « الراعى الصالح » الذى جاء يفتش عن خرافة ويبذل نفسه عنها ، وكنا مرضى كلنا بالخطية بينما كان يسوع هو الطبيب الذى جاء يهب لنا الشفاء والراحة ٠

ـ وكنا غارقين كلنا فى حمأة الجهل ، بينمـا كان يسـوع نورنا ، كما كان « نور العـالم » ٠

وكنا كلنا أثمة وفجارا ، بينما كان يسوع هو المخلص الذى سفك دمه ومات ميته الاشرار ليتم لنا فيه الخـلاص ٠

وكنا كلنا جياعا ، أما يسوع فانه هو « خبز الحياة » وواهب الحياة ٠

وكنا أمواتا بالذنوب كلنا ، أما يسوع ففيه حياتنا الآن ، وقيامنا فى اليوم الأخـير ٠

ان المسيح قد علم بهذه الحقائق جميعا ، وكان تعليمه فى بساطة ، وفى تلقائية ، وما كان فيه أى أثر لصنعة أو اصطناع ٠٠٠ ولم يكن هادفا منه الى اشعار بعظمة أو جلال ، وانما كان هدفه منه حفز النـاس للايمان به ، حتى اذا ما آمنوا ، جاء اليهم يسد اعوازهم ، ويلبى ما لهم عنده من حاجات ٠

حقـا اننا سمعنا كثيرا عما اجتازه يسوع من تجارب ، ولكننا لم نسمع مطلقا عن أنه كانت له أخطاء ! ٠

فما سـقط فى خطية ، وما طلب لنفسـه ـ بالتـالى ـ مغفرة ٠٠ وعلى الضد ، كم طالب تلاميذه أن يعترفوا بخطاياهم وأن يسألوا المغفرة والتبرير ! ٠

أما المسيح وحده ، فهو المبرأ من أى احساس بالاثم ، أو شـعور بالذنب والتقصـير ٠

حقـا قد اعتمد المسيح من يوحنا « بمعمودية التوبة » ولكن صوت يوحنا نفسه كان يعلو بالاحتجاج صارخا : « أنا محتاج أن أعتمد منـك ، وأنت تأتى الى ؟ » أما يسوع ففى بساطته المحببة ، وتواضعه العجيب ، كان يجيب : « أسمح الآن » ٠ ان الجابل يستأذن جبلته ، فيقول : « اسمح الآن » ! وها أنت يا يسوع لم تعرف خطية ٠ ولم يكن فى فمك غش ! فلماذا ؟ أو تريدون حقا أن تعلموا ؟ اذن فلتعرفوا أن البـاعث على الحاحى على هذه المعمودية (هكذا يقول السيد) هو « انه يليق بنا أن نكمل كل بر » (مت ٣ : ١٥) ٠

فسلوك المسيح لم تشبه شائبة ، ولم تعكر نقاء حيـاته أية خطية ، أو أى

تذكار لخطية ، ولم تلبد صفحة شركته العميقــة بأبيه أية غمامة ، أو ســحابة ، أو ظل من ضباب ! ٠

وهــذه السمات ، اذ تبدو هكذا رائعة جليلة فمرد هذا الى أمرين :

● **الأول** : أنه كانت للمسيح قدرة مميزة ومتميزة ، تستطيع أن تحكم على بواعث السلوك عند الناس ، وأن تسبر أغوارهم ، وأنهــا ــ على حد قول بولس الرسول ــ : « حيــة فعالة ٠٠٠ وخارقة الى معرفة النفس والروح ٠٠٠ ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤ . ١٢) ٠

انه « لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الانسان ، لأنه علم ما كان للانسان» (يو ٢ : ٢٥) ٠

وكم من مرة أشارت الاناجيل الى أنه كان يعرف ما فى قلوب سامعيه من ريب وشكوك ، أو ما هم بصدد السؤال عنه أو الاحتجاج به عليه ؟! ٠٠ ان هذه المعرفة ــ أو قل الشفافية ــ قد هيأته لأن يهاجم فى عنف ، وأن يفضح فى غــير هوادة ، ما كان للفريســيين من رياء ودهاء ! وما كان أشــد مقته لغرورهم ، وشغفهم بالمظاهر ، وولعهم بالحياة المترفة ، الرخية ، الوارفة الظلال ؟ ! ٠٠٠ من أجل هذا كانت ثورتهم العارمة عليه ، أو قل ثورته هو عليهم ، مما جعــله يسكب عليهم من غضبه السكيب المتأجج ويقذفهم بويلات هذا عددها ، خرجت من بين شفتيه مرعدة هادرة ٠٠٠ تذكرنا بتلك الويلات التى تفوه بها أنبياء العهد القــديم ! ٠

ولكن هاتين العينين الفاحصتين « والخارقتين الى معرفة النفس والروح » اللتين للمخلص ٠٠٠ لم تكونا لتريا فى ذاته أى شر ٠ وبينما كان المسيح يبــدى نفوره ممن يدعــون البر الذاتى ، فانه كان يجاهر بأنه هو نفسه بار ٠

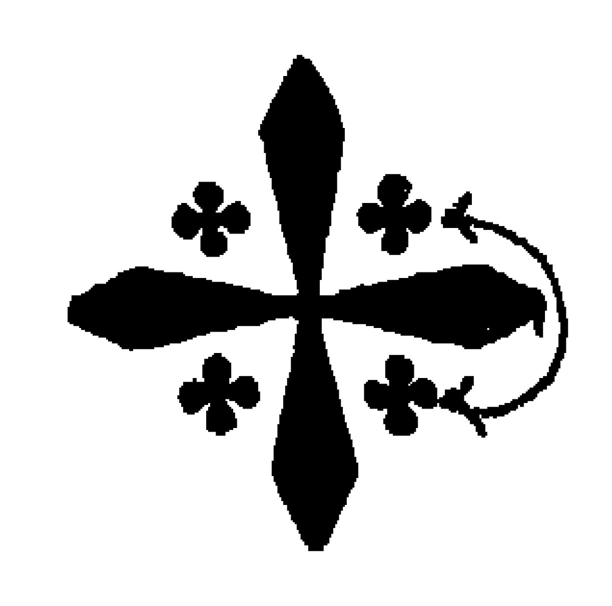
● **الأمر الثــانى** ، والذى من أجله كانت طهارته الذاتية مثيرة لاعجابنا ، انها قط لم تكن لتشابه اختبارات القديسين والمتبتلين ٠ فالمسيحى الحقيقى يحس أنه كلما دنا من الله ، ازداد بعدم الاستحقاق شــعوره ٠ فهو من هذه النــاحية يشبه رجل العلم : فالعالم كلما كثرت كشوفه وفتوحه العلمية ، ازداد ، الى ما لم يكشف عنه اللثام بعد ، توقا واشتياقا ٠ والقديس كلما ازداد بالمسيح تشبها ، ازداد ادراكا للشقة التى تفصله عن المسيح ٠ وكتب السير المسيحية مليئــة من هذا الذى ذكرناه ، بما هو كفيل باقناع من لم يتيسر له بعد مثل هذا الاختبار ٠

وكمثل لما نحن الآن بصدده ، أقدم للقارىء سيرة شاب كان يعمل مرسلا

بين الهنود فى بداية القرن التاسع عشر • كان هذا المرسل الشاب من عمق الولاء للمسيح بحيث كرس نفســه ، والى آخر مــدى ، للرســالة التى أخذ على نفسه الاضطلاع بها ، على الرغم مما كان يقاسيه من آلام مبرحة نتيجة لعلل وأمراض كثيرة أودت أخيرا بحياته فى ميعة الصبى ولم يتجاوز بعد التاسعة والعشرين • كان هذا الشاب يطوف بالأحراش والأدغــال ، يعــلم ويبشر فى دأب لا يعــتريه فتور • وكان ينام فى العراء وحيدا دون ما أسرة يثوب اليها ، أو بيت يأويه •• وظل بهذا القانع الراضى • وكم فاضت مذكراته بعبارات الحب « لأعزائه الهنود » ولفاديه يسوع ! فهل بقى بعد هذا التفانى ، بل الفناء فى رسالته ، ثمة زيــادة لمستزيد ؟ ومع ذلك فاننا كلما قلبنا المذكرات ، وقفنــا على صفحات عــدة ينعى فيها فساده ، ويندب قصوره وتقصــيره ، ثم ما يفتأ يصــف نفسه « بالدودة الحقيرة » و « الكلب الميت » •

واننا لنتســاءل : هل كان صاحبنا من أولئك المتهوسين باتهــام ذواتهم بالباطل ؟ والاجابة : كلا وانمــا كان مرجع هــذا الى انه كان كلمــا ازداد من المسيح قربا ، ازداد بثقل الخطية ، وضغط المسئولية ، شعورا •

أما المسيح فليس كسائر البشر • لقد عاش أكثر التصاقا بالله ، وأدنى قربا بأبيه ، بما لم يكن قط لبشر ••• ومع ذلك فقد كان مبرأ من كل شعور بالخطية ، ومن كل احساس بالاثم •



(ثانيا)

ما قاله عنه أحباؤه

أوضحنا فيما تقدم ، أن المسيح كان يرى ذاته بلا عيب ولا خطية ، وكم من مرة صرح بأنه المسيا ، وأنه ابن الله • فماذا كانت فكرة التلاميذ عنه ؟ وهل شاركوه فكرته عن نفسه ؟ ••• على أننا قد نجد من يعترض فيسأل مستنكرا ، وكيف تريدوننا أن نأخذ بأقوال يدلى بها تلاميذه فى هذا الصدد ، ولن تكون الشهادة منهم عنه فوق الشبهات ؟ ! • ألن يكونوا منحازين اليه ، فيقدمونه لنا فى صورة أضفى عليها الكثير ، من البهاء والاشراق ؟ ! •

ومثل هذا القول يحمل من الظلم للتلاميذ بقدر ما فيه من الاساءة اليهم • وشهادتهم (كمرجع يمكن الرجوع اليه ، والاعتماد عليه ، والثقة به) ••• هذه الشهادة لا يمكن اغفالها • وذلك لعدة أسباب منها :

● ١ ـ ان التلاميذ أتيحت لهم معه الفة لم تتح لمن عداهم ، والتصقوا به بما لم يتيسر لسواهم ، ••• وقد دامت هذه الالفة ، وذلك الالتصاق ، طوال مدة خدمته ، التى تقرب من الثلاثة الأعوام ، وفى هذه الفترة عايشه التلاميذ معايشة كاملة ، فأكلوا معه فى اناء واحد ، وناموا معه تحت سقف واحد ، وأقلتهم سفينة واحدة ، ومولهم كيس واحد ••• فى حين أن الانفاق المشترك ، كان حريا (كما هو الحادث فى أغلب الأحيان) أن يكون مثار خصومة ، وقطيعة ، وانقسام ! •

حقا انه قد شجرت بين التلاميذ خلافات من وقت لآخر ، وأخذت المشاحنات تدب بينهم الفينة بعد الفينة •• وعبثت صدورهم بالغيظ بعضهم نحو البعض •• ولكن ها هى ذى كلمتهم تجتمع على أن المسيح لم تكن له خطية مما كان لهم •• وينعقد اجماعهم على هذا ، على الرغم مما يقوله الناس من أن الالفة من شأنها ، اذا ضربت بين قوم ، أن تولد بينهم الاستخفاف ! ولكن شيئا ما من هذا لم يقع ••• وعلى العكس ، كان أول من شهد للمسيح بأنه بلا خطية ، اثنان من تلاميذه هما بطرس ويوحنا اللذان كانا ـ ومعهما يعقوب ـ من الصفوة التى حباها المسيح بامتيازات خاصة ، واعلانات لا يكون الجهر بها الا للنخبة من الاصفياء !

● ٢ ـ ان التلاميذ كانوا يهودا ، ومن ثم فقد شربوا بالضرورة ، « ومنذ الطفولة » تعاليم العهد القديم ، ولقنوا ، فيما لقنوه ، قضية « عمومية خطية البشر » ، وتعلموا عن اشعياء « أننا كغنم ضللنا • ملنـا كل واحد الى طريقه • والرب وضع عليه اثم جميعنا » اش ٥٣ : ٦) ، وأخذوا عن صـاحب المزامير « ان الكل زاغوا معا • فسدوا • ليس من يعمل صـلاحا • ليس ولا واحد » • (مز ١٤ : ٣) •

واذن ، لم يكن ممكنا ، وقد امتصوا هذه التعاليم ، أن يشهدوا لانسـان بأنه بلا خطية • ولـكنهم ها هم أولاء يشهدون للمسـيح هذه الشهادة الحقـة الخالصـة ! •

● ٣ ـ ومما يعزز هذه الشهادة للمسيح ويقويها ، أنها تجيء عفوية ، غير مقصودة ، وجانبية ••• حين كانوا فى صدد أشياء أخرى ••• فشهادتهم، والحالة هذه ، لم تلونها أو تشكلها أهواؤهم •

وهذا بعض ما شهدوا به : قال بطرس واصفا المسيح « ••• كما من حمل بلا عيب ولا دنس » (١ بط ٢ . ٢٢) ثم تابع هذا الوصف فقال : « الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر » •

أما يوحنا فيقرر هذه الحقيقه فى الجزء الأول من رسالته ، وبأسلوب غير مباشر فيقول : « ان قلنا انه ليس لنـا خطية ، نضل أنفسنا ، وليس الحق فينا • ان اعترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنـا خطايانا ، ويطهرنا من كل اثم • أن قلنا اننا لم نخطىء نجعله كاذبا ، وكلمته ليست فينا » (١ يو : ٨ـ١٠) على انه يسـتطرد قائـلا • « وتعـلمون أن ذاك (أى المسـيح) أظهـر لـكى يرفع خطايانا • وليس فيه خطية » (١ يو ٣ : ٥) •

أما بولس الرسول ، فقد كتب الى أهل كورنثوس يقول عنه : « لأن (الله) جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) ثم الى العـبرانيين يـكتب : « لأنه كان يليق بنـا رئيس كهنـة مثـل هـذا : قدوس ، بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة ، وصار أعلى من السموات » (٧ : ٢٦) •

حقـا لقد جرب المسيح •• ولكنه كان مجربا « فى كل شىء • بلا خطية » (عب ٤ : ١٥) •

(ثالثــا)

ماقاله عنــه أعداؤه

اننا حين نعرض لأقوال الأعداء عن المسيح ، نشعر بصلابة الأرض التى نقف عليها ! فمع هؤلاء لا يمكن لمدع أن يدعى بأنهم كانوا محمولين على الانحياز له أو الوقوف فى صــفه ··· ذلك أنهــم ، وكما يقـول الانجـليون ، « كانوا يراقبونه » (مر ٣ : ٢) لكى « يصطادوه بكلمــة » (مر ١٢) ١٣) ··· حتى اذا ما تأبى عليهم الدليل ، وأعوزتهم الحجة ، لجأوا (وهكذا يفعل الخصــوم عادة حين يتعذر عليهم كسب قضيتهم بالبرهان) الى النيل من منافسيهم بالطعن فى أشخاصهم ··· موجهين اليهم من المثالب ما يستطيعون ، محاولين تمريغهم فى الرغام والتراب كما تشاء لهم أحقادهم ويشاءون ·

وهكذا كانت الحال مع أعداء المسيح : فانهم اذ لم يكن لهم قبل بمناقشته ، عمدوا الى الوسائل الأخرى ليشفوا منه غليلا أو ينالوا منه مأربا · وها هى ذى مجموعة من الاتهامات يقتضى الانصــاف أن نتأملها جيــدا لنعرف أى نوع من الاتهامات هى · وسنعرض فيما يلى لأربعة اتهــامات ذكرها القديس مرقس فى انجيله على الوضع التــالى :

● الاتهــام الأول : **انه مجــدف · وليس لشىء كان هــذا الاتهــام ، الا لأنه غفر لمفلوج خطاياه ! فعندهم ، وبحق ، ان غفران الخطايا حق من حقوق الله وحده** · وليس لانسان أن يدعيه · والسؤال الآن : **اذا كان المسيح الها حقا أفما يكون غفران الخطايا من أخص حقوقه واختصاصاته ؟ !** ·

● والاتهــام الثانى **ان المسيح يصادق الأشرار ، ويصحب الخطاة ، ويؤاكل العشارين ، ويجالس الزناة** ··· وكلها مما يحظر على الفريسى أن يفعله أو يسقط فيه ! الى الدرجة التى كانت تحدو بالفريسى ، اذا ما اعترض طريقه شىء من هذا ، أن يلملم ثوبه ، ويوســع الخطى ، حتى لا يتلوث بشىء من هذه الأدران ثوبه ·· وان هذا اذ يفعله الفريسى فهو ــ فى نظره ــ البر بعينه ··· واذن فلا اعتبار لدى هذا الفريسى ، لمــا يبديه يسوع من الحب والحنان لهؤلاء · أما المسيح ، وقــد « انفصــل عن الخــطاة » ، فانه كسب لنفســه لقب « المحب للعشارين والخطاة » ، وهكذا شرف اللقب اذ تسمى به يسوع ·

● والاتهــام الثــالث · **أن تدين المســيح ســطحى · فلا هو يصــــوم**

كالفريسيين ، ولا هو يصوم كتلاميذ يوحنـا • وطالما أنه يأكل ويشرب فليقل هؤلاء عنه . « هوذا انسـان أكول وشريب خمر ، محب للعشـارين والخـطاة » (مت ١١ : ١٩) ! ! •

وهذا الاتهام لا يستحق منا مجرد المحاولة لدحضه • فالمسيح (وهذه حقيقة لا يقربها باطل بحال) كان ، من حيث التمسك بالدين ، جادا ، وكانتدينهبالروح والحق ، وقد علمنا « أن الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ . ٢٤) •

● والاتهام الرابع : **أنه كان يكسر السبت** ، اذ أنه أبرأ فى سبت ، واجتاز وتلاميذه بين الزروع فى سبت ، بل انهم « ابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون » (مت ١٢ : ١) الأمر الذى لا يحـل أن يمارس فى سـبت ، لأنه ــ فى نظرهم ــ بمثابة حصاد ودراس ! •

ولكن المسيح لم يـكن ليعوزه التمسك بالناموس ، بل لعـله على العكس تماما ، كان يطيع الناموس ، ويحتكم الى الشريعة • فان يكن السبت قد صنع ، فانما صنعه الله من اجل الانسان ، ولم يصنع الانسان **من أجل السبت** •

وهكذا كانت هذه الاتهامات جميعها ، اما تافهـة ، أو لم يكن لهـا من أساس تستند اليه ، وعليه تقوم ! •

وعلى هذا النهج ساروا فىمحاكمته ! بل انهم لجأوا الى الاستعانةبشهود الزور ضده ••• وحتى هؤلاء لم تتفق لهم ، على شىء ، كلمة ••• بل تضاربوا فى أقوالهم ، واستشرى الخلاف فيما بينهم •

ولعـل الاتهـام الوحيد الذى تصـيدوه أو اصـطنعوه ، كان سـياسيا ، ولم يكن ليتصل بأية ناحية سلوكية أو أدبية أو أخلاقية ••• فكانوا كلما جاءوا به الى مرحلة من مراحل المحاكمة ، تجلت بزاءته ، وصدر الحكم ، وعلى مسمع من الجميع ، بأنه برىء لا اثم فيه • وهو ذا بيلاطس ، وبعد عدة محاولات منه يغطى بها جبنه ، وتوقه الى التنحى عن اصـدار حكم ، •• يغسل يديه « قدام الجميع قائـلا انى برىء من دم هـذا البـار » (مت ٢٧ : ٢٤) وكأنه يستعير بقولته هذه عبارة زوجته التى أرسلت تحذره بها من الحكم على يسوع : « اياك وذلك البـار • لأنى تألمت كثيرا فى حلم من أجله » (مت ٢٧ : ١٩) •

وها لوقا البشير يذكر فى صدد هذه المحاكمة ، أن بيلاطس قال لرؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، « قـدمتم الى هـذا الانسـان كمن يفسد الشعب •

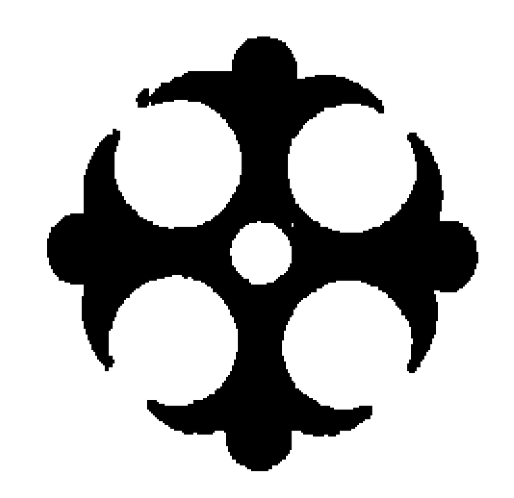
وها انا قد فحصت قدامكم · ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه » ·

« ولا هيرودس » ·· هكذا يستأنف بيلاطس كلامه · « لأنى أرسلتكم اليه · وها لا شيء يستحق الموت صنع منه » ·

أما يهوذا الخائن الذى أسلمه ، فقد مزق الندم قلبه ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : « قد أخطأت اذ سلمت دما بريئا » (مت ٢٧ : ٣ ، ٤) ·

ولنستمع الى اللص التائب ، وهو ينتهر شريكه فى الاثم قائلا : « أو لا تخاف الله ؟ اذ انت تحت هذا الحكم بعينه ؟ ··· أما نحن فبعدل ، لأننا ننال استحقاق ما فعلناه ·· وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله » (لو ٢٣ : ٤٠ ، ٤١) ! ·

ثم تأتى أخيرا شهادة قائد المائة الذى رأى المسيح وهو يعانى من مرارة الألم وسكرة الموت ، فيصرخ ممجدا الله قائلا : « بالحقيقة كان هذا الانسان بارا » (لو ٢٣ : ٤٧) ·



(رابعـا)

ما تقـوله نحن عنـه

لســنا فى حاجة ، بطبيعة الحال ، لأن نعتمــد على شهادة الآخرين عن المسيح ، لأننا نستطيع أن نركن الى ما قد كوناه بأنفسنا عنه ٠ فكماله الادبى الذى شهد به لنفسه ، أيده فيه ـ وبكل تأكيد وثقة ـ تلاميذه ٠٠٠ كما أكده ـ على استحياء وفى احجام أعداؤه ٠

ان كمال المسيح ، وقد تعطرت به أجواء الأناجيل وانبث فى كل مكان فيها ، يعطينا الفرصة للحكم عليه بأنفسنا . لقد قدمه الينا البشيرون فى صورة واضحة ، ناطقة ، ناصعة ، متكاملة ، وليست فى حاجة بعد لمن يوضحها لنا ٠ فان كان ثمة مكان لكلمة تقال ، لقلنا بأن هذه الصورة قد اقتصرت ـ وللأسف ـ على فترة خدمته هنا على الأرض ، والتى ناهزت ثلاثة أعوام ٠

ومع ذلك فهناك لمحتان سريعتان ، أو لقطتان زودنا بهما لوقا البشــير ٠٠ وهما بدورهما يزوداننا بفكرة عن طفولة المسيح،وهو بعد منزويا فى الناصرة ٠ ففى موضع من انجيــل لوقا كتب عن « الصــبى » أنه « كان ينمو ويتقوى فى الروح ممتلئا حكمة ٠ وكانت نعمة الله عليه » ٠

كذلك كتب فى موضع آخر من نفس الاصحاح . « وأما يسوع فـكان يتقدم فى الحكمة ، والقامة ، والنعمة ، عند الله والناس » (٢ ٤٠ ، ٥٢) ٠

ولنعد الى الصورة التى قدم لنــا يسوع فيها آبان خدمته العلنية : فمــاذا نرى فيها ؟ ٠٠ اننا لنراه تارة فى خلوة وانفراد بالتلاميذ ٠٠٠ ، ونراه تارة أخرى فى زحام وضوضاء الجموع ، ٠٠٠ ونراه تارة ثالثة وهو يخدم فــى الجليل ، وقد انبهر به الشعب ، ورأى فيه صورة البطل المعبود ٠ فلاحقــوه بصياحهم ، آملين لو أنهم استطاعوا أن يخطفوه عنوة ليقيموه ملكا متوجا عليهم حسبما تشاء لهم الأهواء والنزوات ٠٠٠ ونراه تارة رابعة ، وقد دخل أروقة الهيكل فى أورشليم ، واذا بالفريسيين والصدوقيين ، المتربصين المترصــدين ، وقد تضامت منهم الصفوف والتأمت ، فوقفوا جميعا له بالمرصــاد ، لعلهم أن « يصطادوه بكلمة » تشفى منهم الغليــل وتتيح لأعصابهم النافرة المتوترة أن تهــدأ وتستقر ! ! ٠٠

اننا نراه هنا ، ونراه هناك ٠٠٠ نراه وقد علا ذرى النجاح والمجد آونة ، أو صار مطية للنبذ والانكار أخـرى ٠٠٠ ولكنـه يظل على مختلف الظـروف والأحوال هو هو : لا يتنكر لمبـدأ ، ولا يتقلب فى رأى ، ولا يتناقض فى قول ، ولا ينكمش أمام حدث ، ولا ينقاد لنزوة ، ولا يخضـع لتغير ، ولا يأخذه تلون ودوران ٠

ان المسيح ليؤمن بمـا يعلم ، وان ايمانه لهو من هذا النوع الذى يفيض تألقا ، وتوهجا واشعاعا ٠ واذ هو كذلك ، فانه لا يتعصب أو يتحزب أو يميـل مع الهـوى ٠

ان تعاليمه قد تكونمن نوع لم يألفه عامة الناس ، لأنه ليس عاديا بالنسبة لسائر النـاس ٠٠ ولكن هذا لا يعنى بحال أنه لم يكن سويا كأحسن الاسوياء فى غير انحراف أو التواء ٠

ومع أن « الكتاب » ذاخر بالبينات الكثيرة على ناسوته ، فهو يذخر بنفس القـدر بالبينات على لاهوته ٠ لأن فيه اجتمع اللاهوت والنـاسوت وهمـا قـط لا يفترقان « لحظة واحدة أو طرفة عين » ! ٠

كان المسيح يشعر بالتعب ، والحاجة الى النوم ، والأكل ، والشراب ، كسائر النـاس ٠ وكان مثلهم ينفعل بالحب والحزن والفرح ٠٠ كما للبشر نصيب من هذه الانفعالات ٠٠ ومع ذلك فانه لم يكن مجرد الانسان الذى نراه فى بنى الانســـان ٠

ولعـل أروع ما يثير فينا العجب منه والانبهار به ، أنه لم يكن محيا لذاته أو مؤثرا لنفسه على غيره على وجه من الوجوه ، أو بحال من الاحوال ٠

ومع يقينه بأنه اله ، فانه لم يصـعر قط خـده للناس ، ولم يؤخـذ بكبر أو تيه ، ولم يركبه صـلف أو تشـامخ ، بل انه لم يشـمخ بأنفـه على النـاس شأن من يتوهم أنه فوق المكانة العـادية التى لمستوى النـاس ٠

لقد كان وديعا متواضعا بحق وبكل ما يحمله لفظا الوداعة والتواضع من معنى ومضمون ٠

ومع أن تعليمـه كان يدور حول نفسـه ، وكان يتمركز فى ذاته ، الا أن معاملته للنـاس ، وتعامله مع الناس ، لم يكن للذات فيهما اعتبار أو نصيب ٠

وقد اجتمع للمسيح فى ذاته أعظم قدر لاحترام النفس ، مع أعظم قـدر للتضحية بالنفس فى ذات الوقت ٠

واذ كان يعرف نفسه ربا للكل ، فقد أخلى ذاته ليكون خادما الكل ٠٠ وهو لا يكف قط عن أن يذكرنا بأن ابن الانسان « لم يأت ليخدم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مز ١ : ٤٥) ٠

ان تنازلات المسيح كثيرة وجبارة . لقد ترك أمجاد السماء وأفراحها ، ونزل الينا على الارض ليبلو عناءها وأتراحها ٠٠ ترك السماء حيث الحصانة ضد الخطية أبدية ، وأتى الينا على الأرض التى يملأ الشر كل فج من فجاجها ٠

لقد جاء من أم يهودية معدمة ، وولد في مزود للبقر حقير ، وجاء الى مصر لاجئا مذعورا ، وعاد الى الناصرة نجارا مأجورا ٠٠٠ ولم يكن له من هم الا أن يكد ويجد ويسعى ، ما وسعه كد وجد وسعى ، ليعول أمه ــ وربما بعض قرابتها ــ حتى اذا ما جاء الوقت ، أخذ يطوف كارزا بين المدن والدساكر والقرى، وبين النجوع والحقول والزروع وفى الخلاء ٠

انه ما كان يملك شيئا ، أو كان هذا الذى يملكه تافها بحيث لا يعد ــ اذا ما قيس بالأشياء ــ شيئا ٠ ولم يكن له مكان يستطيع أن يسند اليه رأسه ٠ أما أصدقاؤه فقد كانوا من الصيادين البسطاء والعشارين الذين كانوا هدفا للتحقير والازدراء ٠

أما تلاميذه ٠٠٠ فكم عانى من حماقاتهم ، وكم قاسى من تطلعاتهم ٠٠٠؟! لقد اضطر ذات مرة الى أن يغسل لهم أرجلهم ، كما كان يغسل العبيد أقدام سادتهم ٠٠٠ ليعلمهم فضيلة التواضع وانكار الذات ! ! ٠

ولم يستنكف المسيح من أن يلمسه البرص ، بل أنه سمح للساقطات أن يلمسنه ! ٠

وقد وهب نفسه لكرازة نشيطة ، مؤثرة ، دائبة ٠ قوامها التعليم والارشاد والهداية ، وشفاء الأمراض ، وعمل الخير ــ كل الخير ــ للناس على كافة الالوان والأجناس ٠

وكم من مرة أساء الناس فهمه ، فأساءوا معاملته ، فغدا ضحية بريئة لتحزبهم وتعصبهم ، وهدفا لتحقيرهم وزرايتهم ! وحتى من كانوا خاصته وحوارييه ، فقد أداروا له ظهورهم ونبذوه ! ! ٠

أما هو فقد أسلم ظهره للسياط ، ووجهه للبصاق ، وأحنى رأسه ليكلل بالشوك ، وقدم يديه ورجليه لتثقب بالمسامير ، ثم علق على خشبة شأن القتلة والاثمة الفجار ٠٠٠ وعندما برحت به الآلام ، وبلغ أسوأ غايات التبريح أخذ

يصلى من أجل صالبيه ومعذبيه : « يا أبتــاه ! اغفر لهم لأنهم لا يعـلمون ماذا يفعــلون » (١) ٠

حقا أن عقولنــا لتعجز عن ادراك كنه هذا الانسان ، بالقدر الذى نعجز نحن به عن الارتفاع الى قامة كل هذه الكرامات والكمالات ٠

---

(١) فى أحلى العبارات لفظا ، وأعذبها جرسا ، وأسماها روحانية ، يصور القديس اغريغوريوس صاحب القــداس المعروف باسمه ، فداحة الشر ، وفجور النــاس بالقيــاس الى قداسة الله ، فيقــول :

« قدوس أنت أيها الرب ، وقدوس فى كل شىء ٠٠٠ وبالاكثر مختار هو نور جوهريتك ، وغير موصوفة هى قوة حكمتك ، وليس شىء من النطق يحد لجة محبتك للبشر ٠٠٠

« خلقتنى انسانا كمحب للبشر ، ولم تكن أنت محتــاجا لعبوديتى ، بل أنا المحتــاج لربوبيتك ! ٠٠٠

« من أجـل تعطفاتك الجزيلة كونتنى اذ لم أكن ٠ أقمت السماء لى سقفا ، وثبت لى الارض لامشى عليها ٠٠

« أنت الـكائن فى كل زمان ٠ أتيت الينــا على الارض ٠٠ أتيت الى بطن العذراء ، أنت الاله غير المحوى ٠٠٠ أخــذت شكل العبد ، وباركت طبيعتى فيــك ، وأكملت ناموسك عنى ، وعلمتنى القيــام من سقطتى ٠٠٠

« وهبت النظر للعميان ، أقمت الموتى من القبور » ٠

« (من أجــلى) احتملت ظلم الاشرار ٠ بذلت ظهرك للســياط ، وخديك أسلمتهما للطم ٠ ومن أجلى لم ترد وجهك عن خزى البصــاق » ! ٠

وعلى نفس القــدر من العذوبة والروحانيــة جاءت كلمات صلاة « القســمة » تعبر عن المعــانى السابقة ، فتقول :

« أيها الكائن الذى كان ٠ الداتى الأزلى قبل الأكوان ٠٠٠ عنصر المراحم والرأفات ٠٠ الذى شاء بارادته أن يتألم عوض الخطاة الذين أولهم أنا ٠٠٠

« انك لمــا أردت أن تخلصنى ، لم ترسل لى ملاكا ، ولا رئيس ملائكة ، ولا نبيا ٠٠٠ بل أنت وحــدك نزلت من حضن أبيــك الى بطن العذراء ٠٠ وصرت كحقير ، ومشيت على الارض كانسان ، وهذا هو العجب فى اتضاعك ! ٠ من أجلى قبلت العار والتجديف ، وقبلت الهوان والسب والتهديد واللطم ٠٠٠ وحملك الشعب القــاسى خشبة الصليب من أجلى ، أنا الحامل قضية الموت بارادتى ! ٠٠

« ضربك الأثمــة على رأسك ، ونفضوا البصاق فى وجهك ٠ ووضعوا اكليل شوك على رأسك ، وقصبة فى يمينك ، وصاروا يستهزئون بك ، وأنت باتضاعك حملت كل هذا من أجلى ٠٠٠ ! =

لقـد كان سلطانه على نفسه كاملا ، وقدرته على ضبط نفسه لا حدود لها ٠ وبقـدر ما جابه من مواقف كانت مثيرة كل الاثارة ، فانه ما حنق أو ثار ، لأنه ما كان ليخرجه عن الجادة ، قول أو عمل أو فكر من الأفكار ٠

وكيف ، لمن أسلم ذاته لمشيئة الآب ، ولعمل الخير لجميع النـاس ، أن يطيش لبـه فينفعل ويهتاج ؟ ! ٠

ولنصغ اليه وهو يقول ٠ « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا ٠٠ لأني لا أطلب مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذي أرسلني (يو ٥ : ٣٠) ٠

وفي هذا الصـدد يكتب بولس الرسول : « لأن المسـيح أيضا لم يرض نفسه » (رو ١٥ . ٣) ٠

هذا الانكار للذات في أسمى صوره ودرجاته ، وهذا التسليم للنفس في أنقى صفاته وسماته ، والذي كان دائمـا طوع خدمة الله والنـاس ٠٠ كل هذا يركزه « الكتاب » في كلمة واحدة هي :

« المحبـة »

ـ فالمحبة لا تطلب ما لنفسها لأن لحمتها وسداها « التضحية » ٠

ان ومضة واحدة من ومضات المحبة ، تشع وتومض على أردأ النـاس قاطبة ، حرية بأن تجمله بكل زينة ، وتحيله انسانا من أبر النـاس ٠

أما المسيح ، فقد أضفى من حياته على المحبة ذاتها وضاءة وضياء ، ولألأ وسناء لن يخبو على الدهر منها شيء ٠ ولن يكون لجذوتها ركود أو فناء ٠

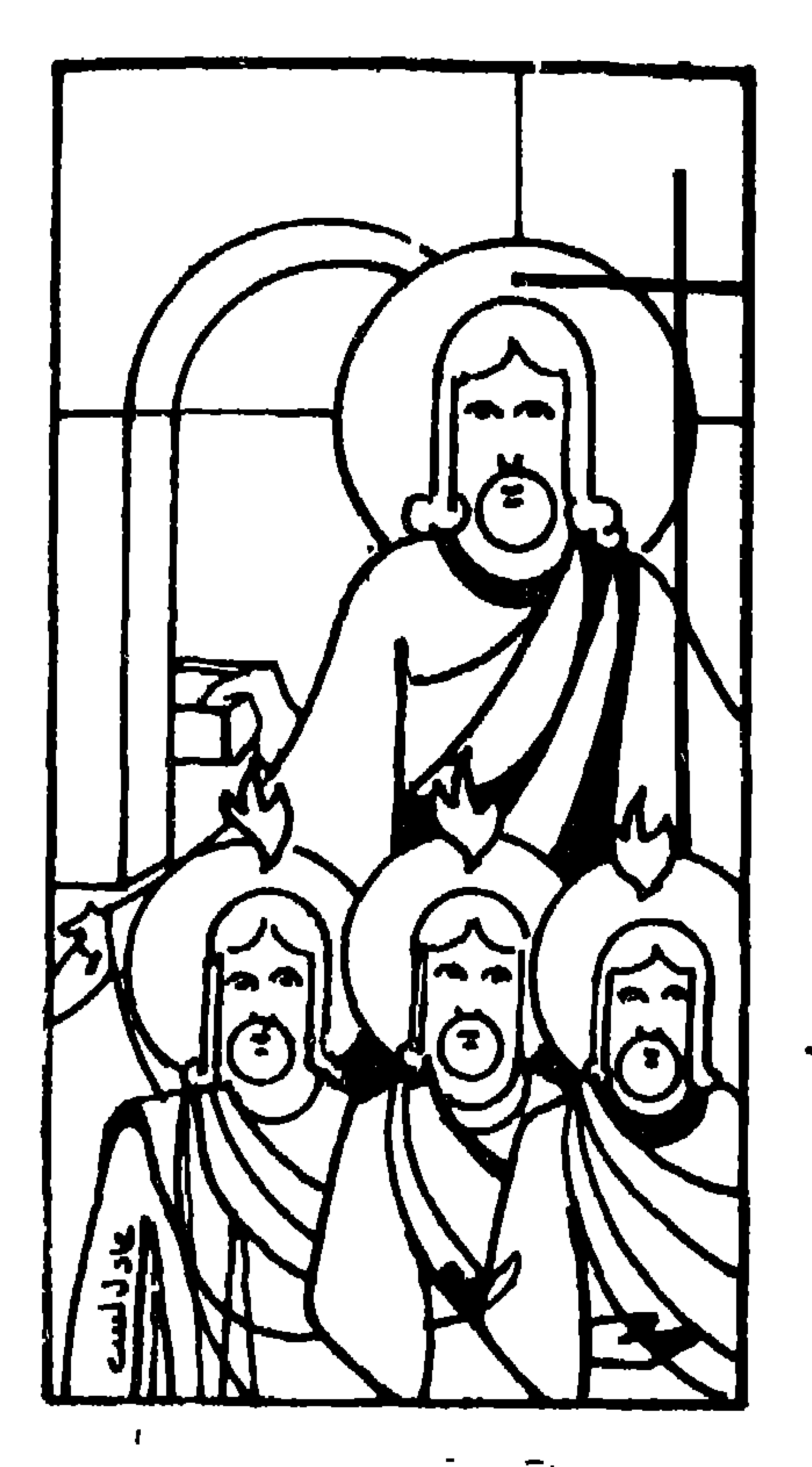
ـ وخلاصة الأمر كله :

ـ أن المسيح كان بغير خطية ، لأنه تجرد عن حب الذات ٠٠

وكان تجرده على هذه الصورة من حب الذات ، لأن قلبه كان قد أفعم حبا لنـا ومحبة ٠٠ والمحبة هي الله ، أو كما جاء في تعبير الكتاب ٠ « الله محبة » ٠

= « رفعوك على العـود أنت الرافع كافة الجهات بقوتك ٠٠ وفي وقت عطشـك سقوك خلا ، أنت الساقي جميع الخليقة من نعمتك ! ٠٠

« أوقفوك في الحـكم كحقير ٠ لطموك على خدك من أجلي ! ٠٠ جلدوك على ظهرك بالسياط ، ودفنت في القبر كالاموات ، لكي تدفن آثامي » ! ٠٠ (المعـرب)



الفصل الرابع

٤ قيامة المسيح والبراهين عليها

- القبر الفارغ .
- الأكفان التى لم تمس .
- ظهور الرب لكثيرين .
- التلاميذ يتغيرون .

الفصــل الرابــع

قيامة المسيح والبراهين عليها

تعرفنا فيما سبق الى شهادات المسيح عن نفسه ، وما نسبه من امتيازات لذاته ، وعرفنا كيف كانت كل أعماله تنم عن انكار للذات عجيب فريد ، وليس له من شبيه أو نظير ٠

ونعرض الآن لدراســة الأدلة التى نســتطيع أن ندلل بها على قيامته من الأموات ، لأن ما يترتب على القيامة جد خطير ٠

اننا حين نقدم البرهان على أن يسوع « الذىمنالنــاصرة » قام منالأموات فاننا ندلل بالتــالى على أنه ــ دون أدنى ريبة أو شك ــ فريد عجيب ، تفرد بذاته فما كان له من شبيه أو ضريب ٠

والمسألة ليست أنه باق حيا روحيا ، أو أنه عاد الى الحياة جسديا ٠٠٠ فالمهم أنه كسر شوكة الموت ، وقام الى أفق جديد من الوجود ، ولم يكن ســواه من استطاع أن يجتاز المعمعة أو يجوز الاختبار ٠

ومع ذلك فقد وجد من سخر من القيامة ، كما قد سخر أولئــك الفلاسفة الأثينيون ، الذين عناهم بولس الرسول بقوله : « ولمــا ســمعوا بالقيــامة من الأموات ، كان البعض يستهزئون » (١ ع ١٧ : ٣٢) ٠

وقد يرى البعض أن قيامة المسيح ليست فى ذاتها برهانا ــ لا برهان بعده ــ على لاهوته ، وان كانت مؤشرا عليه ! فهو كانسان دخل الى دنيانا بطريقة تفوق الطبيعة ٠ فكان للعــالم أن يتوقــع أن يــكون خروجه منها بطريقة تفوق الطبيعــة ٠

على انه مما يلفت النظر حقا ، بل ويدعو الى غير قليل من التأمل :

●● أن ميلاد المسيح كان طبيعيا ، بينما كان الحمل به بطريقة معجزية تفوق الطبيعة ! ٠٠ وأن موت المسيح كانطبيعيا ، بينما كانت قيــامته بطريقــة معجزية تفوق الطبيعــة ! ٠٠ وأن الحمــل والقيــامة المعجزيين كانا مما يتلاءم ونسبة اللاهوت اليــه ! ٠

وهنـا ملاحظة جديرة بالاعتبار : فالمسيح ما تحدث عن الآلام التى كان مزمعا ان يجتاز ، وما تحدث عن الكأس التى كان عتيدا أن يشرب ٠٠ ألا تحدث على الفور عن قيامته التى سـتكون بمثابة المعجزة والآية ، وقد أشـار بولس الرسول فى مستهل الرسالة الى أهل رومية الى هذا بقوله :

« وتعين ابن الله بقوة ، من جهة روح القداسة ، بالقيامة من الاموات » (رو ١ : ٤) ٠

وكم كرر الرسل فى عظاتهم الأولى (كما سجلت فى سفر الأعمال) القول بانه بالقيامة ابطل الله حكم الموت على الانسان وأبدله ، مزكيا ابنه ، الذىبذله من أجلنـا ! ٠

على أن لوقا البشير ، وهوالمؤرخ المدقق ، يقول عنالمسيح : « الذى أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة » (١ ع ١ : ٣) ٠

ومبدئيا فسوف لا نقفز الى هذه النتيجة التى سجلها « توماس ارنولد » حين قال : « أن القيامة أقوى حقائق التـاريخ التى تدعمها البراهين » ويكفينا مبدئيا أن نقول ان أكثر الدارسين ممن عرفوا بالحيدة والانصاف ، وصفوا هذه البراهين بأنها صالحة الى أبعد الحدود على اثبات القيامة ٠

وكتب « سـير ادوارد كـلارك » الى صـديق له من رجال الدين يقول : « بصفتى أعمل محاميا ، قد درست الأحداث التى جرت يوم قيامة المسيح ، ادق دراسة ، ومن رأيى أن الأدلة على القيامة قاطعة حاسمة وباتة ، وليس فيها البتة من ثغرة لشك ٠ وقد كسبت ، أنا نفسى ، قضايا ببراهين وأدلة دون هذه قوة ، أمام المحكمة العليا ٠ أن الشهادة الصـادقة للشـاهد الأمين ، هى تلك التى تصدر عنه عفوية لا مداجاة فيها ولا صنعة ٠ وهو اذ يصدرها فان النتـائج التى تترتب عليها لا تكون موضع خشـية منه أو تهيب أو حسـاب ٠ وحسبه انه أدلى ، فى صدق ، بما عنده ، وفى هذا وحده تكون راحة ضميره ٠

والأدلة على القيامة من هذا النـوع ٠ وانى كمحام ، أقبلهـا باعتبارها شهادة صادرة ممن هم أهل للثقـة ، وباعتبارها قاطعة حاسمة فيما تناولته من حقائق ، وفى التـدليل بها على صحتها » ٠

فمـا هى هذه البراهين والأدلة يا ترى ؟

اننـــا سنحاول أن نلخصها فى حقائق أربع :

+ القـــبر الفـــارغ ٠
+ الأكفان الموضوعة كما هى ولم تمس ٠
+ ظهور الرب لكثيرين ٠
+ التغيير الذى ألم بالتــلاميذ ٠

أولا ــ القــبر الفــارغ

ان قصة القيــامة تبدأ فى الأناجيل الأربعة ، بذهاب النسوة « باكرا جدا فى صباح الأحد الى القبر » ٠ فما أن جئن الى القبر حتى ذهلن ، اذ لم يجدن جسد السيد مسجى فيه ٠

وهكذا كانت الحقيقة الأولى الواضحة الجلية : ان القبر كان فارغا ٠

وما هى الا أيام قلائل ، حتى أخذ الرسل يكرزون بالقيــامة ٠ ولقـــد كانت القيامة بالحق هى جوهر الرسالة التى اضطلعوا بالشهادة بها والابلاغ عنها ٠ فهل كان لهـــم أن يجازفوا بالجهر بأمر لم يكونوا فى كامل الثقـــة به ؟ وهو ذا القبر على مرمى حجر من البستان الذى فيه صلب يسوع ٠٠ وما كان أمام من يشك فى شهادتهم الا أن يقطع بضع خطوات ، ليرى ويحكم بنفسه ؟ ذلك أنه : « كان فى الموضع الذى صلب فيه (يسوع) بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد ، فهناك وضعا (أى يوسف ونقوديموس) يسوع لسبب استعداد اليهود ، لأن القبر كان **قريبـــا** » (يو ١٩ : ٣٨ ــ ٤٢) ٠

- فالقــبر الخالى كان اذن حقيقة واقعـــة ٠

ومن عجب ، فان هذه الحقيقة ، قد فسرت بشتى أنواع التفسير ٠ واختلفت فى تفسيرها وجهات النظر ، وتعددت فى شأنها النظريات ٠ وهذا ما سنعرض له الآن :

● (١) ولنبدأ بالنظرية التى تقول **بأن النسوة قد أخطأن القبر ، وقصدن قبرا آخر كان بالصدفة فارغا !** ٠ فاذا نحن سألنا : وكيف كان ذلك ، ومن أين جاء الخطأ ؟! قالوا : لأن الظلام كان حالكا والنسوة كن فى حالة نفسية (بسبب ما سيطر عليهن من حزن) يمكن معها أن يخطئن ! ٠

وهذه النظرية ، وان بدت فى ضوء النظرة السطحية غــير مستبعدة ، فهيهات لهـــا أن تثبت أمام الفحص والتمحيص ! ٠

ولنبدأ بهذا «الظلام» المفترى عليه ، ونسأل : هل كان حقا حالكا ، دامسا ، الى حد لا تستبين معه الأشياء ؟ ! ٠

واكى نقطع فى هذا برأى ، علينا أن نرجع الى ما سجله البشيرون فى هذا الصـــدد :

● يقول القديس يوحنا : « انالمجدلية جاءتالى القبر **باكرا والظلام باق**» (٢٠ : ١) ٠

● ولكن القديس متى يقرر أنه « بعد السبت ، **عند فجر الأسـبوع** ، جاءت مريم المجدلية ، ومريم الأخرى ، لتنظرا القبر » (٢٨ . ١) ٠

● ويذكر القديس لوقا أن النسوة « فى اول الاسبوع ، أول الفجر ، أتين الى القـبر ٠٠٠ » (٢٤ : ١) ٠

● ويقرر القديسمرقس فى وضوح . انه « **باكرا جدا** ، فى أول الاسبوع ، أتين الى القبر ٠ **اذ طلعت الشمس** » (١٦ : ٢) ٠

ومن هذه الأقوال مجتمعة ، يمكن القطع بأن الظلام لم يكن بالمقـدر الذى تستحيل معه الرؤية الصحيحة للأشياء والتمييز لهـا ٠٠ والنســوة قد يـكن زايلن بيوتهن فى حلكة الظلام ، ولكنهن وصلن الى القبر وقدخف الظلام كثيرا ٠

على أن هؤلاء الذاهبات الى القبر ، لم يكن من الغبـاء والغفلة بحيث يقعن فى خطأ كهذا ! ٠٠ **فمن بينهن اثنتان على الأقل (هما المريمان) كانتا قد رأتا « يوسف الذى من الرامة » ونقوديموس وهما يضعان جسد يسوع فىالقبر، اذ كانتا جالستين تجـاه القـــبر** » (مت ٢٧ ٠ ٦١) وكانتـا فى نفس الوقت « **تنظران أين وضع** » (مر ١٥ : ٤٧) ٠ بـل وأكثر من ذلك ، فقد عاينتـا كل اجراءات الدفن ، حين تبعتا يوسف مع أخريات « كن قد أتين معه من الجليل ، ونظرن القبر ، وكيف وضع جسده » (لو ٢٣ : ٥٥) ٠٠ « وبعدما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وسالومة ، حنوطا ليأتين ويدهنه » (مر ١٦ : ١) ٠ ومعنى ذلك أن المرأتين كانتا قد عادتا ومعهن ثالثة » ! ٠

٠ وماذا أيضا ؟ ان لوقا البشير يقرر أنه كانت هنـاك « مريم المجدلية ، ويونا ، ومريم أم يعقوب ، والباقيات معهن » (٢٤ : ١٠) ٠٠ واذن فقد كن أيضا كثيرات ٠ **ولو أن واحـدة أخطأت الطريق الى القبر ، لصححت الأخريات لهـا الخطأ ! ! على أن المجدلية ، لو كانت قد أخطأت الطريق فى المرة الأولى ،**

لما عاودت الخطأ فى المرة الثانية حين عادت فى وضح النهار ، حيث ظلت فى البستان حتى تقابلت مع يسوع ؟ ! ٠

أما عن القول بأن حزنا كان قد غمرهن فأعماهن ٠٠ فهل كانت النسوة ، المبكرات الى القبر ، حقا تحت وطأة حزن عاطفى غامر ، فاض بهن فأضلهن عن القبر الصحيح ؟ ! ٠٠ كلا ٠ فهن بالقطع لم يكن كذلك : لانهن جئن وأمامهن مهمة محددة أخذن على عاتقهن أن يقمن بها ٠ لأنهن اشترين حنوطا « ليأتين ويدهنه » حيث حال حلول السبت دون اتمام عملية التحنيط كما يجب أن تكون ! ٠

فما أجدرهن ـ ولهن هذه النزعة العملية ـ ألا ينخدعن ، أو يتركن عملا جئن لانجازه ؟ !

ثم ٠٠ لنفرض « جدلا » انهن أخطأن القبر ٠ فماذا عن بطرس ويوحنا ؟ هل كان من المعقول أن يقعا فى نفس الخطأ وهما من جاءت اليهما مريم تركض قائلة . « أخذوا السيد من القبر ، ولسنا نعلم أين وضعوه » فتوجها نحو القبر « يركضان معا » ليتحققا من الخبر ؟ ٠

ثم ٠٠٠ أما كان حريا بمن اتى بعدهما (ومنهم يوسف ونقوديموس اللذان أخذا جسد يسوع ، « فلفاه بأكفان مع الأطياب ، ووضعاه فى قبر جديد ، لم يوضع فيه أحد قط ٠٠٠ ») ٠٠٠ نقول أما كان حريا بهؤلاء جميعا ، ومن بينهم من لفاه بأكفان مع أطياب ، ودفناه فى قبر جديد ٠٠ ألا يشاركوا المخطئين خطأهم ؟ (١)

---

(١) يود المعرب ، أن يضيف قرينتين اخريين أو ثلاثا الى ما تقدم ، لعل المؤلف أن يكون قد فاته أن يشير الى ما نذكره هنا ، أو أنه تصور أن ما أشرنا اليه قد فهم ضمنا ، أو لعله قد أراد الايجاز فاكتفى بما ذكر .

أما القرينة الاولى ، فانه ما من امرأة جاءت الى القبر وحدها أو مع أخريات ، الا جاء النص « على أن الحجر كان قد دحرج عن القبر ٠٠ واذن فهو قبر ـ هذا الذى قصدته النسوة ـ لا حجر فوقه ٠٠٠ وليس هذا شأن القبور القديمة المليئة بالعظام النخرة حيث كان لزاما أن تغطى ٠٠ ومن ثم كان القبر جديدا ، ومتلائما مع وصف القبر الذى دفن فيه يسوع ٠ والقرينة الثانية : انه كان يظهر لكل قادم الى القبر ملاك أو ملاكان ، يتحدث أو يتحدثان الى القادم أو القادمة ، وأى قبر ذاك الذى يحظى بهذا الشرف غير قبر يسوع ؟ ! ٠

فان لم يكن فيما قاله المؤلف مضافا اليه هاتين القرينتين الكفاية للاقتناع فهنا قرينة ثالثة ٠ وهى أن قبر يسوع كان له ما يتم حتما عليه ٠ ذلك أنه « قبر جديد » لرجل =

● (٢) وهناك ، ثانيا ، النظرية التى تقول ان **المسيح قد أخذته اغماءة وراح فى غيبوبة ، ظلت معــه منذ أن صلب حتى قام** • وأصحاب هــذا الرأى يريدوننا على أن نصدق أن المسيح لم يمت على الصليب ، وأن كل ما حدث ، كانت اغماءة ، لم يفق منها حتى كان فى القبر • واذ أفاق ، خرج من القبر ، وأظهر نفسه لتلاميذه ! ! ••

وهــذه النظرية باطلة ، وبطلانها لا ريب فيه ، وكل الأدلة تشــجبها كما سيأتى بيانه :

فنحن نقرأ أن بيلاطس « تعجب لأنه مات كذا سريعا » (مر ١٥ : ٤٤ ، ٤٥) ولكنه رجع الى قائد المــائة ، يستفسر منه لأنه كان موجودا عندما طعنه « واحد من العســكر » فى جنبــه « وللوقت خرج دم وماء » (يو ١٩ : ٣٤) • **واذ تأكد بيلاطس أنه قد مات ، « وهب الجســد ليوســف »** فأخذه ، ومعه نقوديموس ، « ولفــاه بأكفان مع الأطياب ••• وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد ، لم يوضع فيه أحد قط • فهناك وضــعا يسوع •• لأن القبر كان قريبا » (يو ١٩ . ٤٠ ــ ٤٢) •

فهل يوجد من عساه أن يصدق ، أن الاغمــاءة « المزعومة » تظل نحوا من الست والثلاثين ساعة ! ، خاصة بعد ما اصاب يسوع من تعذيب ، وتجرع من غصص الألم والتبريح ••• قبل المحاكمة ، وفى أثناء المحاكمة ، وبعــد المحاكمة ••• من سخرية ومهانة ، ومن سياط سيط بها ، ومسامير دقت فى عظامه ، ومن دفن دون أن تضمد معه جراحه ، ومن وضع فى قبر بارد دون ما يرد عنــه الجوع أو البرد ••• ثم بعد ذلك ، أو الى ذلك ، تكون له القــوة التى يستطيع بها أن يرفــع حجرا ، اجمعت الاقــوال كلها على انــه كان « كبيرا » !! ••• ثم •• يقوم بهذا كله بحيث لا يــدع للحراس الأشــداء المتلئين قسوة وشراســة أن يروه ! ثم يروح (هذا الجــريح ، الطعين ،

= « غنى » ، « ومنحوتا فى صخر » وكانت له بالتبعية واجهة مطلية (اذ هو جديد) « تتناسب وجدته وثراء صاحبه » : أو لم يخاطب المسيح الفريسيين معنفا ، فشبههم « بالقبور المبيضة تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات ••• » (مت ٢٣ : ٢٧) •

وبعد ، فلنلخص ماتقدم فى ايجاز : فهنا قبر قد دحرج عنه الحجر ــ وهنا قبر قد خلا ممن فيه قد دفن ــ وأنه اذ كان خاليــا فلا بد أن يــكون ذلك القبر الجديد الذى ليوسف ــ واذ خــلا ممن كان يشغله ، فلأن يســوع قام حقا من الاموات ــ ومن بشر بالقيــامة ؟ انهــم ملائكة السماء وليسوا بشرا يمكن أن يوصفوا بالكذب أو بالخديعة فيقال انه شبه لهم ! ••

الجائع ، المعنى) يبحث عن تلاميذه ليبدو أمامهم كجبار قهر الموت وأطاح بما له من سلطان !! • ، ثم لا يكتفى بهذا ، بل يدعى انه كان ميتا فقام ، ••• وأخيرا يطلب الى تلاميذه أن يذهبوا الى العالم « أجمع » ، ليكرزوا بالانجيل « للخليقة كلها » واعدا اياهم بأنه سيكون معهم « كل الأيام ، والى انقضاء الدهر » (مت ٢٨) ••• وبعد هذا كله ، يختفى مدة أربعين يوما فى مكان ما لا نعلمه ، كما لا نعلم كيف كان يأوى أو يطعم ••• وأخيرا جدا ، يموت دون أن يراه أحد ••• الى ما لا آخر له من هذه الترهات ، والتخرصات ، والتخريجات التى لا يمكن أن تنطلى على انسان له ذرة من عقل أو قدرة على تفكير ، والتى فاقت كل ما عجز توما عن تصديقه ! ! ! •

● (٣) وهناك ثالثا ، الفكرة التى تذهب الى أن **لصوصا (ولا يهم من يكونون) ، قد سرقوا الجسد** • وهذه الدعوى كسابقتها ، لا تساندها بينة أو يؤيدها دليل • فضلا عما تنطق به من سخافة وحماقة وتفاهة • وليس أمام من يتصدى لهدمها الا ان يسأل **وكيف تأتى للصوص ان يسرقوه تحت بصر وسمع حراس عتاة « شددت عليهم حراسته »** ، فلم يسترع هذا ، كما لم يسترع نقل « الحجر الكبير » ، بصرا منهم أو سمعا ! •

ثم •• هل نسأل تفسيرا لتصرف لصوص يسرقون الجسد ، ثم يتركون الاكفان ، وعهدنا باللصوص الا يتركوا وراءهم شيئا ذا قيمة الا نهبوه واغتصبوه ؟ ! الا أن هذه الدعوى من التفاهة بحيث لا تستحق مزيدا من تعليق ، وهى فى ذاتها ، تحمل معول هدمها •

● (٤) وهناك رابعا ، الدعوى بان « **تلاميذه هم الذين سرقوه** » • وقد أشار القديس متى اليها ، فذكر أنه فى الغد الذى بعد الاستعداد « اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين : ياسيد ، قد تذكرنا ان ذلك المضل قال وهو حى انى بعد ثلاثة أيام اقوم •• فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب أنه قام من الاموات ••• » فأذن لهم بيلاطس فى أن يذهبوا ويضبطوه « فمضوا وضبطوا القبر بالحراس ، وختموا الحجر » (٢٧ : ٦٢ ـ ٦٦) •• ويستطرد متى الرسول فيوضح كيف أن الحجر الكبير ، • والختم الذى به قد ختم ، ••والحرس الشديد ، ••• كل أولئكم لم يحولوا دون القيامة •• مما حمل الحرس على ان يعودوا الى المدينة ، ليخبروا رؤساء الكهنة « بكل ما كان » • فأعطوهم فضة كثيرة قائلين « قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه » ونحن نيام ••• فأخذوا الفضة ، وفعلوا كما علموهم•• » (٢٨ : ١١ ـ ١٥)•

ولا تملك هذه النظرية بدورها الا ان تتوارى خجلا أو تسقط « من طولها » متهاوية ·· والا ·· **هل يعقل أن ينـام حراس ـ يهوداً كانوا أو رومانيين ـ حسن اختيارهم ، ثم ينامون جميعا ، فلا يبقى حارس واحد يقظا ؟!·· وفيم اذن كان اختيارهم للحراسة !؟**فان كانوا قد ظلوا يقظين ومستيقظين ، فكيف أتيح لعزل (دع عنك انهن كن نسوة) أن يمروا بالحرس فلا يسترعوا منهم التفاتا ، أو يلفتوا منهم نظرا ·· ثم يدحرج الحجر الكبير ، فلا تصدر من الحراس نأمة أو حـركة !!

على ان هناك عاملا نفسيا لا يصح اغفاله ، ويناهض القول بان تلاميذه « سرقوه » ، وذلك انهم اذ أخذوا يكرزون لليهود ، فان كرازتهـم انصبت فى الصميم على القيامة ·· وعلى ان « يسوع الناصرى هذا ، أخذتموه مسـلما بمشورة الله المختومة وعلمه السابق ، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه ، الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت » (اع ٢ : ٢٢ ـ ٢٤) ·

وهل كان التلاميذ ينادون بهذا ، وهم يعلمون انه ضلالة ، وخدعة ؟ ثم يستميتون فى الكرازة بما ادعوه وابتدعوه ، **فيتحملون الأهوال والعذابات فى سبيل رسالتهم هذه ، ويسجنون ويجلدون حتى الموت ، فى سبيل اسطورة ؟!!!**

ان زعما كهذا ، لا يمكن أن يجد من يستمع اليه فضلا عن الايمان به ··· وها هى ذى الاناجيل مع سفر الاعمال تجمع على ان الرسل كانوا الأوفيـاء المخلصين للرسالة ، ولو جاز (جدلا) أنهم كانـوا مخدوعين ، فما كانـوا قط مخادعين ! وما كان للمرائيين أن يكونوا مطلقـا من نفس طينـة الابـرار والشـهداء ! ·

● (٥) ونختتم هذه الجولة من هذه المزاعم والتخرصات بزعم لعـله أن يكون أضعفها وأوهنها على الاطلاق ··· وهو الزعم القائل بأن السـلطات **الرومانية أو اليهودية (والامران يسـتويان) هى التى أخذت جسـد الرب يسوع** ، وذلك بدعوى الحرص الشـديد على ان **يظل الجسـد بمنجـاة من السرقة ، وتفويتا لفرصة وصول التلاميذ اليه ! !** ·

وكما أنه لم ينهض دليل على الدعاوى السابقة ، فـان هذه الدعـوى لا يقوم عليها دليل ··· ثم لماذا سمح السـارقون (وقد سـرقوا الجسـد حرصا منهم على الا يـكونوا ضـحايا للقـول بالقيـامة) ··· لمـاذا سمحوا للتلاميذ أن يجاهروا (ولم تمر عدة أسـابيع قليلة) بقيامة المسـيح ·· **ولماذا (وهذا فى غاية الاهمية) لم « يبرزوا » الجسد الذى كان فى حوزتهم ،**

فيقضوا بابرازه على هذه البشارة الوليـدة فى مهدها ؟ ! أو لم يكن اليهـــود يخشون فتنة الشعب بهذا الدين الجديد ، بنفس القـــدر الذى كان يخشى به الرومانيون من تقلص ظلهم فى حكم البلاد ؟! فكأنهم بدلا من اظهارهم جسد يسوع معلنين ، على رؤوس الاشهاد ، ما قد صنعوا ، يمعنون فى اخفائه ، ثم يهيمون فى صمت عجيب ... حتى اذا ما أعيتهم الحيلة مع الرسل والمبشرين، يندفعون كل الاندفاع فى استخدام العنف معهم ، متعللين بشتى التعلات لالقــاء القبض عليهم ، وسـجنهم ، وجـلدهم ، والتآمر بالقتل عليهم ! ؟ .. أفما كان يغنيهم عن هذا كله أن يظهروا الجسد (لو أنه حقا كان فى حوزتهم) فيكفل لهم مجرد اظهاره القضـاء على كل قول بالقيامة ، بل والقضاء على هـذه الكنيسة الوليدة المؤسسة على القيامة ؟ ! ! .

ولكنهم (اذ كان زعمهم باطلا ، ولم يستطيعوا للجسد ابرازا) سكتوا ، واذ سكتوا غدا سكوتهم برهانا حيا ناطقا على القيامة التى بشر بها التلاميذ ، وبها « تلمذوا جميع الأمم » .

هذه هى مزاعمهم فى تفسير القبر الفـارغ واختفـاء جسد الرب ، على تنوعها ، وتعدد ألوانها .. وليس من بينها ، كما بينا بالدليل والبرهان ، مايمكن أن يكون له قوة اقناع وافحام .

« ومن حيث » انه ليس من بينها ما يعد صالحا للاقناع ، فلا مندوحة عن الأخذ بما سجله « الكتاب » من وقائع يوم الأحد الأول للقيامة ، والتى سجلت فى بساطة ، ورزانة ، وسلاسة تأخذ بمجامع الألبـاب .

ومؤدى هذه الوقائع والأحداث فى بساطة وايجاز .

ان الجسد لم تمتد اليـه يد بشرية ، لأن الله أقام يســوع ابنه كاسرا به شوكة الموت ، ومطوحا بمـا لهـا من هيلمان وسلطان ! .

+ + +

ثانيا ـ الاكفــان لم تمس

مما يشد الانتباه حقا ، ويدعو الى التأمل ، اجماع البشيرين على أن الجسد، وان خلا منه قبره ، فقد ظلت أكفانه حيث هى : لم تمس • وكان أكثر الرسل ابرازا لهــذه الحقيقة وتركيزا عليهــا هو القديس يوحنا • العــل مرد هــذا الى انه كان التلميــذ الذى جـــاء الى القـــبر ، ومعـــه بطـرس ، فى صبيحة ذلك اليـــوم الذى لم يـكن له شــبيه بين الايـــام لكثرة ما وقـــع فيـــه من أحــداث جســـام ! أيرجــع هذا الى أن يوحنــا كان شـــاهد عيان ، وأنه اذ يسرد قصة الأكفان ، فلأنه عاين ، وشاهد ، ورأى بعينيه ، باعتبار أنه كان ذلك « التلميــذ الآخر الذى كان يســـوع يحبه » ؟ وباعتبـــار انه هــو الذى ركض الى القبر مع بطرس ، فسبقه « وجاء أولا الى القبر ، وانحنى فنظر الأكفان موضــوعة ••• » حتى اذا ما جاء سمعان بطرس يتبعه ، دخـل القبر « ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأســه ، ليس موضوعا مع الأكفان ، بل ملفوفا فى موضع وحده » ••• فدخل يوحنا أيضا ـ ورأى فآمن » (٢٠ : ١ ـ ١٠) ؟؟ •

وبعــد ، فما هذا الذى رآه يوحنا فآمن ؟ •

ان السياق ليدل على أن الباعث على هذا الايمان لم يكن القبر الفـــارغ وحده ، بل كان من بواعثه أيضا تلك الأكفان التى ظلت قائمة فى مكانها فــلم يعبث بهــا أو تمس ! •

وقد كتب عالم لاهوت سابق بجامعة كمبردج بانجلترا فى كتاب له اسمه « السيد المقــام » ما يمكن أن نلخصه فيما يلى :

« لكى نفهم قصة الأكفان ، سنحاول أن نعيد بناء قصة يوحنا حتى تصير واضحة تماما لا يعتــورها نقص أو يدانيها غمــوض • أما ما ســجله يوحنا فنذكره فى كلماته هو نفسه ، حيث ذكر : « ان يوسف الذى من الرامة » جاء الى بيلاطس وسأله ، أن يأخذ جسد يسوع ، فأذن بيلاطس ، فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضا نيقوديموس ••• فأخذا جسد يســـوع ولفاه بأكفان مــع الأطياب ••• » وكان هناك قبر جديد ـ لم يوضع فيه أحد قط • فهناك وضعا يسوع ••• » (يو ١٩ : ٣٨ ـ ٤٤) •

فكأن يوسف ونقوديموس أخذا الجسد ، ولفا الكتان حوله طيات طيات كما تلف الضمادات ، وكانا ينثران الأطياب بين الطية والطية ٠ أما الرأس فانهما اختصاه بلفافة مستقلة (كما فى حالة لعاذر الذى خرج من القبر ٠٠ اذ ناداه يسوع — ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل) (يو ١١ ٠ ٤٤) ٠

وواضح أن الجسد اذ يكفن بأكفان ، والرأس اذ يلف بمنديل ، فان ثمة منطقة من الجسد ، تظل عارية ، هى الوجه والرقبة ٠٠٠ وهكذا جرت عادة الشرقيين أن يكفنوا ٠ ٠

والآن فلنتخيل أننا كنا شهود القبر عند القيامة ٠٠ فما عسانا كنا نرى ؟ هل كان ممكنا أن نرى يسوع ، وقد تململ فى مكانه ، ثم تحرك ، وتمطى ثم تثاءب ٠٠٠ ثم نهض قائما ؟ كلا بالتأكيد ٠ **فان القيامة على هذه الصورة تتواءم والافاقة من غيبوبة ! ! ٠٠ أما المسيح فقد مات حقيقة ، وقام حقا** من الأموات ، وقيامته حقيقة ، وليست انتعاشة من غيبوبة ! ! ٠ ومن ثم فقد انسل من الموت بطريقة معجزية الى قيامة مجيدة ٠٠٠ وكنا أحرياء ، ونحن نحملق فى القبر ، أن نرى الجسد ، وقد اختفى فجأة ، كما لو كان قد تبخر ٠٠٠ **كنا أحرياء أن نراه وقد انسل من بين طيات الأكفان انسلالا ٠٠٠** فتظل الأكفان على الهيئة التى كانت لها اجمالا ٠٠٠ عدا ما يحتمله انسلال الجسد من تغيير طفيف ، وعدا ذلك الثقل الذى كان يتخلل الأكفان بسبب الأطياب التى ما كانت لتقل عن مائة رطل ٠٠٠ ومن ثم تظل الأكفان مكورة مع انبعاج خفيف ، ثم تظل منطقة (هى منطقة ما بين الجسد والرأس) فارغة ، يتلوها منديل الرأس الذى كان ممكنا أن نراه مكورا ، وأن يكن هذا التكور غير كامل لانبثاق الرأس منه ! ٠

الا يذكرنا هذا بانسلال المسيح من بين الأبواب ومروقه منها ، وانسيابه من خلالها وهى مغلقة ليظهر لتلاميذه بعد القيامة » ؟ ٠

ونعود ، بعد ان انتهينا من وصف مؤلف « السيد المقام » للأكفان ٠٠٠ نعود فنذكر أن هناك خاصيات ثلاثا استرعت انتباه يوحنا فسجلها ، هى :

● (أ) أن الأكفان كانت **موضوعة** ، أو على التحديد ، أنه رأى الأكفان « **كما كانت موضوعة** » باعتبار هذه العبارة هى الترجمة الحرفية للنص اليونانى ٠ وقد كرر يوحنا العبارة مرتين (١٩ : ٥ ، ٦) ٠

● (ب) ان المنديل لم يكن « موضوعا مع الأكفان ، بل كان ملفوفا **فى موضع وحده** » ، أو على التحديد ، فى مكان الرأس ، **وعلى مسافة يسيرة من أكفان الجسد ، ولم يكن مطروحا كيفما اتفق** ٠

● (ج) ان المنديل كان « ملفوفا » (**ويفيد النص اليونانى ، وهو الأصل، انه كان مكورا بعض التكور**) ··· أى انه كان على الوضع الذى كان له حين كانت الرأس فيه ·

واذن فقد كان من شان هذا الوصف ، أىالقبر الخالى والأكفان الموضوعة كما كانت والجسد فيها ، والمنديل وصورته التى وجد عليها ، والمسافة بينه وبين الجسد ··· كان من شان هذا كله أن يوحنا « رأى وآمن ·»

فهل كان بوسع المشاهد لهذه الأكفان ، التى لم تمسسها يد انسان ، وكأن الجسد قد انسل منها انسلال الفراشة من الشرنقة ··· هل كان بوسعه، وهو يشهد هذه الشواهد القوية الماثلة أمامه ··· الا أن ينادى بالقيامة ، لا سيما وشهادة المجدلية تؤيدها وتزكيها ! فها هى ذى تقف « عند القبر خارجا تبكى ··· وفيما هى تبكى ، انحنت الى القبر ، **فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين ، واحدا عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعا** » (يو ٢٠ : ١١ ، ١٢) ·

أما الوضع الذىكان للملاكين فانما يعنى ، بالضرورة ، أنهما كانا جالسين **وبينهما الأكفان** ·

ثم يضيف متى الرسول الى ذلك ، أن الملاك قال للمرأتين (أى المجدلية ومريم الأخرى) « ليس هو ههنا · لأنه قام كما قال · هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه » (١٦ : ٦) ·

ويشير مرقس الرسول الى أن الملاك قال للمجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وسالومه : « لا تندهشن · أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب · قد قام · ليس هو ههنا · هو ذا الموضع الذى وضعوه فيه » (١٦ : ٦) ·

ففى القولين ، وفى الاشارة الى الموضع الذى وضع الجسد فيه ، والمكان الذى كان يشغله الملاكان عند الرأس والرجلين ، والشهادة التى فاه بها الملاكان ·· ان هذا كله كان فيه الدليل الذى لا يرد ، والبرهان الذى لا يدحض ، على القيامة المجيدة من الأموات ·

\+ + +

ثالثا ـ ظهور الرب لكثيرين

كل قارئ الأناجيل يعـرف ما جاء به من قصـص عجيبة عن ظهورات المسيح ، بعد قيامته ، سواء لتلاميذه أو لآخرين كثيرين غيرهم ··· وكان ظهوره لهؤلاء وأولئك ، فى أكثر من مناسـبة ومـكان · ومن هذه المرات التى ظهر فيها والتى قال عنها بطرس الرسول : « أعطى الله أن يصير ظاهرا ، ليس لجميع الشعب ، بل للشهود سبق فانتخبهم ·· لنـا نحن الذين أكلنا وشربنا معـه بعد قيامته ··· » (١ ع ١٠ : ٤١) ··· من هذه المرات نستطيع أن نسجل ، على الأقل ، عشرا ـ منها ·

● ظهوره للمجدلية عند القبر قائلا لهـا « يا امرأة · لمـاذا تبكين ؟ من تطلبين ؟ » حـتى اذا ما عرفته حـذرها من أن تلمسـه ، وأمرها أن تذهب لتخبر تلاميذه » · فتسرع وتخبر التلاميذ « انها رأت الرب ، وانه قال لها هذا » (يو ٢٠ . ١١ ـ ١٨) ·

● وظهوره للعائدتين من القبر ، اذ فيما هما كانتـا منطلقتين لتخبرا تلاميذه ، « اذا يسوع لاقاهما ، وقال سلام لكما ، فتقدمتا ، وأمسكتا بقدميه ، وسجدتا له » (مت ٢٨ : ٩) ·

● وظهوره لبطرس ، على ما رواه لوقا : « وهم (الأحد عشر) يقولون ان الرب قام بالحقيقة ، وظهر لسمعان (بطرس) ـ (لو ٢٤ : ٣٤) أو كما جاء على لسان بولس « وانه ظهر لصفا ، ثم للاثنى عشر » (١ كو ١٥ : ٥) ·

● وظهوره لتلميـذى عمواس · اذ بينما « كانا يتـكلمان عن جميـع هذه الحوادث ، ويتحاوران ، اقترب اليهما يسوع نفسه ، وكان يمشى معهما ، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته ··· » (لو ٢٤ : ١٣ ـ ٣٥) ·

● وظهوره للعشرة الذين كانوا بالعلية ، اذ أنهم بينما « كانوا يتكلمون بهذا ، وقف يسوع نفسه فى وسطهم ، وقال لهم سلام لكم ، فجزعوا وخافوا ، وظنوا أنهم نظروا روحا ، فقال لهم ما بالكم مضطربين ··· انظروا يدى ورجلى انى أنا هو ··· » (لو ٢٤ : ٣٦ ـ ٤٢) ·

وفى رواية القديس يوحنا ، انه بينما « كانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين بسبب الخوف من اليهود ، جاء يسوع ووقف فى الوسط ، وقال لهم سلام لكم · ولما قال هذا أراهم يديه ورجليه » (٢٠ : ١٩ ــ ٢٣) ·

● وظهوره للأحد عشر ــ وكان توما من بينهم ··· « فجاء يسوع والأبواب مغلقة ، ووقف فى الوسط ، وقال سلام لكم ، ثم قال لتوما : هات اصبعك الى هنا ، وابصر يدى ، وهات يدك وضعها فى جنبى · ولا تكن غير مؤمن ، بل مؤمنا · أجاب توما ، وقال · ربى والهى » (يو ٢٠ · ٢٤ ــ ٢٩) ·

● وظهوره بعد ذلك ، ومرة واحدة ، « لأكثر من خمسمائة أخ ، أكثرهم باق الى الآن ، ولكن بعضهم قد رقدوا » (١ كو ١٥ : ٥) ويرجح أن هذا الظهور كان عند سفح الجبل فى الجليل ·

● وظهوره ليعقوب (١ كو ١٥ : ٧) ·

● وظهوره لبعض التلاميذ ، وكان من بينهم بطرس ، وتوما ، ونثنائيل، ويعقوب ، ويوحنا ··· وكان ذلك عند بحر طبرية (يو ٢١ : ١ ــ ٢٣) ·

● وظهوره على جبل الزيتون لكثيرين عند صعوده الى السماء (لو ٢٤ : ٥٠ ــ ٥٣) ·

● ثم يضع بولس الرسول نفسه فى آخر القائمة بالنسبة لمن رأوا الرب المقام فيقول : « وآخر الكل كأنه للسقط ، ظهر لى أنا » (١ كو ١٥ : ٨) وكان هذا الظهور ، عند اقترابه من دمشق ، حين أبرق على حين بغتة حوله نور من السماء ، « فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده ·· وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدا » (١ ع ٩ : ٣ ــ ٧) ·

● ويخبرنا لوقا الانجيلى فى مستهل سفر الأعمال ، أن يسوع « أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تألم ، وهو يظهر لهم أربعين يوما ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (١ ــ ٣) ·

واذن فهناك ظهورات أخرى كثيرة ، ولكنها لم تدون فى «الكتاب »

وبعد ، فاننا لا نستطيع بحال أن نغفل أقوال هذه السحابة من الشهود

ولكن القيامة تعرضت بدورها لكثير من الروايات ، والتخريجات ،

والتــأويلات ، وها نحن أولاء نعرض لهــا فيما يلى : وهى لا تخــرج عن قول البعض أنها **مختلقة ملفقة** ••• ، أو قول آخرين أنها **حالات من الهذيان** هــذى بها من مشاهدوها ، ثم يأتى أخيرا دور المنصفين • وهؤلاء يقولون : « حسن ، واذا ثبت أنهــا لم تختلق ، ولم تكن موضوع هذيان لمخرفين ، أفما تكون اذن **حقيقة واقعة** بها النــاس يسلمون ؟ » •

والآن فالى تفنيدنا للزعمين الأولين حتى اذا ما ذابا أمام شمس الحقيقة، لم يبق الا القول **بأن القيامة هى حقيقة الحقائق** وأن فيها وحــدها القول الفصــل والخــبر اليقــين ! •

(ا) أما انها مختلقة ، فان دحضه لا يحتاج منا الى كثير قول ، أو كبير عنــاء • وذلك لسبب بسيط ! **فالروايات عن القيامة** وظهورات السيد المسيح ، **وردت جادة رصينة ، وليس من مكان فيها لصنعة صانع ، أو ابتداع مبتدع ، أو تزويق ملفق** • ثم هى تحمــــل من التفاصــيل مالا يتــاح الا لمشــهود عيــان أن يصفوه ••• فقصة التلميذين الراكضين الى القــبر ، وقصــة التلميــذين المنطلقين الى عمواس ••• **بهما من الحيوية ودقة التصــوير والتفصــيل ، مالا يتأتى لملفق مختلق** ، وما ينأى بهما عن الاختلاق والتلفيق •

وفى الحقيقة فان الروايات عن القيامة تفتقر الى ما يعمد اليه الملفق من حرص شــديد على أن يكسب تلفيقه الحبكة والاتقــان ، مما قد لايتوفر لراوى الحقيقة أو من ينقل عن الواقع ! ولو أن أحدا كلف أن يبتدع أو يخترع شيئا مما يتصل بالقيامة ، **لتحاشى مثلا بعض ما نجــده فى روايــات الأناجيل عنها ، من أحداث تحير وتريك ! ولاستطاع أن يخفف من حدة الوصف الذى وصف به الرسل كمذعورين أو متشككين !** ولأضاف الى أحداث القيامة ما يكسبها مسحة تأثيرية درامية ، نرى من خلالها ابن الله مثلا وقد تسربل بالجلال والبهــاء ، يصول محطما اغلال الموت ، ثم ••• فى نشوة من انتصار ، ومن ظفر واقتدار ، يقوم قيامة تزلزل لها الأرض زلزالها ! ! •

ولكن أحد رواة القيامة **لم ير من كل هذا شيئا ، وبالتالى لم يدع حدوثه** ، وقط لم يسوغ لنفسه وصف ما لم ير • ولو أن الأمر كان قد ترك لمبتدع حــتى يفتن ويجود ويبتدع ، لمــا جعل المجدلية ، مثلا ، الشاهد الأول على القيامة ، تجنبا – على الأقل – للسخرية اللاذعة التى عمد اليها كاتبملحد مثل « رينان » الذى شاعت له وقاحته ، وسول له قلمه القذر ، أن يسطر هذا الاسفاف : « هوذا هذيان امرأة عابثة ، يهدى الى العــالم الهــا معــادا الى الحياة » ! ! ••

واذن ، **فسرد الانجيل للأحداث ، صاحبته سذاجة وبراءة ملحوظتان** ••

وهمــا ، بدورهما ، يعدان دليلين ضد الاختــلاق لا شــبهة فيهما ، ولا مجــال للانتقاص منهما ! ٠

ولكن هناك ماهو أكثر من هذا ، لمحق ادعاء الاختلاق ، ودمغه بالبطلان ٠٠ فها هم أولاء الرسل والبشيرون يجمعون ، ومعهم الكنيسة الأولى ، على الايمان الذى لا يتزعزع أو يلين ، بأن المسيح بالحقيقة قام ٠٠ وها هو ذا العهد الجديد يعبق جوه بعبيق الظفر ، ويتضوع بعبير الثقة واليقين ٠٠ لأن المسيح بالحقيقة قام ، « وصار بكر الراقدين » ٠

(٢) اما ان القول بالقيــامة كان من قبيل الهــذيان ، فللرد عليــه نبدأ بتعريف الهذيان ! ونسأل : ما عساه أن يكون ؟ اننا نستطيع أن نقول عنــه انه ذلك الشــعور الظاهرى بشىء لا وجود له فى عالم الواقــع ، ويغلب أن يــكون الهـــاذى حينئذ مصــابا بمرض عصبى ، ان لم يــكن بقواه العقلية الكثير من الخلل والاضطراب ٠

وهل منــا من لم يصادف أناسا يرون من الأشياء أو يسمعون من الأصوات ما ليس موجودا على الاطلاق ؟ ! ٠ ثم يحيون لحــظات ، تقصر أو تطول ، فى دنيا ، خلقوها لأنفسهم ، من وهم وخيال ؟ ! ٠

والســؤال الآن : هل كان التلاميذ من هذا الصنف من الناس الذين اختل توازنهم ، فاختلت معهم الموازين ؟ مطلقــا ! ولئن جاز لقــائل أن يقول هذا عن المجدلية (وبالفعل خول بعض المرجفين لأنفسهم أن يقولوه) **فلا يمــكن بحال أن يقوله عن بطرس على الرغــم مما نعــرفه عنــه من اندفاع ، ولا عن توما على ما نعلمه من شك طبيعى فيه وارتياب ! ٠**

نعم ان هناك حالات من الهذيان ، أصيب بها كثيرون ٠٠ ومع ذلك فنحن لا نعدهم من الشواذ المنحرفين لأن هؤلاء الأسوياء غير المنحرفين ، تكون عادة لهذيانهم سمتان :

الأولى : أن هذيانهم يظهر عندما يكونون قد وصــلوا الى ذروة تفــكير ارادى جامح (وسنفسر ذلك توا) ٠

والثــانية : أن تكون ظروف الزمان ، والمكان ، والمزاج ، جميعا ، مواتية لحدوث الهذيان ، بمعنى أن تتوفر لدى من بهم هذيان ، الرغبة الداخلية القــوية (وهى السمة الأولى) فى وقت يكون فيه الموقف الخارجى مهيأ لحدوث الهذيان ٠ فنحن اذ نقرأ ما روته الأناجيل عن القيامة نجد أنه لا مكان لواحدة من السمتين

السابقتين • فبدلا من أن نرى أية بادرة من تفكير ارادى ، نرى على العكس ، ••
أن المسيح قد أنزل جسده من على الصليب ، ولف فى أكفـان ، ودفن فى قبر منحوت فى الصخرة ••• والذى بدأه يوسف ونقوديموس من حيث طقوس الدفن فى مساء الجمعة ، جاءت النسوة يتممنه فى صباح الأحـد •• وهكذا مـات المسيح ودفن •• **وما كان ليخطر ببال أحد أن شيئا سيحدث بعد هذا الذى حدث!** ولكن ما أن وقعت عيون النسوة على القبر الفارغ ، حتى « **خرجن سريعا وهربن**• لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ••• وكن خائفات » • (مر ١٦ : ٨) ••• وهكذا عندما خبرت المجدلية ورفيقاتها بأن المسيح حى « **لم يصدقوا** » (مر ١٦ : ١١) وتراءى لهم كلامهن « كالهذيان » ، وعندما جاء يسوع نفسه ، ووقف فى الوسط جزعوا « **وخافوا** ، **وظنوا أنهم نظروا روحا** » (لو ٢٤ : ٣٧) ونال الخوف منهم حدا اضطر معه المسـيح أن « يوبخ عـدم ايمـانهم وقسـاوة قلوبهم ، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » (مر ١٦ : ١٤) •

أما توما فقد أبدى ـ فى غير قليل من الجفوة والبـداوة ـ عدم تصديقه بقوله : « ان لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع اصبعى فى أثر المسامير ، وأضع يدى فى جنبه ، لا أؤمن » (يو ٢٠ : ٢٤ ، ٢٥) •

وعنـدما التقى يسوع بالأحد عشر ، وبآخرين ، على جبل الجليل ، ورأوه سجدوا له ، **ولكن بعضهم شكوا** » (مت ٢٨ : ١٧) •

ففى كل ما تقدم لا نجد أثرا لهـذا التفكير الارادى لا عند التلاميذ أو عند أحد ممن رأوه •• **حتى تصديقهم لم يكن ذلك التصديق الساذج ، ولم يكن قبولهم لفكرة القيـامة ذلك القبـول الأعمى** ••• بل لعلهم كانوا على الأرجـح حذرين متسائلين ••• بل ان اثنين منهم قد وصفهما السيد بأنهما « الغبيـان والبطيئا القلوب فى الايمان بجميع ما تكلم به الأنبيـاء » •

ولكن هو ذا ايمان التلاميذ يبزغ فجره أخيرا ، وتشرق شمسه بعد ليل ، ولم يكونوا ليعرفوا ، قبل أن يمتلئوا بهذا الايمان ، كيف يصدقوا !!•

واذن فما كان للهذيان أن يجد لنفسـه تربة ينبت فيها فى مثل هؤلاء • بل انهم ـ على العـكس ـ قد أسسوا ايمـانهم على صـخور من الحقائق ثابتة راكزة راسخة ، متينة ••• وعلى اختباراتهم الشخصية التى لم ينقلوها عن أحد ، أو يروها لهم أحد •

كذلك انعدم ، مع انعدام التفكير الارادى ، وجود ظروف تصلح لأن تنبت فيها بذور الهذيان ! •

ولو أن قصة ظهور المسيح بعد قيامته اقتصرت على مكان بعينه كالعلية مثلا ، ربما وجدنا سببا للشك والارتياب · ولو أن الأحد عشر كانوا مجتمعين فى هذا المكان عينه ، حيث أمضى يسوع معهم الساعات الأخيرة ، وقد تركوا مقعده خاليا ، وأخذوا يديرون فى رؤوسهم الذكريات ، فى جو من الأسى والشجن والحنين ، ··· والمواعيد التى أعطاهم من حيث عودته اليهم ·· وراحوا يتساءلون أو هل يعود حقا ؟ معللين نفوسهم بالأمانى فاذا بالأمانى تتحقق فى ظهور مفاجىء ··· **اذن لقلنا انهم وقعوا ضحايا خدعة من حواسهم قاسية** ·· ولكن الأمر لم يكن هكذا مطلقا ·

ولو أننا استعرضنا مرات الظهور التى ذكرنا ، لاستبان لنا ذلك الاختلاف الواضح فى الأشخاص والأماكن ، وحالة مشاهدى القيامة المزاجية ·

فمن حيث الأشخاص ، فالمسيح قد ظهر لأفراد فى ثلاث حالات · وكان كل فرد وحده (المجدلية ــ بطرس ــ يعقوب) وفى مرة ظهر لاثنين معا (هما تلميذا عمواس) ــ ثم ظهر لعشرة ، على الأقل ، فى صبيحة يوم القيامة ــ ثم لأحد عشر ، أو أكثر ، فى يوم الأحد التالى لأحد القيامة ــ وظهر كذلك لأكثر من خمسمائة أخ مرة واحدة ، ويرجح أن ذلك الظهور كان فى الجليل ·

أما **من حيث أماكن الظهور** فقد تعددت وتنوعت · فمن البستان بقرب القبر، الى مكان فيما بين البستان والمدينة ، الى العلية حيث كان التلاميذ يجتمعون كثيرا ، الى الطريق الى قرية عمواس ، الى شاطىء بحيرة طبرية ، الى جبل الزيتون بالقرب من بيت عنيا ، الى أماكن أخرى من يدرى أين كانت ، وكم كان عددها ! · (١)

على أن **اختلاف وتعدد الأفراد** الذين ظهر لهم يسوع بعد القيامة ، **واختلاف وتعدد الأماكن** ··· ثم **اختلاف أوقات الظهورات** (مما أشار اليه

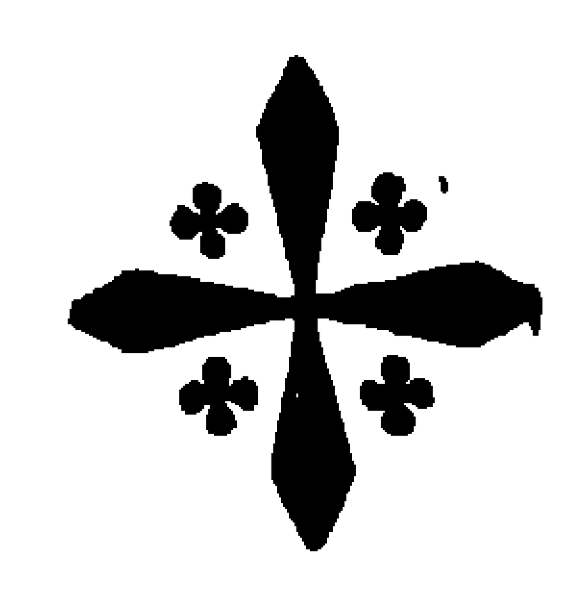
---

(١) فات المؤلف أن يشير الى **اختلاف اوقات الظهور** · ولهذا الاختلاف ، فى تقديرى ، نفس القوة واكثر ، فى الدلالة على مانحن بصدده ، فعهدنا بالمتاتين الهاذين أن يروا مايخلقونه لانفسهم من مرئيات فى مواعيد محددة غالبا ، وفى وحشة الليل على الاغلب ، كما يحلو لمؤلفى القصص التى يكثر فيها ظهور الاشباح أن يفعلوا (ومن هؤلاء كان شكسبير) ، ولكن المسيح ظهر مرة باكرا جدا ثم والشمس بعد خدرها ، ثم والشمس فى ضحاها ··· وظهر والشمس فى السمت ، وظهر والشمس تؤذن بمغيب ، ثم ظهر والليل ساج والظلام كثيف ··· ومن ثم فلم يكن ظهوره وهم هاذين أو رواية مخرفين ــ المعرب ·

المعرب فى الملاحظة الهـامشية السابقة) ··· ان **تنوع هـــذه العنــاصر** ، كما رأينا ، صحبه تنوع **واختــــلاف فى الحالة النفســية والمزاجيـــة للرائين** ··· فالمجـدلية كانت تبكى ، والنســوة كن خائفات ، وبطرس كانت تعـذبه وخزات ضميره ، وتنوشه لسـعات النـدم ، وتوما كان مسـوقا وراء شـكه ، منسـاقا لارتيابه ، وتلميذا عمواس كانا مشغولين بالتفكير فى الأحداث الخطيرة المتلاحقة خلال الأسبوع ، وسائر التلاميذ كانوا منهمكين فى صيدهم فى بحر الجليل ···

ومع كل هـذا ، وعلى الرغم من كل هـذا ·· وفى خضـم من المخاوف والشكوك ··· وفى غمرة من الحيرة والاضطراب ، وفى تأرجح بعض التلاميذ بين التصديق والتكذيب ··· فان الرب يسوع ، المقـام من الأموات ، يظهر لهم ذاته ، محطما المتاريس التى قامت تسد عليهم السبل الى الايمان ! ·

واذن ، فليس لانســان أن يغضى من شـان هذه الاعلانات عن الرب الاله المقـام ، أو يجسر على القول بأنها خبل مخبولين ، أو لوثة ملتاثين ، أو هذيان محمومين ! ! ··



(رابعــا)

التــلاميذ يتغــيرون

ولعل هــذا التغيير الذى طرأ على أشخاص التلاميذ هو أكبر البراهين جميعا على حقيقــة القيــامة ٠٠ وهو تغيير يبــدو لنــا طبيعيا لا تصــنع فيــه أو اصطناع له ٠ ولم يكن بد من حدوثه ، وأننا لنشاهده تلقائيا دون أن توجه الينا دعوة لمشاهدته ، أو دون لفت للأنظار اليه ٠٠٠ كما لعلها قد لفتت ، فيما سلف ، الى القبر الفارغ ، والأكفان المســجاة على الوضع الذى كانت به عنــد الدفن ، والى مرات ظهور الرب ، والذين كان من نصيبهم الصالح أن يروه ، وما كان هناك من ردود فعل للقيامة عليهم ٠

ولعلنــا أن نلمح من فورنا ذلك التطور الذى نال التلاميذ بالمقارنة بالحالة التى كانوا عليها عند موت المسيح ، ثم الصورة التى صاروا اليها بعد القيامة ٠

فالأناجيل ترينا التلاميذ ، عند موت المسيح ، وقد أوشكوا أن ينهاروا ، وترينا رجالا كادوا أن يسقطوا فرائس لليأس ، والقنوط ، وخيبة الأمل وضياع الرجاء ، وتزعزع اليقين ٠

ولكن الصورة منذ سفر الأعمال ، تتغير ، وتتبدل ، وتنقلب رأسا على عقب ! واذا بأولئك الجزعين ، المرتعدين ، المنزوين خلف الأبواب المغلقة «بسبب الخوف من اليهود » يخرجون فى وضح النهار ، وقد وضعوا أرواحهم على أكفهم من أجل اسم الرب يســوع ٠٠ واذا بالمسكونة تدين لهم ، واذا بالدنيــا تذعن لبشارتهم ، فتنقلب رأسا على عقب ٠٠٠ واذا بنا نرى رجلين كيهوذا وســيلا يوصفان (وهما بسبيل اللحاق بمهمة تبشيرية الى انطاكية مع بولس وبرنابا) كرجلين « بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح » (١ ع ١٥ : ٢٦) ٠

فالام يرجع هذا التغيير ؟ وما عساه أن يكون سر ايمانهم الجديد ؟ وما هى تلك القــوة التى بهــا تسربلوا ، والفــرح الذى ساد على قلوبهم ، والمحبــة التى فاضت بها أفئدتهم ، والحكمة التى نطقت بها ألســنتهم ، وجرت على أقلامهم ، وانعكست على كل رسالة من رسائلهم ؟ ٠

لاشك أنه كان للروح القدس الذى انسكب عليهم ـ فيما بعد ـ الفضــل فى كل هــذا ٠٠

ولكن اذ كان المسيح على الأرض ، ولم يكن قد صعد بعد ليرسل الروح القدس اليهم ••• فما الذى يمكن أن يقال سوى أن القيامة هى التى أطلقت العنان لكل هذه القوى الأدبية والروحية فتألقت ، وزكت ، وأينعت فأثمرت ؟

ونورد ، فى هذا الصدد ، المثالين التاليين :

● **أما المثال الأول فعن سمعان بطرس :**

لقد توارى بطرس فى قصة آلام المسيح ، بل لقد أنكره ثلاث مرات ! •• بل ولعله لم تكن فى الانكار كفايته ، فأخذ « يلعن ويحلف انى لا أعرف هذا الرجل » (مر ١٤ : ٧١) ••• وكأنه ما تذوق قط حلاوة العشرة مع يسوع ! •• ولكن ما ان صاح الديك حتى « خرج الى خارج وبكى بكاء مرا » (لو ٢٢ : ٦٢) وما أن مات المسيح ، حتى لاذ بالعلية ، خلف الأبواب الموصدة ، مع اخوته المذعورين « بسبب الخوف من اليهود » ••• وكأن الأمر عنده ، وعندهم ، قد انتهى الى غير مآب •

ولكننا ما أن نقلب صفحة أو صفحتين ، بعد هذه الرواية ، حتى نراه وقد وقف (وعلى الأرجح عند أولى درجات السلم المؤدى الى العلية) يعظ ويبشر فى جسارة ، وفى قوة ، جمهورا عظيما استطاع أن يربح منه نحو ثلاثة آلاف بعظة واحدة ! •

وما أن نقلب عدة صفحات أخر ، حتى نرى بطرس واقفا موقف تحد جسور ، وفى مواجهة جريئة سافرة ، لمجمع « السانهدريم » ذلك المجمع الذى سبق فحكم بالموت على يسوع ! • وهو (أعنى بطرس) فرح « اذ يحسب نفسه مستأهلا أن يهان من أجل اسم المسيح » ••• ثم نراه بعد ذلك فى سجنه ، وقد نام ملء جفنيه فى الليلة التى سبقت تنفيذ الحكم بالموت عليه ، حيث « كان بين عسكريين مربوطا بسلسلتين » (١ ع ١٢ : ٦) •

ان سمعان قد صار انسانا آخر ! ذلك أن ريح القيامة قد عصفت بالرمال التى كانت تخفى تحتها « الصخرة » (وهى المعنى الحرفى لاسم بطرس) فغدا هو ، بحق ، صخرة حقيقية صالحة لأن تبنى عليها الكنيسة ، ثم يعلو البناء حتى ليطاول السماء ! •

فما هو السبب فى كل ما ألم به من تغيير ؟ •

لاشك أن السبب صار واضحا ، بعد هذا الذى أوضحناه •

وليس كالقيامة ما يستطيع أن يبلغ مثل هذا الاعجاز ، ويحقق مثل تلك المنجزات ! ! ••

● أما المثـال الثـانى فعن يعقوب :

لقـد تبوأ يعقوب مركزا قيـاديا فى كنيسة أورشليم فيما بعد ، حتى حسب مستأهلا أن يطلق عليه لقب « أحد أخوة الرب » ٠

وبينما نجـد الأناجيل قد وصفته مع بعض اخوة المسـيح ، قبل القيامة ، فقالت بأن « اخوته لم يكونوا يؤمنون به » (يو ٧ : ٥) ٠٠٠ ، واذا بنـا نرى القديس لوقا ، ومنذ الاصحاح الأول من سفر الأعمال ، يذكره فى قائمة أولئك الذين « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة ٠٠٠ » (١ : ١٤) ٠

واذن ، فقد صـار يعقوب الآن ضمن زمرة المؤمنين ٠ فما الذى بدله من حال الى حال ، وصيره على هذا المنوال ؟ ! ٠

اننا نجد الاجابة عن هـذا فى رسـالة بولس الرسـول الأولى الى أهـل كورنثوس حيث يعدد الرسول من رأوا المسيح المقـام ٠٠٠ ثم يضيف : « وبعـد ذلك ظهر ليعقوب ، ثم للرسل أجمعين » (١٥ : ٧) ٠

واذن ، فالقيامة هى التى حولت بطرس من ذلك الانسان المزعزع الرعديد ، الى انسان مقدام صنديد ، وحولت يعقوب من انسان واهى الايمان ، الى انسان قوى الشكيمة ، متين البنيان والايمان ! ٠٠

وانها حقا القيامة التى أحلت الأحد محل السبت ٠

وأنها القيامة التى غيرت شاول الطرسوسى بكل محاولاته القديمة للايقاع بأتباع المسيح ، وتسليمهم لشتى صنوف الاضطهاد والتنكيل ، الى بولس الخادم المتحمس المجاهد والكاروز الذى كسبت كرازته الملايين للمسيح وللانجيل ٠

هـذه هى دلائلنـا على القيامة ، أوجزناها فى هذه العناصر الأربعة مع وقفة تأمل وتحليل لكل منها : من القبر الفارغ ، الى الأكفان « الموضوعة » ، الى ظهورات الرب لكثيرين ، الى التلاميذ المتغيرين ٠

وعندنا أنه ما دام القبر كان فارغا ، والأكفان لم تمس ، ويسوع نفسـه قد تراءى للمريمات وللرسل وللتلاميذ ولآخرين غيرهم كثيرين ، وما دام التلاميذ قد ألم بهم تغيير جعل منهم هذه الخليقة الجديدة ٠٠٠ فلن يكون ثمة تفسير لهذه الظواهر جميعا الا هـذا التفسير الأوحد : « الرب حقـا قام » وصـار باكورة الراقدين فهو « يسوع المسيح البكر من الأموات ، ورئيس ملوك الأرض » (١) ٠

لقد قدمنا فى الفصول السابقة ، دراسة تحليلية متأنية ، لأعظم الشخصيات اثارة فى التاريخ ، هى شخصية نجار الناصرة ، الوديع المتواضع، الذى جال يبشر المساكين « ويعصب منكسرى القلوب ، وينادى بسنة مقبولة للرب » • لقد كان له من الامتيازات ما يفوق الطبيعة ، ويصل الى حد الاعجاز• ثم كانت سيرته هى الكمال بعينه ، ومع ذلك فانه ـ قد أحصى مع أثمة » ، ثم مات كما يموت الفجرة الأشرار•• وأخيرا يقوم من الموت ، نافضا له ، ساخرا منه ، منتصرا عليه ، ومبددا ما كان له من سلطان •••

وهل من أدلة على لاهوته أعظم من هـذه ؟ •

ولكن مهما كانت الحجج التى نأتى بها على لاهوت المسيح ، فان ذلك لن يجدينا شيئا ، ما لم نتخذ هذه الخطوة التى تصل بنا الى الايمان ، فنهرع الى أحضانه ، معترفين به ، اعتراف توما حين صفا ذهنه ، واستنار قلبه ، وانجابت غيوم الشك عن سمائه ، فيصيح بملء فيه وبكل ما أوتيه : « ربى والهى » !! ••

أما ان نحن قسينا قلوبنا ، فأنكرنا أن يسوع هو المسيح ، وأنه الله ظهر فى الجسد ، كنا أحرياء بأن يقال فينا • « من هو الكذاب ، الا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح • هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن » (١ يو ٢ : ٢٢) •

وعلى العكس ، ان نحن آمنا ، كانت لنا الحياة الأبدية ، وقدمنا البرهان على أننا « من الله » ، لأن « كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد، فهو من الله • وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء من الجسد ، فليس من الله » (١ يو ٤ : ٢ ، ٣) •

وأخيرا ، فلنعلم أن « هذه قد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله • ولكى تكون لكم اذا آمنتم ، حياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣١) •

+ + +

---

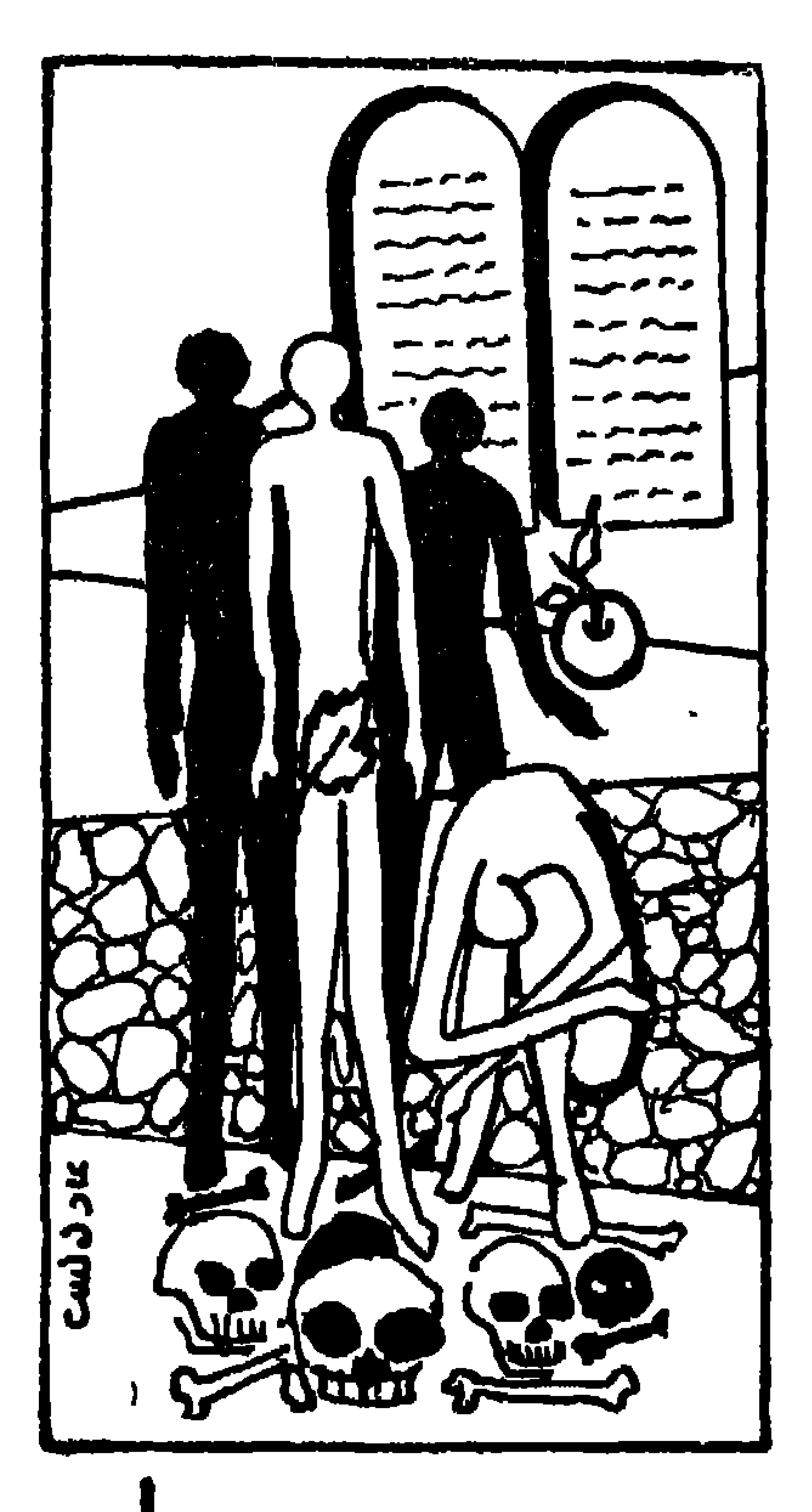
(١) ما أجمل التحية التى يتبادلها مسيحيو الكنيسة الارثوذكسية الراسخين فى الايمان فى عيد القيامة اذ يقول أحدهم : « أخرستوس انستى » فيجيبه الاخر : « اليسوس انستى » : المسيح قام ـ بالحقيقة قام • (المعرب)

الباب الثاني

حاجات الانسان



الفصل الخامس



٥ حقيقة الخطية وطبيعتها

○ الوصايا العشر

الفصــل الخامس

حقيقة الخطية وطبيعتها

لقد تصدينا فيما سلف من الكتاب ، لفحص الأدلة على لاهوت المسيح ، وانتهينا الى الاقتناع بأنه « الرب » ، وبأنه « ابن الله الوحيد » ٠

والعهـد الجديد حين تعـرض لوصف **شخص المسيح** ، فانه ، وعلى نفس الوتيرة ، تعـرض لوصف **عمل المسـيح** ، وكانت عناية البشـيرين بتعريفنا من يكون المسيح ، متوازية وعنايتهم بتعريفنا بما عمله المسيح من أجلنا ٠ فقدم لنا بوصفه الرب الذى أخلى ذاته تاركا أمجاد السماء ليقيم بيننا فى أرض الهوان والشقاء ٠٠٠ كما قدم لنـا ، فى نفس الوقت ، بوصفه « مخلصنا » الذى مات من أجلنـا مصلوبا « على خشبة » كما يصلب عتاة الأئمة الأشقياء !! ٠

على أن « الرب » و «المخلص » لا يمكن الفصـل بينهما ، والرابطة الـتى تربط أحدهما بالآخر تبلغحد الكمالوالتمام ٠ فان كانعمله مستمدا من لاهوته، فلاهوته « لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين » ٠

ولكى نقدر ما عمله فادينا من أجلنا وجب علينا أن نعرف بالتحـديد « من نحن » ، كما يجب علينا أن نعرف « **من هو** » المسيح الفـادى ٠

ان عمله قد انبثق عن شخصه ثم قدم لأشخاصنا ٠ ولمـا كنا « محتاجين » وكانت حاجتنا منبثقة عن خطيتنا ، وجدنا فيه كفايتنا ٠

اجل ! لقـد كنا محتاجين الى الخلاص ، فكان فيه لنـا هذا الخلاص ٠

وبعـد ، واذ اختبرنا قدرته على أن يعطينا ما نحتـاجه ، فلنتقـدم اليـه بحاجتنا ، ذاكرين بل ومتفكرين فى الفارق بيننا كبشر تغمرنا الخطية من الرأس الى القدم ، ويجللنـا عارها ، وبينه وهو القـدوس البـار ، الخالى من كل شر وعار ، والذى تعتبر « السموات غير طاهرة بعينيه » ٠

أجل ! انه ليستحيل علينا أن ندرك عمله العجيب من أجلنا ، ما لم ندرك تماما كنه طبيعتنا ٠

على أننـا لا يصح أن ننسى أن موضـوع الخطية يعد من الموضوعات التى تشمئز منها النفس وتتقزز ٠ بل انه ليؤخذ علينا ، نحن المسيحيين ، كثرةحديثنا عن الخطية ، ودوراننا فى فلكها !! ولـكن حجتنا ، نحن المسيحيين ، أننا قوم عمليون واقعيون ، ندرك أن الخطية شاملة عامة وتعتبر قاسما مشتركا بينكافة البشر ٠٠٠ فما من بشر الا أخطأ ، وأثم ، وعمل الشر ! ٠

وقد لمس كثيرون من كتبة الوحى موضوع الخطية ٠٠٠ وها سليمانعندما قدم تلك الصلاة العظيمة فى أعقاب تدشينه للهيكل ، لم ينس أن يسـأل المغفرة لأولئك الذين يخطئون إلى الله صاحب الهيكل : « لأنه ليس انسان لا يخطىء » (امل ٨ : ٤٦) ٠ ولـما كان ما قاله صحيحا الصحة كلها ، فقد أضاف ، « فى الجامعة » قائلا : « لا انسـان صـديق فى الأرض يعمل صـلاحا ولا يخطىء » (٧ : ٢) ٠

وكم من مزمور يبدو كما لو كان مرثية لعمومية الخطية بين البشر ! وهوذا المزمور الرابع عشر ، يقدم لنـا صورة قاتمة جدا تبعث حقا على الحزن ، حيث يتحدث عن الجـاهل الذى لا اله له فيقول : « قال الجـاهل فى قلبـه ليس اله ٠ فسدوا ٠ ورجسوا بأفعالهم ٠ ليس من يعمل صلاحا ٠ الرب من السماء أشرف على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله ٠ الكل قد زاغوا معا ٠ فسدوا ٠ ليس من يعمل صلاحا ٠ ليس ولا واحد » (١٤ : ١ ـ ٣) ٠

ان صاحب المزمور ليملأه الاحساس بأنه ما من انسان يستطيع أن يتبرر ، اذا ما دخل فى المحاكمة مع الله ٠ فيصرخ : « ان كنت تراقب الآثام يا رب ٠ يا سيد ، فمن يقف ؟ » (١٣٠ : ٣) ٠ « فلا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ، فانه لن يتبرر قدامك حى » (١٤٣ : ٢) ٠

وعلى نفس الدرب سـار كافة الأنبياء ٠٠ وعنـدهم ، كما هو عند صاحب المزامير ، أن بنى البشر جميعا خطاة بلا استثناء ٠ وهذه هى الحقيقة التى ليس لهـا استثناء ٠ وهـذه الحقيقة يتصدى لهـا أشعياء النبى فى النصف الثانى من رؤياه فيقررها فى عبارة حاسمة لا تردد فيها أو مكان لمراجعة ، فى قوله . « اننا كلنا كغنم ضللنا ٠ ملنـا كل واحـد الى طريقه » (٥٣ : ٦) ٠٠٠ وقـد « صرنا كلنا كنجس ٠ وكثوب عدة كل أعمال برنا ٠ وقد ذبلنا كورقة ، وآثامنـا كريح تحملنا » (٦٤ : ٦) ٠

ولم تكن هذه نظرة أنبياء العهد القديم وحدهم (حيننوهوا بشمول الخطية للجميع ، وكأنها « ريح تحمل كل بنى البشر ») ٠ نعم انهم لم يكونوا وحـدهم

(كما قلنـا) حتى ليقال انهم تخيلوا ، وتوهموا هذا الذى قالوه عن الخطية ، ومن ثم كانت مجاهرتهم بعمومية الخطية ! فهـا هو ذا بولس الرسول يسـتهل رسالته الى أهل رومية ··· (وعلى مدى ثلاثة اصحاحات منها) فينـادى بأنه « لا فرق » بين أن يكون الانسان يهوديا أو يونانيا أو أمميا ؛ لأنهم «تحت الخطية» سواء ، وأنه كما هو مكتوب : « انه ليس بار ، ليس ولا واحد ، ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله » · (٣ · ٩ ـ ١١) ثم ··· فى كلمات تنبض بالحياة ، ولكنها تفيض بالأسى ـ أخذ يصف مدى الفساد الذى انحدر اليه العـالم الوثنى· على أنه يستدرك فينبه الى أن اليهود ليسوا فى حالة أحسن من الوثنيين ! ! · فعلى الرغم من أنهم (أى اليهود) تسلموا الشريعة المقدسة ، وأقاموا من أنفسهم معلمين لغيرهم ، فهم ، كغيرهم ، يتعدون الشريعة ويعصونها ؛ ثم يعود الرسول الى سفرى المزامير وأشـعياء ، فيستشهد بهما فى الوصـول الى النتيجة التى لا مندوحة عنها ، ولا استثناء لهـا · الا وهى أن « الجميع زاغوا وفسدوا معا ، ليس من يعمل صلاحا · ليس ولا واحد » ·

ولم يكن يوحنا الرسول ، بدوره ، أقل وضوحا ، أو أضعف حسما حـين قال : « ان قلنا انه ليس لنا خطية ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا ·· ان قلنا اننا لم نخطىء ، نجعله كاذبا ، وكلمته ليست فينا » (١ يو ١ : ٨ ـ ١٠) ·

وبعد ، أكانت بنا حاجة للرجوع الى الوحى ، والاعلانات السماوية ، لندلل على عمومية الخطية ؟ ! ·

ان الخطية لمـا يقع ، كل يوم ، تحت أبصارنا ، وتشهد به خبراتنا ، وتنوء بأخباره صحفنا ومجلاتنا ··· اننا لنرى الخطية حين نصبح ، وحين نمسى ، ونراها حين نقيم أو نظعن ، وحين نستقر أو نرتحل ، ·· مهما كان من أمر الأمم والشعوب التى اليها يكون ارتحالنا ! ·

ان الخطية لتعيش فى بيوتنا ، وانها لتتسلل الى قلوبنا ، وأنها لتكمن بين جوانحنا ، وانها لتسرى مسرى الدم فى عروقنا ! · ولنجمل هذا كله فى كلمة فنقول : انه ليس من عصمة لبشر منها ! ·

أولسنا لهذا ، أو من أجل هذا ؛ نعمد الى القوانين فنسنها ، والى الشرائع فنشرعها ؟ ·

أجل ؛ ولو أن الناس عمـلوا على فض منازعاتهم فيما بينهم ، وحسموا (فى نزاهة وأمانة ، وفى غير أنانية وتحيز) ! هذه المنازعات والخصومات التى تنشأ بينهم بأنفسهم ، ما كانت بهم حاجة الى القوانين أصلا ، ولـما احتاجوا لمن

يقضى بينهم على الاطلاق ، وقديما قالوا « لو أنصف الناس استراح القاضى » ، ونقول نحن بدورنا ، لو أنهم أنصفوا لما قامت ضرورة الى قاض أصلا أو تقاضى !

ولكن للأسف ، فان مجتمعاتنا ، الراقية وغير الراقية ، تفيض بالأحداث الشائنة فى كل يوم بل وفى كل ساعة،وكلها وليدة للخطية : عنها تنبعث ، وفيها تستقر ، ومنها طعامها وشرابها ٠

ولنتأمل قليلا فيما نذكره بعد ، كوسائل توضيحية لما تصنعه بنا الخطية ٠ ولنسأل :

هل يوجد بيننا الآن من يستطيع الاطمئنان الى « كلمة شرف » يقطعها له آخر ، دون أن يكبله بصك أو بعقد ، أو بمستند يجعله تحت رحمته أو على القليل، ليأمن به جانبه ! ٠

وهل يمكننا أن نكتفى بمجرد ايصاد أبواب بيوتنا أو خزائننا ، لصد المتطفل أو المقتحم ، بحيث لا نضطر الى تأمينها بالمزاليج والأقفال ! ٠

ثم أية اجراءات نتخذ اذا ما أزمعنا الرحيل من مكان لمكان ؟ ان التقدم « بأجر السفر » ليس بكاف فى حد ذاته ، اذ لابد من تذكرة « تقطع » ، وعلامة تطبع ، وتأشيرة توضع ، ومفتش يراجع ! ٠

ومن أمثال هذه الأحداث اليومية نستطيع أن نسجل المئات ٠٠ ولكننا ، من حسن الحظ ، نعتبرها مسائل شكلية ، ومن قبيل « الروتين » ، من فرط ما ألفناها ! ٠ وعلام تدل كلها ؟ انها تدل على انه لم يعد لأحد أن يثق بأحد ، وأن كلا منا قد غدا فى حاجة ماسة لمن يحميه من شر اخوته من البشر ! ! ٠٠

والقانون نفسه ؟ انه لم يعد له من غناء فى ذاته ٠٠٠ ومن ثم فانه فى حاجة الى أولئك الذين يقومون على تأويله أو تعديله ثم مراقبة تنفيذه ٠٠ ! ألا يدعو كل هذا الى كثير من الأسى ، والرثاء ؟ !٠

وبعد ، ٠٠ وطالما نحن قد عرضنا لكثير مما يوضح لنا الخطية كظاهرة شاملة شائعة متفشية ، فان سؤالا مهما ما يزال يلح علينا لنجيب عنه : ماهى طبيعة الخطية ؟ ٠

أما « الكتاب » فيصنفها فى مجموعتين ، من حيث السلبية أو الايجابية فمن الناحية السلبية تكون الخطية حيث يكون التقصير كالمزلة ، والخطأ أو الغلط ،

او حيث يكون القصور عن الوصول الى الهدف كمن يسدد أو يصوب فلا يحسن التسديد أو التصويب أو الضرب ٠

ومن النــاحية الايجابية تنقلب الخطية فتصير صورة من صور « التعدى » او تجاوز الحدود ، مما ينتهى الى الاعتداء أو العدوان ٠

وعلى الحالتين ، فالخاطىء أحد شخصين : شخص قصرت همته عن بلوغ ما تريده له المقــاييس الأدبية والســلوكية ، وشخص تعدى حــدود القوانين ، فاستباح حرمتها ٠

ولعــل أبدع ما قيل فى تصوير الجانب الســلبى للخطية قول يعقوب الرسول : « من يعرف أن يعمل حسنا ، ولا يعمل ، فذلك خطية له » (٤ : ١٧) ٠

ولعــل أوجز تلخيص للجانب الايجابى للخطية ، ما قاله يوحنا الرسول : « كل من يفعل الخطية يفعل التعدى أيضا ٠ والخطية هى التعدى (١ يو ٣ : ٤) ٠

والتعدى ظاهرة عامة يقع فيها الجميع : ولا فرق بين اليهود الذين يدينون بناموس موسى ، أو « الأمم » الذين يخضعون لناموس ــ الضمير » ٠٠ فالجميع فى خرق نواميسهم سواء ٠

وبالضرورة ، فنحن معهم فى هذا ٠ ومهما يكن الدستور الذى تقوم عليه حياتنا : من ناموس موسى ، الى شريعة المسيح ، الى تعاليم بوذا ، أو كرنفشيوس ٠٠٠ فاننا جميعا نفشل فى بلوغ قامتها ، حتى اننا لنعد كلنا مدانين ! ٠

ومع ذلك ، فهناك عينة من « الناس الطيبين » يجدون غرابة أو غضاضة فى هذا الكلام ٠ فهم يظنون أنهم بسبيل تحقيق ما وضعوه من مثل عليــا لأنفسهم ، وحسبهم حسن نيتهم فى العمل على تحقيقها مهما يكن لهم من نصيب فيما أرادوا له أن يتحقق ٠ وهؤلاء ، لاشك ، فاتهم ، أن يفحصوا ذواتهم من الداخــل ، وأن يتفهموا « أفكار القلب ونياته » ٠٠ ذلك أنهم لا يعنون قط بالنقد الذاتى لأنفسهم!! نعم انهم قد يقرون بمــا قد يكون هناك من شوائب فى سلوكهم ، ولكنهم دائما يظنون أنهم ليسوا بأسوأ من سواهم ، بل لعلهم يتوقون الى أن يكون الجميــع مثلهم ، وأن يرتفع الآخرون الى مستواهم ! ! ٠

نعم ! اننا فى هذا المجال ، محتاجون لأن نذكر أمرين :

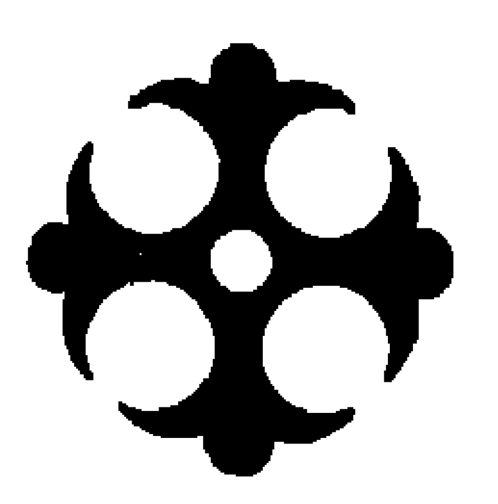
- **الأول ، ان احساسنا بالفشل نسبى ، وهو يتوقف على المستوى الذى تبلغ اليــه مقاييسنا :**

فهناك مثلا من يعتبر نفسه بطلا ، اذا ما أتيح له أن يثب وثبة مداها مترا (حسبما وضع لنفسه من مقاييس) ، فى حين أن غيره يستطيع أن يثب أضعاف وثبته تلك ، ومع ذلك فانه لا يعد نفسه من البطولة فى شىء ! ٠

● **الثـانى ، ان الله يهتم بمـا وراء العمل من نوايا وأفكار ، وما وراء السلوك من حوافز وبواعث ٠**

وقد أوضحت لنا عظة المسيح على الجبل هذا الأمر ٠ وما علينا الا أن نوليه ما هو أهله من اهتمام ٠

وعلى ضوء هـذا سندرس الوصايا العشر ، باعتبارها دستور عمل لنا ٠ ثم ننظر الى أى حد نفشل نحن جميعا فى السمو الى مستواها ٠٠٠باعتبـار أن الفشـل ، هو قسـمة مشـاعة بين الجميع ، « اذ الجميع أخـطأوا وأعـوزهم مجـد الله ! (١) ٠



---

(١) يذكر المعـرب أنه ، وهو بعـد طفل صـغير ، سـمع رواية قد تـكون الى الملحـة أو النـادرة أقرب ! وان يكن المعنى الذى تحمله جادا وعميقا : فقد روى أن أحد الاباء كان يعظ شعبه ذات مساء ٠ فجعل موضوع عظته هذه الاية : « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجـد الله » ٠ فكبر هذا على شـيخ طاعن فى السن كان موجودا حينئذ اسـمه « حنـا » فانبرى للكاهن يقول : « لكنى لست يا أبانا من هؤلاء ! » أجابه « ابونا » . « بسيطة يا عمى « حنا » فمن الان سنجعل الاية : الجميع أخطأوا الا عمى حنا ، وأعوزهم مجد الله الا عمى حنا » !! فما كان من « عمى حنا » الا أن صرخ كمن لدغته عقرب أو عضته حية : « مهلا يا أبانا ! دع الاية كما هى ! لانى الى مجد الله فى اعواز أكثر من جميع النـاس !! » ٠

الوصـــايا العشـــر
(خروج ٢٠ : ١ ـ ١٧)

الوصـية الأولى
« لا تكن لك آلهـة أخرى أمامى »

فى هذه الوصية يطالبنا الله بألا تكون عبادتنا لآخر سواه ٠

وليس من الضرورى ، لكيما نعصى هذا الأمر الالهى ، أن نـكون عبدة شمس ، أو قمر ، أو نهر ، أو عجل ، أو وثن ، أو نار ٠٠٠ ! ! ذلك أننا نعـد متنكرين للوصية ، مجترئين عليها ، غير موالين لهـا ، ان نحن سمحنا لشىء ما أن يحتل المكان الأول من تفكيرنا أو انفعالنا مهما يكن هـذا الشىء : سـواء أكان رياضـة تستهوينا ، أم هواية تسـترقنا ، أم شخصا نرفعـه الى مـكان التقديس من نفوسنا ، أم مطمحا ذاتيا نركز فى سبيل الحصول عليه كل حيويتنا واهتمامنا ! ٠

ان المـال ينقلب الهـا لنـا ، حين يستهوينا أن نحصل عليه دون سواه ، فنصبح وكأنه لا عمل لنـا الا تكديسه وكأنه ليس لنـا ما يشغلنا الاه ! ٠

ان آلهتنا قد تكون من خشب أو حديد أو حجارة متى انحصر كل اهتمامنا فى اقتناء الأمتعـة والعقارات ، والبيوت والسـيارات ، والأجهزة والآلات ، والسجاجيد والنجف ، والطرائف والتحف ٠٠٠ ثم لا نقتنع بعد ذلك بمـا لدينا منها ، وانمـا نظل نلهث وراء الاستزادة منها ، محاولين بذلك أن تكون دائما لنـا الدار الأكبر ، والسـيارة الأحدث ، والاريكة الأنفس ، والبزة الأفخـر ، والتحفة الأندر ٠٠٠ !

وهـذه الأشـياء ـ كما لابد ان نعلم ـ ليست رديئة فى حد ذاتها ٠٠٠ ولكنها تغـدو الرداءة بعينها ، حين ننزلهـا من نفوسـنا المنزلة التى يجب أن تكون لله وحده دون سواه ٠

وهذا هو شأن الخطية : انها التزكية للذات على حساب الله ٠

وصف أحـدهم الانجليزى بأنه الرجل الذى لنفسـه قد صـنع ، ثم راح يتعبد لهـذه الذات التى صنع ٠٠ أو لا يصدق هذا على الكثيرين ؟ ! ٠

فان أردنا أن تكون طاعتنا لهـذه الوصية كاملة ، وجب أن تكون محبتنا لله من كل القلب ، ومن كل الفكر ، ومن كل النفس ، بحيث نرى الأشياء بالعين التى يراها بها الله ، ونعمل الأشياء بعد الرجوع الى الله ٠٠ وبحيث تغـدو ارادته هى التى تهـدينا ، ومجـده هو هدفنا ، وبذلك تصير الصدارة له فيما نفكر فيه ، أو نتكلم عنه ، أو نسعى لأجله ٠

أجـل ! ليكن الله هو الأول حـين ننشط الى العمل ، وحين نركن الـى الراحة ٠٠ ليكن الأول حين نكون فى المكتب أو المصنع أو الملعب ، وليكن الأول حين نهم بانشاء الصداقات أو عقد الصفقات ٠٠ ليـكن الأول حين نجد لبنـاء غـدنا ٠٠ ليـكن الأول حين نحصـل على المـال ، وليكن الأول حين نسـتغل ما وهبنا من قدرات ، وحين نقدم الصدقة ، ونثمر الوزنة ، وننفق المـال ! ٠

فاذا سألنا بعد هـذا : أو يوجد من يسـتطيع أن يحقق الطاعة الكاملة لهـذه الوصية ٠٠ أجبنـا بالسلب ٠٠ لأنه ما من انسان لهـا قد استطاع ٠ أما يسوع الناصرى فهو وحده الذى أطاع واستطاع ! ٠

+ + +

الوصـية الثـانية

« لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما »

ان الوصية الأولى كانت تعنى ـ كما رأينا ـ بغاية عبادتنا ، الا وهى الله ٠
أما هذه الوصية الثانية فانها تعنى بالصورة التى تؤدى بها هذه العبادة لله ٠

كانت الوصية الأولى تركز على وحدانية الله ٠٠ وها هى ذى الوصية الثانية تركز على روحناية الله ٠ وبينما تطلب الوصية الأولى أن تكون عبادتنا بتمامها ، وبكل نبضة من كياننا لواحد هو الله ، فان هذه الوصية الثانية تطلب الينـا أن تكون عبادتنا صادقة ، خالصة ، روحية ٠٠٠ « فالله روح ٠ والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) ٠

ونحن لاشك ، نحفظ هذه الوصية حفظا ، ولا نسمح لأنفسنا أن نسقط منها حرفا ٠٠٠ بل لعله لم يطف بخيال انسان أو يخطر له ببال ، أن يأتى بمادة سواء أكانت من حجر أم من فضة ، أم من ذهب ، فيصنع منها تمثالا اليه يتقرب وله يتعبد وأمامه يتهجد ! ! ومع ذلك ٠٠ فما أبشعها من منحوتات تلك الصور الذهنية التى نطوى عليها عقولنا ، وتنال من احتفالنا وتقديسنا ٠

والوصـية ـ كما لا شك نلحظ ـ لم تأت بتحـريم لهـذا الطقس أو ذاك مما نصطنعه فى عبادتنا ٠ ولكنها تشير بالضرورة وبأسلوب غير مباشر ، الى أن هذه الصورة الخارجيـة للعبـادة تصـير دون ما جدوى اذا هى خلت من أحاسيس القلب والمشاعر النـابعة منه ٠٠ أو اذا هى لم تـكن صـدى لحاجة هناك فى الداخل : فى العمق وفى مخادع القلب ٠

اننا قد نثابر على الذهاب الى الكنيسة ، فهل اذا ما ذهبنا صلينا بالروح والحق ؟ ٠٠ وقد نقرأ فصـلا من « الكتاب » أو فصولا ، فهل سمحنا لله أن يتحدث الينا من خلال ما نقرأ ؟ ! وقد نصغى لحديثه الينا ، ولكن هل استجبنا الاستجابة الكاملة التى لا يعتورها وهن لمـا يطلبـه الله فى حديثه الينـا ، فنكون كما شاء لنـا أن نكون ، ونفعل ما شاء لنـا أن نفعل ؟ ! ٠

أجل ! ٠٠ انه « ليس حسنا » أن نكرم الله بشفاهنا ، وننأى بعيدا عنــه بقلوبنا ! لقد رأى الله فى شعب العهد القديم هذه العبادة الزائفة ٠٠ واذ غاظه هــذا منهم ، كانت كلمته اليهم على لسان أشعياء النبى : « لأن هــذا الشعب قد اقترب الى بفمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ٠٠ لذلك ها انذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا ، فتبيد حكمة حكمائه ، ويختفى فهــم فهمائه » (٢٩ : ١٣ ـ ١٤) ٠

والمسيح له المجد رأى هذه العبادة عينها فيمن تجمع حوله من المرائين ، فتوجه اليهم بهذا القول عينه : « حسنا تنبأ أشعياء عنكم أنتم المرائين : هــذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا » (مر ٧ : ٦) ٠

أولا يصدق هــذا تماما على أولئك الذين يتمسحون فى المظاهر السطحية للعبادة ، ويكبرون من شأن الشـكليات ، بينما هم فى الداخل يفتقرون الى الصدق ، والى الجدية ، والى حرارة الايمان ؟ ٠٠ فان لم يكن هذا هو الدجل بعينه ، فما عساه أن يكون ؟ ! ٠٠

+ + +

الوصـية الثـالثة

« لا تنطق باسم الرب الهك باطلا »

ان اسم الرب يمثل ، دون ما شك ، طبيعة الرب ٠ والكتاب ملىء بالوصايا التى تطلب الينا أن نقدس اسم الرب ٠٠ حتى أن الصلاة التى علمنا اياها الرب نستهلها قائلين : « ليتقدس اسمك » ٠

ولـكن ما أبعدنا عن تقديس اسم الرب بهـذا الهراء الذى ينساب هادرا كالسيل من بين شفاهنا ؟ ٠٠ أفلا يجدر بنا ـ والحالة هذه ـ أن نراجع ألفاظنا التى نصطنعها فى أحاديثنا ، حتى ننقيها مما يمكن أن يكون قد علق بهـا من أو شاب لا يتقدس معها اسم الله بحال ! ٠

ومع ذلك فالعبرة ليستفقط بالألفاظ ! فالنهى عن النطق باسم الرب باطلا يتضمن الأعمال الظاهرة والنيات ، ويتضمن أيضا الاشارات والعبارات ٠

وحين تتفاوت المسافة بين القول والعمل بحيثلا يوائم سلوكنا وما نجتره من أفكار ، وبحيث لا يجـارى تعليمنا للناس وما نمارسـه نحن عمليـا من أفعـال ٠٠٠ فاننا نكون قد نطقنا باسم الرب باطلا ! ٠

اننا حين ندعوه ربا ثم نعصى وصاياه ، نكون قد نطقنا باسمه باطلا ! وحين ندعوه « أبانا » ثم نسمح للهموم أن تثقل كواهلنا ، وللنوازل أن تهزمنا وللكروب أن تخذلنا ، وللمقلقـات أن تنـال منـا وتطفىء وقـدات هممنا ٠٠ فاننا حينئذ نكون قد نطقنا باسمه باطلا ! وحين نقول شيئا ثم نعنى فى الداخل شيئا آخر دونه ، فاننا نبرهن بذلك على أننا مراءون وأن الحق ليس فينا ٠

فكم هى متعددة وجوه عصياننا لهـذه الوصية ، وكم هى خاطئة هـذه الخطيـة ؟ ! ٠

+ + +

الوصـية الرابعـة

« أذكر يوم السبت لتقدسه »

ان يوم السبت ــ يوم الراحة فى العهد القديم ــ ، ويوم الأحد (يوم الراحة فى العهد الجـديد) قد تم اختيـارهما بتدبير الهـى · ففى القـديم ، وحينما « اكتملت السموات والأرض وكل جنـدها ، استراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه » (تك ٢ : ١ ــ ٢) ·

واذن فلم يكن اختيار يوم معين من بين أيام الأسبوع للراحة من ترتيب بشر ، أو طبقا لنظام اجتماعى موضوع ، وانما هو من تخطيط الله كان ، وقد جعله « لأجل الانسان » ليوائم بينه وبين التكوين الذى جعل عليه هذا الانسان· فجسد الانسان ، ومثل عقله ، لايكفان ، كلما تعبا ، عن التماس الراحة ، بالقدر الذى لا تكف به روحه عن التماس فرص العبادة ·

من هنا ، كان هذا اليوم يوم راحة·· وكان ، فى نفس الوقت ، يوم عبادة· ولـكن الكثـيرين يعمـون عن هـذا أو يتعـامون ! ·· ومن ثـم فانهـم الى العمل فيه يعمدون ، وللعمل يتعمدون ··· ثم لا يكفـيهم انهـم هم الذين يعملون ، بل عن عسف وارغام ، اجراءهم يجبرون ··· بل ولعلهم يفتنـون فى خلق الوسائل التى تجعـل هؤلاء يعملون ، وكأن قصار جهـدهم حرمانهم (كما لأنفسـهم قد حرموا) من تلك الفـرص المتـاحة للراحـة فى يوم الرب وللعبـادة ·

ولـما كانت الوصية تطالبنا بالعمل ستة أيام فى الأسبوع حتى اذا ما جاء اليوم السابع كففنا عن العمل فيه ، وجبت علينا الطاعة فيما يتصل بأنفسنا ومن هم تحت أمرتنا من خدم أجراء ، ومن عمال مستأجرين· فيوم الراحة « مقدس » لله وليس لنزواتنا · وقد أفرز من بين أيام الأسبوع لينفق فى طريقه ومن أجله، وليس من أجلنا وما تسوقنا اليه رغباتنا ، ولعبادته وليس لشهوات قلوبنـا التى تسول لنـا ألا نعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله ·

+ + +

الوصية الخامسة

« أكرم أباك وأمك »

هذه الوصية ، وقد جاءت بعد الوصايا التى تتصل بواجباتنا من نحو الله مباشرة ، فانما لتذكرنا ـ وعلى الأقل فى المرحلة الأولى من طفولتنا ـ بأن يكون موقفنا من والدينا هو عينه موقفنا من الله ، لأنهم يمثلون سلطانه ، ولا شك أن فى ارضائهم مسرته ورضاه ·

ولكن ، كم يغاير الواقع هذا الذى يجب أن نلتزمه ؟ ! فالنشء لا يكون عادة فى أطغى حالات أنانيته وحبه لذاته وتنكره لمشاعر الآخرين ، الا فى بيته حيث يأمن نظرات الغرباء ، فيسمح لنفسه أن يبين عن معدنه ولون جلده ، ويأذن لطباعه أن تبدو على حقيقتها دون أدنى محاولة منه لتغيير حقيقة طبيعتها ! ! ··

ولهذا نسمع القديس بولس يحذر « الابن الحبيب تيموثاوس » من « أزمنة صعبة » ستجيء يكون فيها الأبناء « محبين لأنفسهم ، محبين للمال ، متعظمين ، متكبرين ، مجدفين ، غير طائعين ··· » ومن ثم تكون وصيته لتيموثاوس أن « يعرض عن هؤلاء » (٢ تى ٣ : ٥) ·

نعم ! ما أكثر ما تتكشف مكنونات حبنا لذواتنا فى داخل بيوتنا ؟ !
ولعل هذا لا يقتصر فقط على مرحلة الطفولة ·· فما أيسر على من خلف هذه المرحلة وراءه أن يبدو جاحدا ·· فلا هو بالمكترث بالوالدين ولا هو بالشاكر لهما ، ولا هو بالملبى لمقتضيات الواجب نحوهما ، وما لهما عليه من حق التوقير والولاء ؟ ! ·· والا فلنسأل ، ولنجب فى صدق وصراحة : كم مرة كتبنا حين كنا بعيدين عنهم ؟ وكم مرة زرناهم حين قضت الظروف بأن نسكن بعيدا عنهم ولو لخطوات معدودات ، وكم مرة مددنا أيدينا بالعون للمحتاجين منهم وبما لا يتعدى ما نملك من امكانيات ؟ ! ·

وبعد ، علينا أن نعى أن هذه الوصية هى الوحيدة من بين الوصايا التى اقترنت بمثوبة ووعد وجزاء ·· لأنك اذ تكرم أباك وأمك « تطول أيامك » ·

+ + +

الوصـــية الســـادسة

« لا تقتـــــل »

وهذه الوصية ـ كما لابد أن تعلم ـ لا تعني مجرد النهي عن القتل الفعلي ٠ فمن النظرات مثـلا ما يقتـل معنويا ٠٠ ولو أتيح لهـا أن تقتـل ماديا لـكثر صرعاها والذين تردى ٠ ومن الكلمات ما يقتل أدبيا ، ولو أنها كانت تقتـل حقيقة لكثر أولئك الذين بها يؤخذون ، وفي غياهب الحبوس يلقى بهم ، وفي السجون يغيبون ٠

لقـد قال المسيح له المجـد في « العظة على الجبـل » ان من يغضـب على أخيه باطلا ، يكون مستوجب الحكم ٠٠ ومن قال يا أحمق ، يكون مستوجب نار جهنم » (مت ٥ : ٢٢) ٠٠

ثم يجيء يوحنا الرسول فيلخص هذا في قوله : « ان كل من يبغض أخاه فهو قاتـل نفس ٠٠ وكـل قاتـل نفس ليس له حيـاة أبـدية ثابتـة فيـه » (١ يو ٣ : ١٥) ٠

واذن فكل من يعجز عن ضبط نفسه ، وكل من تفور نفسه ويطغى عليـه غضبه ، وكل من يتأجج بالحقد صدره ٠٠ كل هؤلاء قتلة أو بمثابة القتلة ، لأن ما يأتونه هو والقتل سواء ! ٠

فنحن نقتل بالثرثرة وترديد الشائعات اذا ما انطوى ترديدنا لهـا على طوية سيئة ، ونية خبيثة ٠٠ ونقتـل بالاهمـال والقسـوة اذا نحن أتيناهمـا متعمدين ٠٠ ونقتل بالغيرة والحسد اذا نحن أسلمنا لهما ذواتنا مستسلمين ٠

وهل يوجد منا من سلم من هذا أو من بعضه ولم يـكن له من المقترفين أو ـ على الأقل ـ من المشجعين ؟ ! ٠

+ + +

الوصية السابعة

« لا تزن »

وهذه الوصية كسابقتها ، لا تقتصر على الظاهر منها ٠٠ لأن التطبيق العملى لها يمتد الى غير حد ! فهى تشمل الخيانة الزوجية ، وتشمل النهم والافراط الجنسى ، والممارسات الداعرة ، والمغازلات الماجنة ، وتشمل كل ما نراه اليوم من أباحية واستهتار ، وما يوصف « بالمعاشرة على سبيل التجربة والاختبار » ، والانحرافات الجنسية بين أفراد الجنس الواحد ٠٠ وتشمل ممارسة الخطيبين لما لا يكون الا من حق الزوجين ، محولين بذلك الخطبة الى « شهر عسل » عاقبته مرة وختامه وبال ! ٠

فالوصية بذلك تشمل التحريم لكل اشباع للشهوة على أية صورة ٠٠ وتشمل التجريم لمثيراتها من الكتابات القذرة والصور الفاضحة ، وكل ما يجول بالذهن أو يدور بالخاطر من تصورات دنسة ٠ ومن ثم كان تعليم السيد حاسما : « كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (مت ٥ : ٢٨) ٠

ومن حيث أننا اعتبرنا مجرد الاحتفاظ بالأفكار القاتلة فى القلب هو بمثابة القتل ، فاننا هنا نقرر بأن كل ما يحتفظ به القلب من أفكار دنسة هو زنا ٠ لأن هذا هو أمر ربنا يسوع ٠

وأخيرا فانه يدخل فى مفهوم هذه الوصية كل إستخدام غير نبيل لما وهبناه من قدرات نبيلة ، أو أى امتهان لما أعطيناه من عطايا هى (فى جوهرها) مقدسة وجميلة ٠

+ + +

الوصية الثامنة

« لا تسرق »

أما السرقة فهى أن تسلب انسانا شيئا يملكه ، وليس لأحد أن يعتدى عليه أو يعبث به • واذن فهى لا تقتصر على المال والممتلكات • فالتهرب من الضريبة سرقة • والتسلل خفية بسلعة من الجمارك سرقة ، والبخس من قيم الأشياء لخفض ما يفرض من ضريبة عليها سرقة ، ومحاولة « التزويغ » من العمل سرقة ، « والشطارة » التى يتهافت عليها كل من البائع والمشترى ليبتز أحدهما الآخر سرقة • وما يعتبره انسان مهارة لزيادة دخله بطرق ملتوية كأن يستغل ظروف الآخرين وحاجتهم الملحة ، مثل أخذ الرشوة وخلو الرجل والمقدم الفاحش هو فى الحقيقة ، وفى نظر الله سرقة •

وأنت تكسر الوصية اذا حاولت زيادة ساعات العمل على عمالك ، وأنت تكسرها اذا بخستهم أجورهم ، أو جردتهم من امتياز كان لهم •

وبعد ، فكم عدد هؤلاء الذين ينفذون الوصية فى أمانة ودأب اذا ما اتصل الأمر بشئون غيرهم ؟ ! • ان الله وحده هو الذى يعلم ، فهو فاحص القلوب والكلى وما وراء الظاهر من سرائر ! •

وهذه الوصايا السلبية لها ــ كما لابد أن ندرك ــ جوانبها الايجابية •

فتجنبك القتل فى وصية « لا تقتل » لا يكفى • بل انه يتحتم عليك أن تعمل ما وسعك جهد ، على توفير ما يصون للآخرين حياتهم • وتجنبك الزنا فى وصية « لا تزن » لا يكفى •• بل انه يتحتم عليك ألا تصدر فى سلوكك عن خسة أو وضاعة أو اشتهاء • وانظر الى القديس بولس مثلا الذى لا يكفيه ألا يسرق السارق وانما يريد له « أن يتعب عاملا الصالح بيديه ، ليكون له أن يعطى من له احتياج » وكأنه بهذا يريد (بحق) أن يتحول اللص من سارق مغتصب الى بار معطاء •

نعم ! وانه ليمكن بنعمة الله ان يتم هذا التحول • فقد تم لمتى ولزكا ، وتحقق مع الأنبا موسى الأسود (١) • وغيرهم كثيرون سواء فى الأمس البعيد أو الأمس القريب • وسواء فى أيامنا الحاضرة أو أيامنا المستقبلة •• بل والى انقضاء الدهر •

---

(١) اضافة من المعرب •

الوصـية التـاسعة

« لاتشهد شهادة زور »

هذه الوصية ـ ومثلها الوصايا الخمس الأخيرة ـ تتصل بمعاملاتنا مع النـاس ومراعاة ما لهم علينا من حقوق ، لأن احـترام هـذه الحقوق يتضمن الحب الحقيقى لهم ٠ فمتى قلنا « لا تقتل » عنينا بالضرورة ألا نسلب النـاس حياتهم ٠٠٠ ومتى قلنا « لا تزن » عنينا ألا نسلبهم أعراضهم ٠٠ ومتى قلنـا « لا تسرق » عنينا ألا نسلبهم أملاكهم ٠٠ ومتى قلنـا « لا تشهد بالزور » عنينا ألا نسلبهم صيتهم الطيب وسمعتهم الكريمة ٠

وهذه الوصـية لا تقتصر بداهـة ، على الشـهادة أمام المحـاكم ودور العدالة ، وما يدخل فى اختصاص القضاء ٠٠ وانما تتجاوز ذلك الى كل صور التشهير ، والوشاية ، والاغتياب ، والتجريح ٠٠ الى آخر ما يلجأ اليـه عادة الكسالى « وعجائز الفرح » حينما يثرثرون اشباعا لشهوة التعريض بالناس، وثلم أعراضهم ، وذكرهم بكل سوء ٠

لذلك كان من قبيل الشهادة بالزور المبالغة فى السرد ، والتحـــريف فى الكلم ، ومحاولة القاء الظلال على الحقائق بقصد تشويهها أو التشكيك فيها ، والاستماع الى الشائعات المغرضة ، وتناقلها ، والتندر بها ، والسماح لهـا بأن تترك انطباعات معينة فى نفوس مستمعيها ، والتهاون فى تصحيح البيـانات التى نعلم بأنها كاذبة ملفقة ، أو التى نعرف أنه قصد بها الى الخداع والمغالطة !

وبعد ، فنحن نعد شهود زور اذا نحن أغلقنا أفواهنا صامتين ، وكان يجب أن نفتحها مدافعين أو مصححين ٠٠ أو اذا نحن أطلقنا ألسنتنا مثرثرين، وكان يجب أن نكف عن الثرثرة متعففين ، أو اذا اكتفينا من الحقيقة بجانب منها عامدين ، أو التوينا بها عن مجراها قاصدين ٠٠٠

وهكذا نسـقط فى الرذيلـة متى تنكرنـا للحـــق صـامتين ، أو تكلمنـا

مترثرين ، وبذلك نهدم ولا نبنى ، ونضـــال ونعوج القضاء فنتجنى ونبغى ! ٠

حقــا ان شيئا من هــذا مما لا يقع تحت طائــلة القانون ، ولكن ناموس الضمير يمقته ، ويحذر منه ويدينه (١) ٠

+ + +

(١) تذكرنا هــذه العبارة بما جاء بـكلمة قداسة البــابا شنوده الثالث فى اللقــاء الذى دعا اليه السيد رئيس الجمهورية فى ٨ فبراير سنة ١٩٧٧ واشتركت فيه القيــادات الدينية من اسلامية ومسيحية ٠٠ فقــد جاء فى كلمــة قداسة البــابا : « ٠٠٠ ان العــالم لا يصلح بالقانون بقدر ما يصلح بسلامة الضمير ٠٠ فما أسهل أن يتخلص الانسان من القانون بأن يرتكب خطيئته فى الخفاء ، ٠٠٠ وما أسهل أن يتهرب الانسان من القــانون فى المحاكم باسم القانون ! ولكن الضمير أسمى منه بكثير ٠٠٠ والرأى عندنا أن القانون هو الحد الأدنى للاخلاقيات ٠ اما الضمير فهو حدها الاعلى٠٠ فالقانون له حدود ضيقة٠٠ لانه يحكم على الاعمال الظاهرة والتى لهــا دليل مادى يثبتها ٠ أما الضمير فانه يحكم حتى على الفكر ، وعلى النية ، وعلى مشاعر القلب الداخلية : الامور التى لا يمكن أن يصل اليها القــانون » ٠ ٠

انها حقة كلمة « رائعة » ٠٠ وهكذا كان وصف السيد الرئيس محمد انور السادات لها ٠

(المعــرب)

الوصـية العـاشرة

« لاتشته بيتقريبك ·· ولاشيئا مما لقريبك »

هـذه الوصية تعد المحـك الحقيقى لسمو مقـاييس السـلوك عند الناس أو ضعتها ، لأنها تنقل الوصية من ولاية القـانون المـدنى الخارجى الى ولاية الضمير والسلوك الانسانى ·· فليس من سبيل الى محاكمة من يتعدى الوصية، فيشتهى ما نهى عن اشتهائه ، كما أنه ليس لانسان أن يرفع أمره الى القضـاء ليوقع عليه القصاص جزاء وفاقا عما جنته يداه ! ·

فالاشتهاء مسألة تتعلق بحياة الشخص الداخلية ، وما يستقر منه فى مخادع القلب ومكامن الوجدان · ومن ثم فليس للقانون قبله حول أو طول ·· اللهم الا اذا دفعه الاشتهاء الى فعل خارجى كالسرقة لمـا عليه وقع اشتهاؤه، أو الاعتداء على صاحب الشيء المشتهى ··· وهنا فقط تستطيع يد القانون أن تصل اليـه ! ·

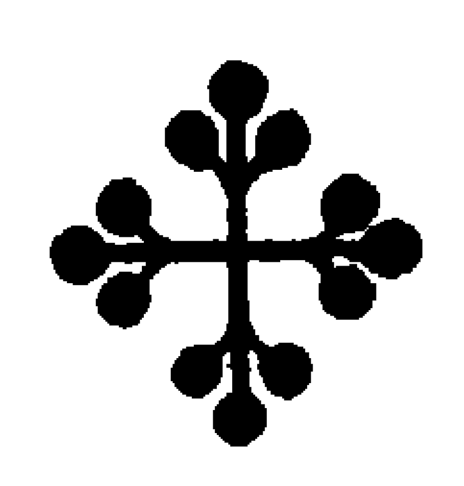
وفى الحياة العصرية التى نحياها كم هى تلك الأشياء التى تبعث عـلى الاشتهاء ؟ ! · وهل يوجد بيننا من يعف عن اشتهاء بيت جاره ، أو ضيعته ، أو حديقته ، أو سيارته ، أو سائر مقتنياته ·· ! ! ·

ولو أن الجيران لم يطمعوا فى أزواج أو زوجات جيرانهم ، لمـا امتلأت ساحات المحاكم بطلاب الانفصال أو الطلاق ، الى الحد الذى يجعلهم يلحون ويلحفون ، وفى سبيله قد يزورون ويدلسون ! ! ·

وها هو ذا القديس بولس يشير الى شـناعة الطمع فيصفه بأنه « عبادة أوثان » ثم يقابل بينه وبين القنـاعة فيقول · « وأما التقـوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة » ·

● كلمـة ختـامية :

ان مراجعتنا لهذه الوصايا العشر لاتخلو من فائدة عظيمة ، لأنها على الأقل توقفنا على قائمة طويلة لأعمال شـائنة قبيحة مما يدور هنـاك فيما هو قابع بين مخادع قلوبنا ، وكامن بين طيات جوانحنا ، مما لا يستطيع أن يراه الآخرون فينا ، أو نراه نحن فى أنفسنا ·· حين تتحجر منا القـلوب ، وتظلم الضمائر ، وتعمى البصائر ·· أما عينا الله فانهما تخترقان أستار الظلام · « وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ·· بل كل شىء مكشـوف لعينى ذاك الذى معه أمرنا » (عب ٤ : ١٣) ·



الفصل السادس

٦ آثار ونتائج الخطية

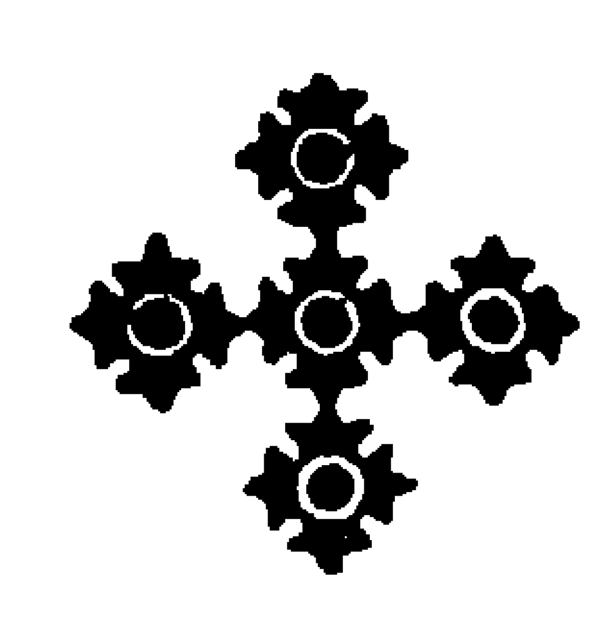
- الابتعاد عن الله.
- الاستعباد للذات.
- الصراع مع الآخرين.
-

الفصـل الســادس
آثار الخطيــة ونتائجها

أوضحنا فيما سبق ما الذى يراد من القول بعمومية الخطية ، ثم عرضـنا بعد ذلك لطبيعتها مستندين فى ذلك الى الوصايا العشر ، مقتبسين لذلك أمثلة ممـا يتصـل بكل وصية ، مدللين على أن ما قد يظهر أنه بمنـأى عن مخالفـة الوصية هو ، فى الواقع ، فى الصميم منها ٠

وكان حريا بنا أن نقف من الخوض فى موضوع الخطية عند هذا الحد ، فالحديث عنها لا يسر ، وفيه من الكآبة والقتامة ما فيه ٠ وكان الأولى أن ننتقل الى ما هو أكثر اشراقا ، وأبعث على الترويح والمسرة مما يتصل بتلك الأخبار السارة عن الخلاص الذى كان لنـا فى المسيح ، وصنيع الرب معنا ، اذ هيأ لنا خلاصه العجيب فى شخص الابن الوحيد والفـادى الحبيب ٠

ولكننا آثرنا أن نذكر شيئا عن نتائج وآثار الخطية ، لعلها ، وهى خطيرة فى ذاتهـا بهـذا المقـدار ، أن تزداد فى نظرنا خـطورة ، وتزداد قبحا ، اذا ما أدركنا كيف تنعكس النتائج القبيحة للخطية ، على صلتنا بالله ، وعلى أنفسنا كخطاة ، وعلى من نعاشر من النـاس ٠



(١) الابتعـــاد عن الله

١ ـ ولنبـدأ بأخطر هـذه النتائج ، واسواها على الاطلاق ، وهى أن الخطية تبعـدنا عن الله :

والابتعاد عن الله يناقض ما جبل عليه الانسان من توق الى معرفة الله ، والعشرة معه ، ومن هنا كانت قسوته ٠

ولكن الهنا الذى يراد لنـا أن نعرفه ، اله غير محدود كمالا ، وقداسة ، وطهارة ، وبرا ٠٠ لأنه « العـلى المرتفـع سـاكن الأبد ٠ القـدوس اسـمه » (١ ش ٥٧ : ١٥) وهو وحـده « الذى ٠٠ له عـدم الموت ، سـاكنا فى نور لا يدنى منه ٠ الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه ٠ الذى له الكرامة والقدرة الأبدية ٠٠٠ » (١ تم ٦ : ١٦) ٠ وهو « نور وليس فيه ظلمة البتـة ٠ ان قلنـا أن لنـا شركة معه وسـلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يو ١ : ٥ ، ٦) ٠٠ وعيناه « أطهر من أن تنظرا الشر » (حب ١ : ١٣) ٠

ان جميع من اتيح لهم من رجال « الكتاب » ، ان يروا لمحة من مجد الله ، او قبسا من محياه ، تولتهـم دهشة ـ واستولت عليهم خشـية » وانتابهم « وجـل ورعـدة » ٠٠٠ وودوا لو انهـم اسـتطاعوا ان يتـواروا خجـلا عندما تجلت لهم خطاياهم بازاء طهارة القدير وقداسته ، فازدادوا بثقل الخطية احساسا ، ثم زادهم احساسهم بها شعورا « بعدم الاستحقاق » ٠

● فهو ذا موسى قد غطى وجهه « **لأنه خاف أن ينظر الى الله** » ، حـين تجلى له فى العليقة التى كانت « تتوقد بالنار ولم تكن تحترق » (خر ٣ : ١ـ٦)٠

● وهو ذا أيوب يصرخ ، اذ كلمه الله من العاصفة ، قائلا : » بسمع الاذن قد سـمعت عنك ٠ والآن رأتك عيـنى ، **لذلك ارفض (اى ارذل نفسى) واندم فى التراب والرماد** » (٤٢ : ١٥) ٠

● اما أشعياء فيصرخ ٠ « **ويـل لى انى هلـكت ٠ لأنى انسـان نجس** الشـفتين ٠٠٠ لأن عيـنى قـد رأتا الملـك رب الجنـود » (٦ : ١ ـ ٥) ٠

ثم تنفلت من بين شفتيه صرخة مدوية حين يتراءى له الرب فى شبه ملك جالس « على كرسى عال ومرتفع ـ وأذياله تملأ الهيكل ··· وملائكته يقفون حوله ينادي أحدهم الآخر : « قدوس ، قدوس ، قدوس رب الجنود ، مجده ملء الأرض ·· فتهتز أساسات البيت من صوت الصارخ ، ويمتلىء البيت دخانا » ·

● واذ يرى حزقيال رؤياه العجيبة عن الريح العاصفة ·· والسحابة العظيمة ، والنار المستعرة « التى حولها لمعان ··· ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ، ومن وسطها شبه أربعة حيوانات ، وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل ··· وفوق المقبب شبه عرش ، ··· وعلى شبه العرش كمنظر انسان عليه من فوق ، ··· ومنظر نار ولها لمعان ··· هذا منظر شبه مجد الرب » (حز الاصحاح الأول) ··· واذ يرى حزقيال كل هذا الذى كشف عنه يصيح · « ولما رأيته خررت على وجهى » (١ : ٢٨) ·

● أما شاول الطرسوسى (الرسول بولس فيما بعد) الذى كان « ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب » فانه اذ كان فى طريقه الى دمشق ، أبرق حوله بغتة « نور من السماء ، فسقط على الارض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال له من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع ·· فقال وهو مرتعد متحير يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ » ·· **وظل شاول ثلاثة أيام لا يبصر ·· فلم يأكل ولم يشرب** » (١ ع ٩ : ١ ـ ٩) ·

ويشير بولس فيما بعد الى هذه الرؤية فى قوله ـ وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا » (١ كو ١٥ : ٨) ·

● أما يوحنا الرائى ، فاذ كان منفيا فى جزيرة بطمس ، فانه يصف فى اسهاب رؤياه للمسيح الممجد المقام من الأموات ، فيقول : « كنت فى الروح ، فى يوم الرب ، وسمعت ورائى صوتا عظيما كصوت بوق قائلا : أنا هو الألف والياء · الأول والآخر ·· فالتفت لأنظر الصوت ·· ولما التفت رأيت ·· شبه انسان متسربلا بثوب الى الرجلين ، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض ، كالثلج · وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى ، كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ··· ووجهه كالشمس ، وهى تضىء فى قوتها ، **فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت** » (رؤ ١ : ٩ ـ ١٧) ·

وهكذا نرى أنه اذا ما قيض للأستار الحاجبة لجلال الله أن ترتفع لوقت وجيز ، ··· ، لما استطاع بشر أن يحتمل منظر هذا الجلال · أما ما يتاح لنا كبشر من هذا الجلال ففيه الكفاية ، كل الكفاية ، للدلالة على مدى نقاء وعظمة مجد الله · علىأن الانسان ، اذ يكون منغمسا فىخطاياه،فانهلايستطيع الدنو من الله · فهناك هوة سحيقة تفصل بين الله فى بره ، والانسان فى شره ، وأية « خلطة للبر والاثم » وأية شركة للنور مع الظلمة » ؟ !

ونحن اذا عدنا الى خيمة الاجتماع فى القديم ، وجدنا أنه قد روعى فى تصميمها أن ترمز الى ما سبقت الاشارة اليه من ابعاد الخطية لنا عن الله ، وحجبها لوجهه عنا · ذلك أن الخيمة كانت مقسمة الى قسمين : يسمى أكبرهما « القدس » ، أما الأصغر فيسمى « قدس الأقداس » ، وهو الرمز المنظور لله · ثم يفصل الحجاب بين الاثنين ، بحيث لم يكن لانسان ـ غير رئيس الكهنة ـ أن يطأ قدس الأقداس · وحتى رئيس الكهنة نفسه لم يكن له أن يدخله الا فى يوم معين من العام ، هو يوم الكفارة العظيم ··· وبشرط أن يقدم دم « ذبيحة الخطية » ! ·

هذا المعنى ، المرموز له بهذا الطقس ، قد أبرزه كتبة العهدين القديم والجديد على السواء · ثم علموه للشعب ، موضحين له أن الخطية انما تفصلنا عن الله · فاذا انفصلنا عنه ، متنا ذلك « الموت الروحى » الذى هو ثمرة ردية لانفصال النفس عن مصدر حياتها : « لأن أجرة الخطية هى موت· وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٢٣) ·

ومن ثم كان مصير النفس التى ترفض المسيح « فى الزمان الحاضر » ، أن تصير الى موت أبدى « فى الدهر الآتى » ···

فلا تسمح لأحد ، اذن ، أن يثير شكك أو رفضك لوجود الجحيم ، فهى حقيقة واقعة بشعة ، ومن هنا كان وصف المسيح لها « بالظلمة الخارجية » حيث يقول : « والعبد البطال اطرحوه الى الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٥ : ٣٠) ·

أما المغزىمن هذه التسمية فيتضح لنا فى جلاء ، اذا ما أدركنا أن الانفصال عن الله غير المحدود لابد أن يكون انفصالا غير محدود ، أو هو ، بالتأكيد وعلى اليقين ، انفصال متصل الى أبد الآبدين ! ·

كذلك أطلق « الكتاب » على جهنم اسم « الموت الثـانى » و « بحـيرة النـار » · وهما عبارتان تشيران ، رمزا ومجازا ، الى خسارة النفس البشرية للحياة الأبدية ، وما تحسه النفس التى طردت من حضرة الله من ظمأ جامح الى المثول فى حضرة الله ، الذى فيه ، ومنه ، وله ، حياتها ! وهذا هو ما يقوله سفر الرؤيا : « وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النـار · هذا هو الموت الثانى · وكل من لم يوجـد مـكتوبا فـى سـفر الحيـاة طـرح فى بحـيرة النـار » (٢٠ : ١٤ ، ١٥) · ونفس المعنى تقريبا يكرره لوقا البشير فى قصته عن الغنى ، الذى اذ مات وألقى به فى الهاوية ، استغاث بابراهيم لعله أن يرسل لعـازر اليـه « ليبـل أطراف اصـبعه بمـاء ويبرد لسـانه » فجاءت اجابة ابراهيم تذكره بالهوة العظيمة التى قد اثبتت هناك بحيث أن « الذين يريدون العبـور من ههنا اليـكم لا يقـدرون ، ولا الذين من هناك يجتازون الينـا » (١٦ : ١٩ ـ ٣١) ·

وكما علم « الكتاب » بأن الخطية هى علة الانفصال عن الله ، فان واقع خبرتنا اليومية ، وما يمر بنا من اختبارات تؤيده · وانى لأذكر ـ هـكذا يقول مؤلف الكتاب ـ كم كان ارتباكى عندما كنت أصلى ، وأنا بعد حدث ، طالبا أن أنفذ الى حضرة الله ·· بينما كان يبدو لى الله كما لو كان بعيدا بعيدا ، وكأنه قد التحف بضباب كثيف لا يستطيع النظر أن ينفذ اليه ·· وكأنه ليس لى أنا أن أدنو منه ·· ولم أكن أعرف لذلك سببا وقتئذ ! · اما الآن ، وقـد قدمه لى أشـعياء ، فقـد عرفته · انه يردد فى مسـامعنا منـذرا « ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص · ولم تثقل اذنه عن أن تسمع ، بل **آثامكم صـارت فاصلة بينكم وبين الهكم** · وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسـمع » (٥٩ : ١ ، ٢) وكأننا ، وهذه حالنـا ، نشارك صاحب المراثى قوله عن الله ، « التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة » (٣ : ٤٤) ·

أما الذى نستطيع أن نقطع به فهو أن وجود السحاب ليس مسئولية الله · انه مسئوليتنا نحن لا سوانا · ومن ثم فاللوم اذن ينبغى أن يوجه الينا وليس الى غيرنا · ذلك أن خطايانا نحن هى التى تحجب الله عنا ، مثلما يحجب عنـا قرص الشمس كثيف السحاب ! ·

وكم هم أولئك الذين يجيئون الى معترفين بأنهم قد مروا بهـذا الاختبار الأليم الذى أشرت اليه ، والذى مررت به أنا شـخصيا ··· حيث يخيـل اليهم (كما فى أوقات الكرب والضيق ، أو الفرج والفرح ، أو الأمل والترقب ·· ،

ان الله منهم قريب ! • ومع ذلك ، فان ما كان يحدث لهم هو شعورهم برهبـة لا يفهمون مأتاها ، وخشـية لا يدركون علتهـا ، بسبب ما كان يتولاهم من شعور بأن المسافة بينهم وبين الله قد امتدت الى غير غاية أو نهاية •

نعم ! انه لم يكن مجرد شعور أو وهم ذالك الذى كانوا يحسونه ، فقد كان هو الحقيقة بعينها • فما لم نتطهر من خطايانا ، فان هذه الخطايا ستقوم حائلا دون شركتنا مع الله ••• فنظل غرباء ، ضالين ، مضيعين ، « وأمواتا بالذنوب ، والخطايا » (اف ٢ : ١) •

وبعد ، فلعل ما تقدم يكون فيه التفسـير لذلك القلق الذى يأخـذ ـ فى وقتنا هـذا ـ بخناق الجميع ! ! • فهناك جوع ينهش قلوب النـاس ، وليس من يستطيع أن يرد من غائلته ، أو يخفف من ثائرته ، الا الله ، وهناك فراغ فى نفوس الناس لا يسده الا الله • ولكنهم ، وهم بسبيل سد الجوع والفراغ ، لا يلتمسونه (من أسف) من القادر على سد الجوع والفراغ ، وانمـا يذهبون كل مذهب فى التماسه ، وينقبون عنه هنا وهناك وفى كل مكان ما عدا المصدر الحقيقى والنبع الصـافي حيث يوجد ! أجل ! انهـم يلتمسونه فيما يثير من أقوال الصحف وقصص الحب ، وأفلام الرعب ، ومسلسلات العنف والاثارة •• مما لا يدرأ جوعا ، أو يشفى من ظمأ •

نعم ان من هذه الأشياء التى ذكرنا ما هو برىء فى ذاته ، ولكن الايغال فيه ، والمبالغة فى السعى وراءه ، والاسراف فى الاستمتاع به ••• هو الذي يشى بجوع وظمأ هؤلاء الى الله ، والى الحاجة الملحة للدنو منه ، والى الشركة معه ••• وان ظلوا لا يدركون ، ادراكا واعيا ، ما اليه يحتاجون !

وقد كان القديس أوغسطينوس ملهما عندما قال فى مقدمة اعترافاته : « لقد خلقتنا يا الهى لذاتك ، ومن ثم ، فستظل قلوبنا فى قلق وحنين ، حـتى يكون استقرارها فيك » • •

انها فعلا لمأسـاة تجل عن الوصـف ••• أن يضـل ألانسان طريقه الى المصير الذى خلقه الله ليكون مآله فيه !

+ + +

(٢) الاســتعباد للذات

٢ ـ والاستعباد للذات هو الأثر الثـانى أو النتيجة الثانية للخطية ٠ فهى لا تصيرنا ، وكما رأينا ، بعيدين عن الله وحسب ، بل انها تصـيرنا عبيدا لذواتنـا ٠

ولعلنـا الآن بحاجة الى أن ننفذ الى الصميم من الخطية لنتعرف اليها من داخل ٠ واننا ، اذ نفعل ، فانها ستتراءى لنـا لا كمجرد عمل منحرف ردىء جانبـه التوفيـق ، ثم تـكرر ، فتطـور ، وصـــار عادة رديئـــة ٠٠٠ كـلا **وانمـا ستتراءى لنـا فسادا داخليا تعمقت منه الجذور ٠٠ وسندرك أن ما نرتكبه من أوزار انمـا هى أعراض خارجية لمرض كامن مستقر هناك فى العمق ٠٠** وسـنفهم أن العمل هو بمثـابة الثمـرة من الشـجرة ٠ وكما تنم الثمـرة عن طبيعة ونوع الشجرة ، فكذلك أعمالنا : هى التى تكشف عن طبيعة القلوب التى بين صدورنا ، ومن ثم كانت اشارة السيد المسيح « اجعـلوا الشجرة جيدة ، وثمرها جيـدا ، أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديا ٠ لأن من الثمر تعرف الشجرة ٠٠ كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ؟ فانه من فضلة القلب يتـكلم الفم ، الانســان الصالح من الـكنز الصـالح فى القـلب يخـرج الصـــالحات ، والانســـان الشرير من الـكنز الشرير يخـــرج الشـــرور ، (مت ١٢ : ٣٣ ـ ٣٥) ٠

فان قلنا ، قياسا على ما تقدم ، ان البقع الحمراء التى تطفح على جلد الطفل ليست هى فى ذاتها مرض الحصبة ولـكنها أعراض للميكروب الذى غزا الجســم فسبب المرض ، **جاز لنـا أن نقـول ان خطـايانا هى أعراض مرض روحى أصاب فى السويداء قلوبنا** ٠ والقلب ـ هكذا وصفه الوحى على لسان ارميـا ـ « أخـدع من كل شىء ٠ وهو نجيس من يعـرفه ٠ أنا الرب فاحص القلب ٠ مختبر الكلى ٠ لأعطى كل واحد حسب طرقه ٠ حسب ثمر أعماله » (١٧ : ٩ ، ١٠) ٠

ويقول السيد المسيح كذلك : « **لأن من داخل قلوب الناس ، تخرج الأفكار الشريرة** ٠ زنى ٠ فسق ٠ قتـل ٠ سرقة ٠ طمع ٠ خبث ٠ مـكر ٠ عهارة ٠ عين شريرة ٠ تجـديف ٠ كبرياء ٠ جهـل ٠٠٠ جميع هـذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان » (مر ٧ : ٢١ ـ ٢٣) ٠

و « الكتاب » مليء بالشواهد على هذا الوباء الذى ينفث سمه وعدواه فى طبيعة البشر . وهذا هو ما يعنيه علماء اللاهوت « بالخطيئة الأصلية » أى الانحياز نحو الخطية ، والتمركز حول الذات ، مما هو موروث ، وعميق الجذور ، داخل شخصياتنا البشرية ، حتى اذا ما طفا على السطح ، أعلن عن ذاته فى ألف صورة وصورة . وقد أسمى بولس الرسول هذا (فى كلمة مقتضبة واحدة) « الجسد » .. ثم أخذ يعدد صنوفا من أعمال الجسد الظاهرة « التى هى زنى . عهارة . نجاسة . دعارة . عبادة الأوثان . سحر . عداوة . خصام . غيرة . سخط . تحزب . شقاق . بدعة . حسد . قتل . سكر . بطر ... ان الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله ».

ومن حيث ان الخطية هى ذلك الفساد الداخلى الذى تلوثت به طبيعتنا البشرية ، فقد غدونا أسرى لهذه المجموعة من الأعمال والعادات الخارجية ، وأسرى بالأكثر لتلك العدوى الخبيثة التى تنبع منها هذه الأفعال والعادات ، وعنها تنبثق . وكم من مرة وصف الانجيل الناس بأنهم « عبيدا » ؟ ! .

أما الوصف « بالعبيد » فمما ننفر منه ونستنكف .. ولكنه لا يعدو الحقيقة قيد أنملة . وها نحن أولاء نرى اليهود وقد أحنقهم ، وأثار حفيظتهم ، قول السيد : « ان ثبتم فى كلامى ، فبالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق ، **والحق يحرركم** » . فلما أجابوه بأنهم ما استعبدوا قط لمستعبد ، أجابهم يسوع « الحق الحق أقول لكم ، ان كل **من يعمل الخطية هو عبد للخطية**» (يو ٨ : ٣١ ـ ٣٤) .

ويشير بولس الرسول كثيرا فى رسائله الى هذه العبودية البغيضة التى توقعنا فيها الخطية ، فيقول : « شكرا لله . انكم كنتم عبيدا للخطية ،ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها » (رو ٦ : ١٧) . ثم يكرر هذا المعنى عينه فى الرسالة الى أفسس فيقول « **الذين نحن أيضا جميعا** تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا ، عاملين مشيئة الجسد » (٢ : ٣) . ويكتب الى الحبيب تيطس : « لأننا كنا نحن أيضا قبلا أغبياء ، غير طائعين ، ضالين ، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة ، عائشين فى الخبث والحسد ، ممقوتين ، مبغضين بعضنا بعضا » (٣ : ٣) .

ويذكر لنا يعقوب الرسول بأن عجزنا عن السيطرة على ذواتنا مرده عجزنا عن التحكم فى لساننا بضبطه وتذليله .. وفى مجموعة من الاستعارات والتشبيهات يقول : « ان كان أحد لا يعثر فى الكلام ، فذاك رجل كامل ، قادر أن يلجم كل الجسد أيضا . هوذا الخيل نضع اللجم فى أفواهها لكى تطاوعنا .

هو ذا السفن أيضا ، وهى عظيمة بهذا المقدار ... تديرها دفة صغيرة ... هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر متعظما ... فاللسان نار . عالم الاثم . هكذا جعل فى أعضائنا اللسان الذى يدنس الجسم كله . ويضرم دائرة الكون ، ويضرم من جهنم ... هو شر لا يضبط . مملوء سما مميتا . به نبارك الله الآب ، وبه نلعن الناس » (٣ : ٢ - ٩) . وبعد ، فأية روعة تلك التى وصف بها اللسان ؟ ! .

وهذا ما ندركه من أنفسنا تمام الادراك . ذلك أن لنا مثلنا ، ولكن ارادتنا غالبا ما تعجز عن السمو الى قامة هذه المثل . وبينما نجد أنفسنا أشد ما نكون توقا الى الحياة النظيفة الفاضلة فاذا بنا نجد أنفسنا موثقين بأغلال ووثق تجعل من كل واحد منا حبيس ذاته . وليس فينا من يستطيع أن يفاخر بأنه قد خلع عن نفسه نير رقه ، ونضا عنه قيود عبوديته ، وغدا حرا !!

أليس من تحصيل الحاصل أن نعلم قواعد السلوك مثلا لمن يعجز عن تنفيذها ؟ وهكذا الأمر معنا . ذلك أننا مهما استمعنا الى صوت الله ، محذرا لنا من هذا أو ذاك، فاننا سنظل ، العمر كله ، تائهين . اننا لسنا بحاجة الى من يحاضرنا فى مكارم الأخلاق . ان حاجتنا الحقيقية الى « مخلص » . نعم اننا محتاجون الى الثقافة التى تنير منا الذهن ، والى التربية التى تقوم منا السلوك ... ولكن ستظل حاجتنا الى تغيير وتجديد قلوبنا ، أجل وأعظم.

لقد بلغ الانسان شأوا بعيدا فيما يتصل بالكشوف العلمية . فله كشوفه فى عالم الذرة ، وفيما يتصل بالطاقة وقوى الطبيعة ، وقد استطاع أن يميط اللثام عن الكثير من أسرارها ... ولكنه لا يزال فى حاجة شديدة ، الى القوى الروحية التى تحرره من ذاته ، وتقدره على امتلاك زمام نفسه ، وتسمو بأنماط سلوكه الى مستوى علمه ومنجزاته !! .

+ + +

(٣) الصراع مع الآخرين

٣ ـ اننا لم نقل بعد كلمتنا الأخيرة فى نتائج الخطية ، ولم ننفض بعد ما فى جعبتنا • فثم هـذا الأثر الثالث الذى ، اذ يضاف الى سابقيه ، يجعل الخطية تبدو لنا بشعة جدا ، خاطئة جدا ، قبيحة الى أبعد حدود القبح • وهى بحق دفينة فينا ، متأصلة الجذور فى طبيعتنا ، ومترسبة فى أعمق الأعماق منها • ومن هنا كان تحكمها فى ذواتنا ••• بل اننا لنختصر فنقول انها هى « الذات » أو « الأنا » ، من حيث عملها على اشـباع رغباتها وشهواتها ضـد الله ، وعلى حساب النـاس •

ومن أجل هذا كان الناموس والوصايا العشر • اذ بها نستطيع أن ندرك واجباتنا نحو الله والنـاس •

حقا ان هذه الوصايا قد جاءت فى صور نواه سلبية ، ولكن المسيح أراد أن يقدمها لنا فى قوالب ايجابية • لذلك زاوج بين الآية الواردة فى اللاويين والتى تقول : « لا تنتقم ، ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك » (١٦ : ١٨) والآية الأخرى الواردة فى سفر التثنية ، والتى تقول . « تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك • ومن كل قدرتك » (٦ • ٥) •• فقال يسوع للفريسى جامعا ومزاوجا بين الآيتين : « تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك • هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها : تحب قريبـك كنفسـك ــ بهـاتين الوصـيتين يتعـلق النـاموس كله والأنبيـاء » (مت ٢٢ : ٣٧ ــ ٤٠) •

والوصية الأولى من هاتين ، كما ترى ، تتصل بواجبنا نحو الله وحـده لا « القريب » • والحقيقة أننا متى أحببنا الله حق الحب ، سهل علينا أن نحب القريب كالنفس • أما الخطية ، فمن أسف ، تغرينا بعمل العكس ! ذلك أننـا نضع أنفسنا أولا ، وفى المقدمة ، ثم يأتى بعد ذلك ، وفى مكان ما من المؤخرة ، القريب والغريب ••• أما الله فانه يأتى آخر الكل ! ! « فأنا » أولا ، و « أنا » قبل كل شىء ••• وكأننا مهما تقدمت بنا السنون ، فان طفولتنا تظل تلاحقنا ، ونظل وكأننا لم نتعد المرحلة التى كان الطفل يصيح فيها بأعلى ما عنده من

صوت : « أنا ... أنا » اذا ما عرضت فرصة توزيع شيء مما يتهافت عليه الصغار كالحلوى ، وما اليها من مغريات للأطفال ! .

أجل ، قد نعف – فى الظاهر وككبار – عن ابداء رغبة فجة بريئة ، مما للطفل حين نسمعه صائحا أو متصايحا حتى تلبى حاجته ، قبل غيره ! أما نحن فاننا (فى أعماقنا) نظل تواقين الى أن تكون لنا الصدارة فى كل شيء كالمتكأ الأول فى المحافل ، والمكان الأول فى الصف . فاذا ما وقفنا فى الصفوف الخلفية ، أو جلسنا هناك فى آخر القاعة .. وجدنا أن هذا ، أو شيئا منه ، مما يشق علينا ، ومما تضيق باحتماله نفوسنا . ومن ثم كان اتخاذنا للمكان الأول ، وتنازعنا على الصف الأول ، انما يأتيان عفوا ، ودون ما تفكير . وقد يكون هذا شأننا دائما اذا ما جلسنا الى مائدة الطعام ، فنكدس أمامنا فى الصحفة أطيبه ، أو على الأقل نتخذ مكاننا حيث تكون أطايبه ! ! .. وهكذا نظل فى محاولة دائبة لأن تكون لنا الأفضلية دائما على غيرنا ... حتى أننا لو استطعنا أن نتخطى – فى غفلة من الآخرين – دور من كانوا فى الصف قبلنا ، فعلنا فهذا هو ، أبدا ، دأبنا ! .. أوليس الكلام بالنسبة لنا أسهل من الانصات ، أو ليس الأخذ عندنا أيسر من العطاء ؟ ! .

نعم ! ولقد سوغ هذا لأحدهم أن يقول « ان ذاتى هى مركز الكون عندى ، وليس لدى ما أحسب له حسابا عداها ! . ولو أن دائرة الأفق من حولى رحبت واتسعت ، وتعددت فى نظرى المشاهد ، فانما يكون ذلك لأنى أكون قد غيرت الموضع الذى كنت فيه أقف ومنه أتطلع ، واستبدلته بمكان أكثر ارتفاعا ! .. فالأمر مرجعه – فى النهاية – الى نفسى ! ولو أن وسائط التربية والتهذيب نجحت فى الحد من غلوائى ومن تمركزى حول ذاتى ، فانما تكون فقط قد جعلتنى كما لو كنت أعلو برجا أو أرتقى درجا .. وبذلك يتسع مجال الرؤية أمامى ... ولكن ذاتى ستظل هى هى مركز الدائرة ، وبؤرة العدسة ، والمحك الذى اليه تنتسب الأشياء وعليه تقاس ! » .

أما تمركزنا حول ذواتنا ، واستمرار عبادتنا لأشخاصنا ، فمما يعتبر – كما لابد أن نعلم – من قبيل التعدى من جانبنا على الله واخوتنا فى البشرية ، ومن شأن هذا التعدى أن يجعلنا فى صراع مستمر معهم لا تخفف منه أية هدنة أو مهادنة ! واذ يبرز الأثرة فينا ، فانه يغدو الطابع المميز لسلوكنا ، ومعه يصعب علينا التكيف والآخرين ، ونظل اما دونهم أو فوقهم ، حتى اذا جرت الصدفة بأن نكون دونهم ملأنا الدنيا عويلا لكى نشد الناس الينا لعلهم أن يشيدوا بنا ونصير عندهم مضرب المثل بتواضعنا ! . ويندر أن نكون كما أراد

القديس بولس لنـا « فنرتئى الى التعقل » · فنحن نبـدو تارة فى قمـة الحس المرهف ، وتارة فى قمة الحس البليد ، وعلى الحالين نظل فى عمى من البصيرة، وفى توجس مستمر وحيرة ، وأبدا لن يقر لنـا قرار أو نركن الى استقرار ·

ولمـا كانت العـلاقات الانسانية فى ضـوء الحيـاة العصرية قـد غدت متشابكة متعارضة متضاربة معقدة،حتى فيما بين أفراد الأسرة الواحدة كالآباء والأبناء أو الأزواج والزوجات ، وبين أصحاب العمل والعاملين ، وبين الرؤساء والمرءوسين ·· لمـا كان التعقيد قد صار سمة على كافة الظواهر الاجتماعية ، فقد أعوز الناس الشـعور بالأمن ، وأمست البيوت وأصـبحت تتهددها أشباح القطيعة والانفصال ، ولم يعد هناك ما يدخل الطمأنينة على قلوب الأطفال ·· ومن أجل هذا كثرت انحرافاتهم ، وصار الحـدث المنحرف ظاهرة ترزح تحت وطأتها الأسر والجماعات ! ! ·

وكان من الممكن الا يقع شىء من هذا لو أن الخلافات الزوجية سويت فور ظهورها ، أو قمعت فى مهدها قبل أن يدب دبيبها ، ولكن ، أنى لنـا بالزوجين اللذين يكونان اكبر قلـبا ، وأكثر صبرا ، وأوسع صدرا ، وأقل لجاجا فـى الخصومة ، وأسرع الى الاعتراف بالخطأ وأكرم فى الاعتذار ، وأسخى فـى الاغضاء !! أجل كم من خلافات مهنية ، ومنازعات أسرية ، كان يمكن مداراتها وتلافيها ، لو أن كل جانب فيها تعرف فى أمانة وفى استقامة ، الى وجهة النظر الأخرى ، ومناقشتها فى سماحة ، وبروح يحدوها حب وايثار بعيدا عن التحزب والانحياز ؟ وان كان هذا هو ما يجب أن يـكون ، الا أن الواقع يكذب ذلك ··· فالتسامح والكرم انمـا يكونان فيما يتصل بنا نحن ··· والشك وقساوةالقلب انمـا يكونان من نصيب الآخرين ! ! ·

ومن أسف أن هذا الذى يحدث بين الأفراد والجماعات ، انمـا يحـدث مثله على المستوى الدولى · فالقلق والتوتر اللذان يزدادان تفاقما وحدة بين الدول وبين الشعوب ، انما مردهما الى الخوف والغباء والاقتصار علىمناقشة الأمور من زاوية واحدة ضيقة ، لا تخلو من تحزب وانحياز · وبقدر ما تكون المبالغة فى فضائل جانب ، يكون الانتقاص بل والمبالغة فى نقائص الجانب الآخر فى المعسكر المضاد ! ! ·

على أن اللوم الذى نوجهه الى العلاقات الاجتماعية أو الدولية مهما كان مبلغه ، فان مرده ، الى تلك الخطية البشرية التى هى التمركز والتقوقع فـى

الذات ، ولو أن روح الايثار ، وانكار الذات ، حلتـا حيث تنزل الأنانية وحب الذات ، اذن لاختفت ، أو على الأقل ، خفت الاختلافات ٠

ويطلق « الكتاب » على التضحية ، والايثـار ، وانكار الذات اسما واحدا هو « المحبـة » ٠

وبينمـا تـكون الخطيـة أســاسا أخـذ وامتلاك ، نجـد أن المحبـة ، من حيث الجوهر ، بذل وعطاء ٠ وقد طاب لأحدهم أن يقول ٠

دأب المحبة بر وعطاء ــ صفح جميل واغضاء ٠ ففى البذل حياتهـا ، وفى اليد الممدودة أداتها ٠ لأنشعارها المعهود عطاء ولواؤها المعقـود عطاء ، وطعامها المنشود عطاء ٠ وهى فى اللب والجوهر عطاء فى عطاء ٠

حقا ان الانسـان محتـاج الى ما يغير ، تغييرا جذريا ، من طبيعتـه ٠ ويحيله خليقة جديدة ، فيتحول ــ كما قال بعضهم ــ من النفس الى اللانفس ، ومن الأثرة الى الايثار ! ٠

وهل لانسان أن يدرك مثل هذا التحول ببره الذاتى ، وقدرته الشخصية ؟ كلا ٠ وانما هو محتاج الى « مخلص » ليتم عن طريقه هذا التحول ٠ وهذا هو بيت القصيد من جميع ما قلناه فى شأن الخطية ٠ فمـا أردنا أن نتعـرف الـى طبيعتها الا لأننا أردنا أن يشعر كل منا ، شعورا واعيا وكاملا ، بحاجته الى هذا المخلص الذى وهب لنـا فى شخص الفادى يسوع ٠٠٠ حتى اذا ما اقتنعنا بالحاجة اليه مخلصا ، كنا مستعدين لفهم وقبول ما يقدمه لنـا أو يطلبه منا ٠ فقبولنا له مشروط باقرارنا بحاجتنا اليه ٠ وفينا يصدق قول السيد : « لايحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المـرضى » (١ مر ١٢ : ١٧) ٠ فان أدركنـا خـطورة المرض الذى لحق بنا والذى تحت نيره رزحنا ، كنا أحرياء أن ندرك كذلك أن حاجتنـا الى الطبيب تغـدو ملحة ، لأن فيـه وعنـده البرء والراحة لاسقـام نفوسـنا ٠

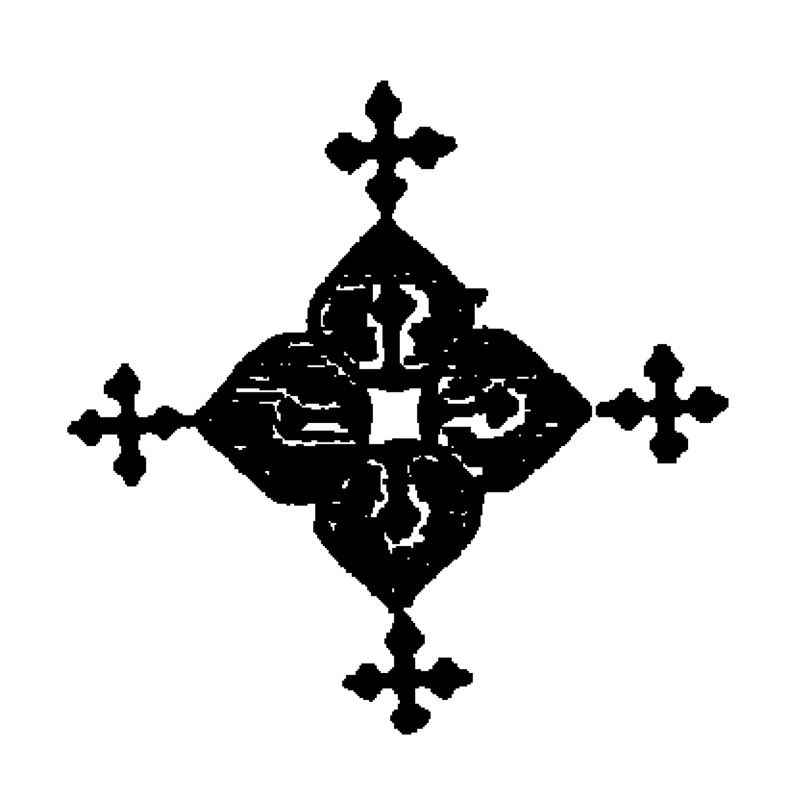
على هذا الوجه تكون المسيحية دين انقاذ وخلاص ٠ ولكن فهمها على هذا الوجه لن ينجـح فيه النـاس ، ما لم يدركوا ادراكا واعيا حاجتهم الـى الخلاص ٠

واذ تتكشف لهم هذه الحاجة الى الخـلاص ، ينبثق ايمانهم بمن يقـدم لهم هذا الخلاص ٠

هـذا وسنوفسح فى الفصلين التاليين ، كيف كان فى المبادرة من جانب الله ، فى شخص المسيح ، الحل لمشاكل البشر الذين لم يعد لهم من مشكلة ، فى الواقع ، غير الخطية •

ففى الرب يسوع تمت لنـا الغلبة على الخطية ، وكل آثارها البغيضة ، لأنه بموته عن خطايانا وضع نهاية لبعدنا عن الله ، وأعادنا الى مكاننا من حيث البنوة لله أبينا •

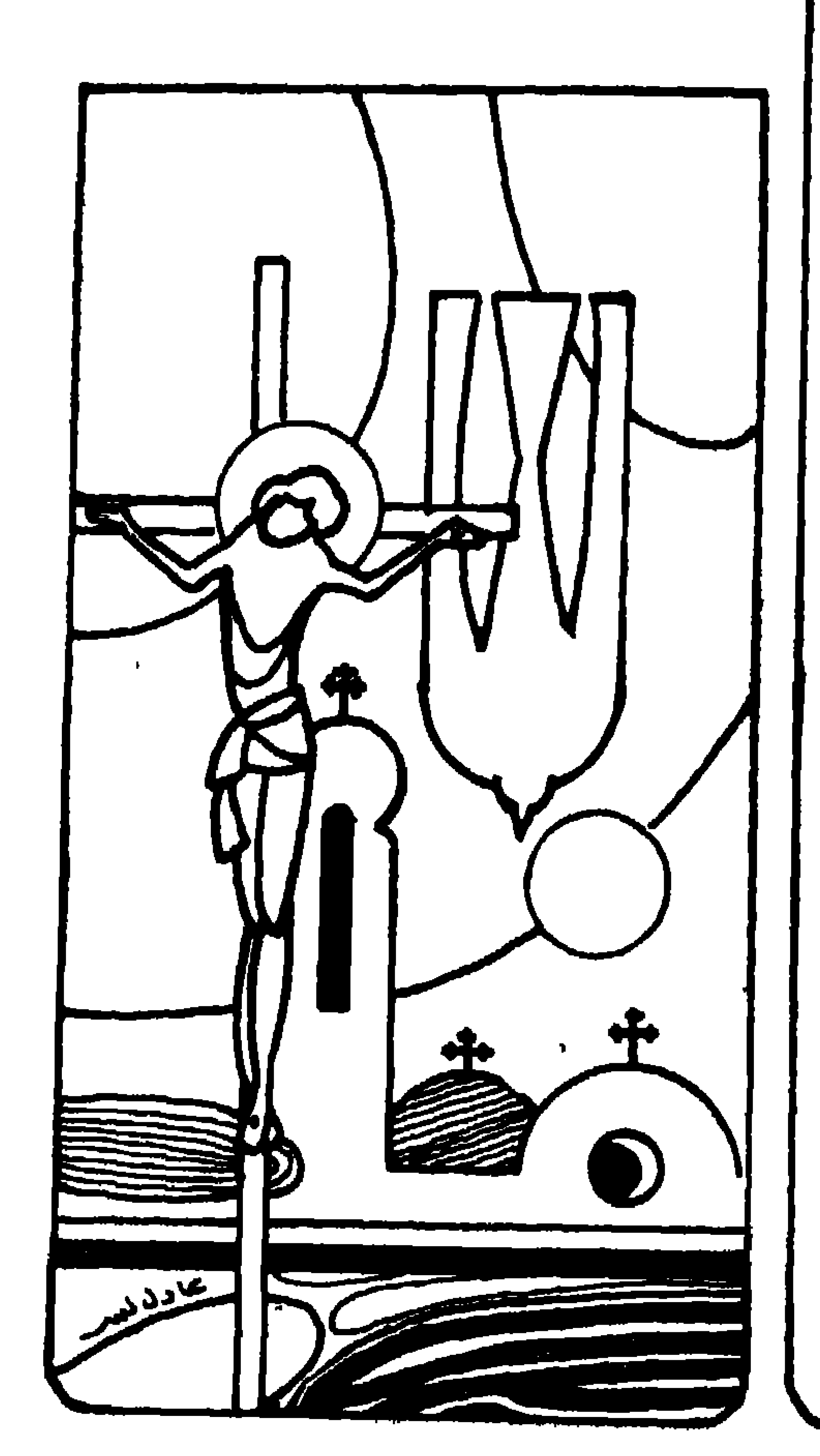
حتى اذا ما أرسـل الروح المعزى الينا، صرنا خليقة جديدة » وبفضلها وبفضل هذه « الولادة التى من فوق » يتاح لنـا أن نؤسس مع اخوتنا هـذه الاخوة الجامعة التى هى كنيسة المسيح ، والتى فيها نترابط ونتوحد ، (مهما كان مـكاننا من المسـكونة) فنصـير كأخـوة « لنـا أب واحـد هو اللـــه » (يو ٨ : ٤١) •





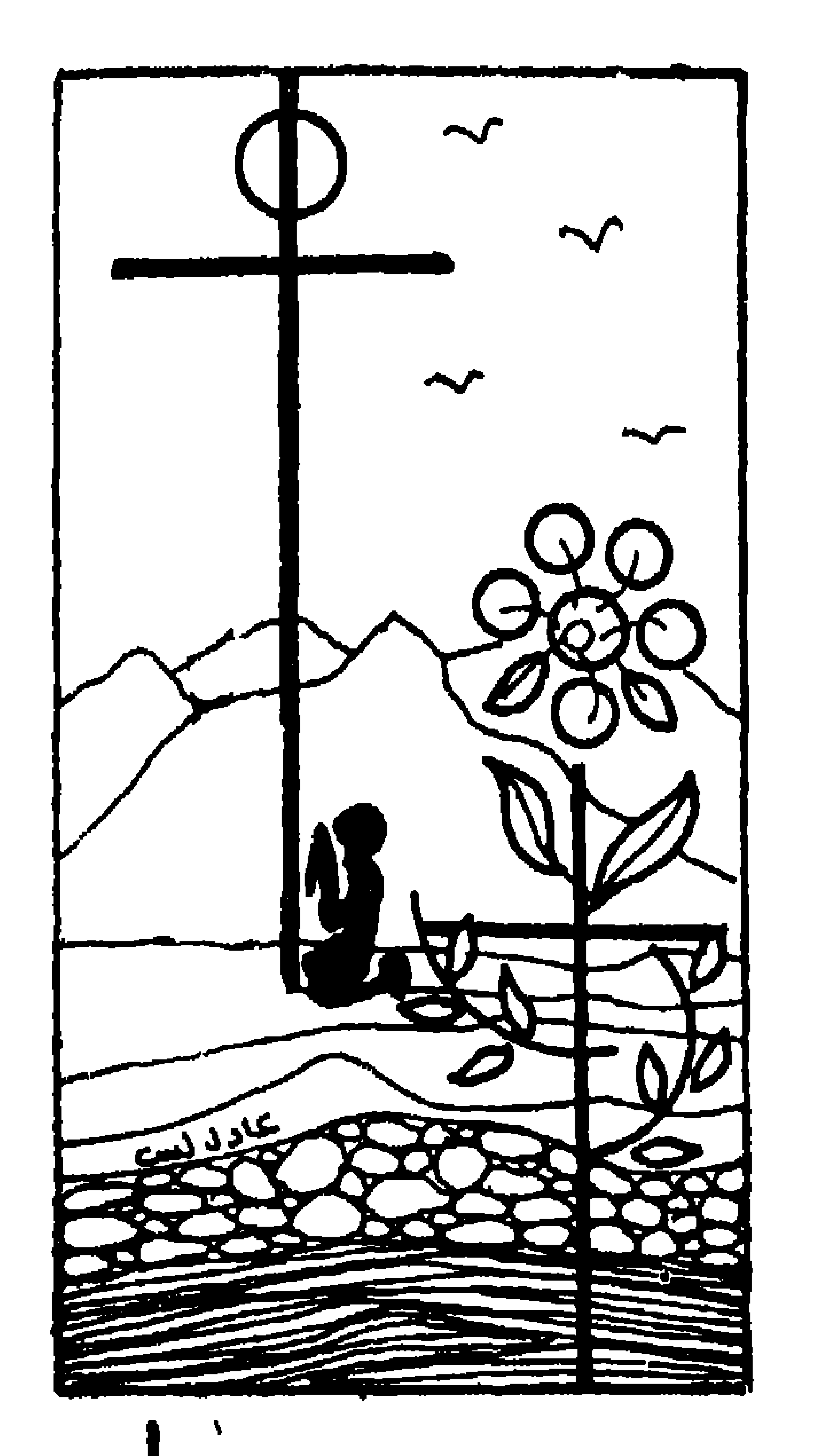
الباب الثالث

عمل المسيح



٧ موت المسيح.

٨ روح المسيح وكنيسته.



الفصل السابع

٧ موت المسيح

- مركزية الصليب.
- معنى الصليب.

الفصـل السـابع

موت المسـيح

اوضحنا فيما سلف ، أن الانسان خاطيء · ومن حيث انه خاطيء ، فهو محتاج لمخلص · ولهـذا السبب فقط ، أرسل الينـا الآب السماوى ، ابنه يسوع المسيح ، ليكون به ، وليتم فيه ، هذا الخلاص : « ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصا للعـالم » (١ يو ٤ : ١٤) ·

وهذا حق هو · فما كان لكائن أن يخلص العـالم سوى ابن الله ·

وأما كيف تم هـذا الخلاص ، وما هى الطريقة التى تم بها ··· فسيكون هذا موضوع حديثنا فى هذا الفصل ، والفصل الذى يليه ·

والخلاص ، كما لابد أن نعلم ، معناه التحرر من الخطية ، والتحرر بالتالى من آثارها · فبالمخلص المسيح استطعنا أن نتحرر من أسر الخطية ومن التصارع مع الآخرين ·· وبذلك تم صلحنا مع الله الذى أقصتنا الخطية عنه · واذ تم لنا هذا الصلح ، فقد حل الوئام والتصافى محل الخصام والتلاحى ·

وقد جعل السيد هـذا الخلاص ممكنا ، حين مات عنا ، وأرسـل روحه القدوس الينـا ، وتأسست الكنيسة الجامعة التى وحدتنا وجمعت كلمتنا ·

وقد وصف بولس الرسول عمل يسوع بأنه « خدمة المصالحة » · لأن الله هو « الذى صالحنا بيسوع المسيح ، وأعطانا خدمة المصالحة » (٢ كو ٥ : ١٨) وكذلك كان وصفه لانجيل المسيح بأنه « كلمـة المصـالحة » لأن « الله كان فى المسيح مصالحا العـالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعا فينا كلمة المصالحة » (٢ كو ٥ : ١٩) · ومن ثم يتضح لنـا ، وبحكم هذا النص ، أن هـذه المصالحة قد تمت ، لأن من الله كان ابتداؤها ، وفى المسيح كان تمامها ، وبه « صالح الله العـالم لنفسه » ·

فخلاص البشرية الذى تم بموت المسيح معلقا على خشبة ، كان أصلا ،

ومنذ الأزل ، فى ضمير الله وفكره ، وفى ملء قلبه • فان كان هناك تفسير لموت المسيح وخلاص الانسان لا يتفق وهذه الحقيقة ، فانه يكون مضادا لتعليم « الكتاب » ، الذى يقرر صراحة أنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦)•

ويظل بولس الرسول يعرب عن ولائه لهذه الحقيقة ، فلا يكف عن ترديدها أو تذكيرنا بها ، فى رسائله من آونة لأخرى • فهو يكتب الى أهل كولوسى : ان الله سر أن يحل كل الملء (فى المسيح) ، وأن يصالح به الكل لنفسه ، عاملا الصلح بدم صليبه » (١ : ١٩ ، ٢٠) • ثم يكتب الى أهل رومية : « لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون معه نخلص بحياته • وليس ذلك فقط ، بل نفتخر أيضا بالله ، بربنا يسوع المسيح ، الذى نلنا به الآن المصالحة » (٥ : ١٠ ، ١١) •

هذا ، وقد وردت كلمتا « الكفارة والفداء » ، فى بعض التراجم فى معنى « المصالحة » • على أن المعنى سيظل هو هو • وستبقى هذه المصالحة ، أو هذه الكفارة ، هى الهبة التى نلناها ، فى شخص الرب المخلص يسوع المسيح • فلم يكن لجهد ذاتى من جانبنا الفضل فيها ، فهى أولا وأخيرا هبة وعطية ، وميزة مجانيــة •

ذلك أن الخطية اذ أبعدتنا عن الله وحالت بيننا وبينه ، وفصمت عرى شركتنا معه ، جاء الصليب فصار هو الكفارة عنها ، وفيه كان السداد لدينها ، ومن ثم عبر بنا هذا العائق الذى كان يحول دوننا والهنا • فأحل السلام محل العداوة ، وأحل الحياة مكان الموت ، الذى كان ثمرة للخطية « لأن أجرة الخطية هى موت • وأما هبة الله ، فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٢٣)•

ولعلنا الآن نسأل : ماذا يعلمنا « الكتاب » عن الصليب ؟ نعم اننا سوف نعلم باليقين ماذا يعلمنا ، اذا ما وجهنا اهتمامنا الى أمرين هما : « مركزية » الصليب ، « ومعنى » الصليب •

+ + +

(١)

مركزية الصليب ··

أو الصليب كمركز تتجمع حوله الأحداث

اننـا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الشخصـية الأولى التى يدور حولهـا « الكتاب » هى شخصية الرب يسوع · وان الصورة البـارزة فى كتاب حياته هى صورة موته · وليس لشىء من هذا أن يثير عجبنا · لأن موضوع « الكتاب » هو خلاص الخطاة · ومن هنا كان المسيح المصـلوب هو أبرز موضوعاته ، لأن فيه ، وفيه وحده ، كان الخلاص · ومن أجل هذا كان توبيخ المسيح لتلميذى عمواس · فقد كانت لديهما الكتب والأنبياء ، وقد ألمـا بها كلاهما ، ومع ذلك فقد فاتهما أن يدركا أن موت المسـيح كان ضرورة لا محيص عنهـا ، فيؤمنا · ومن هنـا استحقا أن يقول المسيح لهما : « أيها الغبيان والبطيئـا القـلوب فى الايمـان بجميع ما تكلم به الأنبيـاء · أما كان ينبغى أن المسـيح يتألم بهذا ويدخـل فى مجده ؟ ·· ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لو ٢٤ : ٢٥ ــ ٢٧) ·

فمنذ البداية كانت ديانة العهد القديم ديانة تقدمات ، وقرابين ، وذبائح ، ومحرقات · ومنذ أن قدم هابيل من « أبكار غنمه ، ومن سمانها ، فنظر الرب الى هابيل وقربانه ··· » (تك ٤ : ٤ ، ٥) منذ هذه اللحظة وشعب الله يقـدم الذبائح والمحرقات · ومن أجلها أقيمت المذابح ، ونحرت الحيوانات ، وسفك الدم ··· وكان كل هذا قبل أن يرد لهـا ذكر فى شريعة موسى ·· واذ لم يكن هناك تشريع حينئذ ، فان تقديم هذه الذبائح كان يأتى عرضا ، وحـين يطيب لمقدميها أن يفكروا فيها ·· حتى اذا ما جاء موسى ، وجدد الله للشعب عهده ، صار تقديمها فريضة الهية ، شرع لهـا ، ووضعت لهـا « المواصفات » ، وتعين على كل يهودى أن يلم بأسمائها ، وأوقاتها ، ومناسباتها ، ومكانها من اليـوم أو الشهر أو الحول ·· والطقوس التى تتصل بتقديمها ، والأوصاف التى تطلق عليها · فهى حينا ذبيحة محـرقة ، وحينا تقدمة ملء ، وشـكر ، وفى أحيان أخرى ذبيحة خطية واثم ·· ولم يكن ليهودى ــ مهما كانت درجة تدينـه ــ أن يجهل شيئا مما يتصل بشىء من هذا لأنه كان يلقن ، منذ نعومة أظفاره ، هـذه الحقيقة : « انه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) ·

هذه الذبائح التى حفل بها العهد القديم · والتى ظل العمل بها مستمرا حتى خراب الهيكل (وذلك بعد الميلاد بسبعين سنة) ··· كانت ترمز بصورة مرئية ، الى هذه الذبيحة العظمى « المسيح » ، وكانت كذلك بها تنبىء · فقد طفق أنبياء العهد القديم ، ومرنمو المزامير ، يتنبأون بالمسيح المتألم · وأننا لنرى ـ مهما كانت الرؤية باهتة شاحبة ـ صورة للمسيح فى شخص ذلك العبد الذى وصفته بعض المزامير ـ وكأنها تشير الى المسيح ـ بأنه تألم وهو البرىء ، أضطهد وهو المظلوم ·· وكأنها أيضا تشير الى ذلك الراعى الذى ضرب فتبددت غنمه : « استيقظ يا سيف على راعى ··· يقول رب الجنود ، أضرب الراعى فتتشتت الغنم » (١٣ : ٧) · أو لم يشر المسيح نفسه الى هذا عندما قال : « ان كلكم تشكون فى ، فى هذه الليلة · لأنه مكتوب انى أضرب الراعى فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) ؟ ·ولعلنا أن نرى المسيح أيضا فى صورة ذلك الرئيس الذى « يقطع » ، والذى أشار اليه دانيال فى الاصحاح التاسع ! ولكننا نراه ، كأوضح ما تكون الرؤية ، فى تلك الصورة النبيلة ، لذلك العبد المتألم الذى وصفته الاصحاحات الأخيرة من سفر اشعياء فقالت عنه انه . « لا صورة له ولا جمال ·· محتقر ومخذول من الناس · رجل أوجاع ومختبر الحزن ·· لكن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا · وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ··· كلنا كغنم ضللنا · والرب وضع عليه اثم جميعنا · ظلم · أما هو فتذلل · ولم يفتح فاه · كشاة تساق الى الذبح ·· وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء · ضرب من أجل ذنب شعبى · وجعل مع الأشرار قبره ·· على انه لم يعمل ظلما ، ولم يكن فى فمه غش » ! ! (٥٣ : ١ ـ ٩) ·

اذن فقد « كان ينبغى أن المسيح يتألم ، ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث » (لو ٢٤ : ٢٦) ·

ان المسيح حقا كان يعلم أن الأسفار المقدسة كانت تشهد له ، كما أنكل توقعات الأنبياء والكتب كانت ستتم فيه · وهذه هى اشاراته العديدة عنمعاناته وآلامه العتيدة أن يعانى ! انه قد بدأها فعلا عندما جاء الى قيصرية فيلبس وسأل : « من يقول الناس انى أنا ؟ » فما ان سمعه بطرس حتى أجاب على الفور بأنه المسيح · ومن ثم ابتدأ « يعلمهم أن ابن الانسان (ينبغى) أن يتألم كثيرا · ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويقتل ، وبعد ثلاثة أيام يقوم » (مر ٨ : ٣١) ·

ان « حتمية » الألم هذه ، لم يكن من بديل عنها ، أو فكاك منها · ولذلك جرت كثيرا علىلسان المسيح ، ولم يكن ليخلو منها تعليم من تعاليمه ، باعتبارها

« الصبغة » التى كان عتيدا أن يصطبغ بها · لذلك كان يستحث الخطى نحو هذه الساعة التى ظل يردد القول بأنها لم تأتبعد ·· حتى اذا ما قبض عليه ، وبات من الصليب قاب قوسين أو أدنى ، « رفع عينيه نحو السماء · وقال أيهــا الآب قد أتت الساعة · مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا » (يو ١٧ : ١) ·

نعم ان نفسه كانت تضطرب انتظارا لهــذه الساعة · بل أنه فعلا صرخ : « الآن نفسى قد اضطربت · وماذا أقول ؟ أيها الآب · نجنى من هذه الساعة » ولكن « لأجل هذا أتيت الى هذه الساعة · أيها الآب مجد اسمك » (يو ١٢ : ٢٧)·

وأخيرا ، واذ حلت ساعة تسليمه ، واستل سمعان سيفه ليحمى سيده فقطع أذن عبد رئيس الكهنة ·· وبخه يسوع قائلا : « اجعل سيفك فى الغمد · الكأس التى أعطانى الآب الا أشربها ؟ « (يو ١٨ : ١١) ثم يكتب متى البشــير أن يسوع أكمل حديثه قائلا : « أتظن انى لا أستطيع الآن أن أطلب الى ابى ، فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ؟ فكيف تكمل الكتب ؟ انه هكذا « ينبغى » أن يكون » (مت ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤) ·

ان الأهمية العظمى التى للصليب ، والتى نبأ بها العهد القديم ، وعلم بها يسوع ، قد أدركها من كتبوا العهد الجديد فأعطوها ، وأعطوا معها الأسبوع الأخير من حياة المسيح ، الجانب الأكبر من بشاراتهم بالقياس الى ما أعطوه لحياته وخدمته · فقد خص متى الأحــداث التى وقعت فيما بين دخــوله المظفر الى أورشليم وصعوده المجد الى السماء ، بخمسى انجيله ، ومرقس بثــلاثة الأخماس ، ولوقا بالثلاث ، ويوحنا بالنصف · ونكاد نرى انجيل يوحنا وقــد قسم الى قسمين متعادلين ، يمــكن أن نطلق على القســم الأول ســفر الآيات والمعجزات ، وعلى القسم الثــانى سفر الآلام ·

على أن كثيرا مما أشارت اليه الأناجيل تلميحا ، ذكرته الرسائل صراحة· وهوذا بولس الرسول لا يمــل من تذكير قرائه بالصليب ، كمظهر من مظاهر شعوره الصادق العميق بما كان يدين به للمخلص الذى مات من أجله · من أجل ذلك نسمعه يقول : « مع المسيح صلبت · فأحيا · لا أنا ، بل المسيح يحيا فى · فما أحياه الآن فى الجسد ، فانما أحياه فى الايمان · ايمان ابن الله ، الذى أحبنى وأســلم نفسه لأجــلى » (غل ٢ : ٢٠ ، ٢١) · ويباهى مفتخرا فيقول : « حاشا لى أن افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذى به قد صلب العالم لى ، وأنا للعــالم » (غل ٦ : ١٤) ·

وقد انعكس اختبار الرسول هذا على خدمته • فنال الصليب من اهتمامه أكبر نصيب ، وخصه فى رسائله (لا سيما الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس) بأكبر قدر من عنايته ، فقد كان يخشي على أحبائه ممن راسلهم ، من خطر الوقوع فى متاهات الفلسفة اليونانية ، ومن ثم فقد آثر أن يكون حديثه اليهم على جانب كبير من الحسم والقطع ، حتى لايكون هناك مجال للتردد والمساومة • ولنستمع اليه وهو يقول : « لأن اليهود يسالون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة ، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا • لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة ، وأما للمدعويين يهودا ويونانيين ، فبالمسيح قوة الله ، وحكمة الله » • (١ كو ١ : ٢٢ ـ ٢٤) •

واذ كان يخشي أن يتنكر البعض للصليب وأن يعتبروه ذلا ومهانة ، فانه بادر فقال : « ان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله • لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء ، وأرفض فهم الفهماء ••• لأنه اذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة ، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » (١ كو ١ : ١٨ ـ ٢١) •

وهذا نفسه هو ما أعلنه بولس الرسول لأهل كورنثوس على اثر عودته من أثينا فى رحلته التبشيرية الثانية ، فى قوله : « لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا » (١ كو ٢ : ٢) • ثم يضيف الى هذا قوله : « فانى سلمت اليكم فى الأول ، ما قبلته أنا أيضا : ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » (١٥ : ٣) •

أما ما كتبه القديس بطرس فسيكون موضوع تأملاتنا فيما بعد • ولكن حسبنا الآن أن نتأمل فى قول القديس بولس فى رسالته الى العبرانيين عن المسيح من أنه « لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد •• ولا ليقدم نفسه مرارا كثيرة ، كما يدخل رئيس الكهنة الى الاقداس كل سنة بدم آخر •• ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ، ليبطل الخطية **بذبيحة نفسه** » (عب ٩ : ٢٤ـ٢٦)

وهكذا ، عندما نصل الى هذا السفر الغامض الرائع العجيب ـ سفر الرؤيا ـ ستتاح لنا لمحة نرى من خلالها يسوع المجد ، الى جانب عرش الله ، لا فى صورة « الأسد الذى من سبط يهوذا » •• فحسب ، ولكن فى صورة « الخروف القائم كأنه **مذبوح** أيضا » (رؤ ٥ : ٥ ، ٦) • كذلك سنستمع الى ربوات الملائكة والقديسين يمجدونه منشدين : « مستحق هو **الخروف المذبوح**

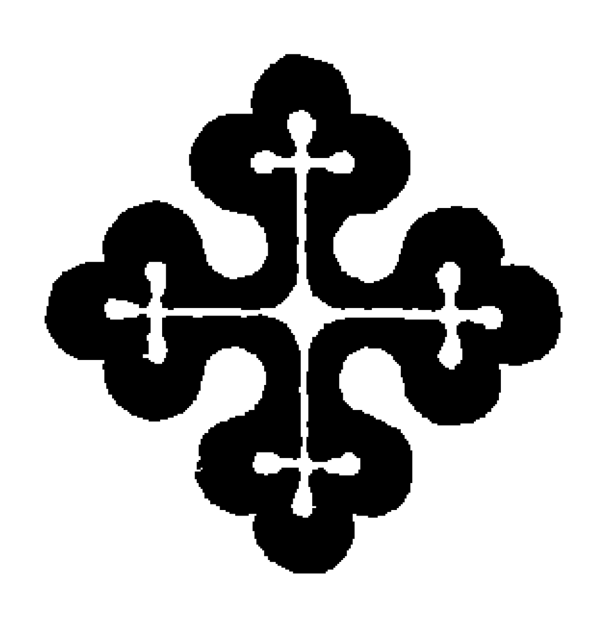
أن يأخذ القدرة ، والغنى ، والحكمة ، والقوة ، والكرامة ، والمجد ، والبركة » (رؤ ٥ : ١٢) ٠

وهكذا نرى ، من سفر التكوين حتى نهاية سفر الرؤيا ، أثر الصليب ٠ نعم انه هنا ، وانه هناك ٠٠٠ وهو (كعلامة على الطريق) لا تكف قط عن أن تهدينا بين دروب الكتب المقدسة ومتاهاتها ٠

وهذا الذى يعلمنا اياه « الكتاب » عن الصليب كمركز للأحداث (منه تنطلق ، وبه تنتهى ، وحوله تدور) ، قد أدركته الكنيسة بدورها ، فاتخذت من الصليب شعارا ٠٠٠ تبدأ فترسم به الطفل حين عماده ، وتنتهى به وقد توسد قبرا ، عند موته ، يعلو الصليب هامته ٠ بل ان بعض الكنائس لتبنى على هيئة صليب ٠٠ ناهيك عن استخدامه حلية يزين بها المسيحيون صدورهم أو يعلقونها فى أعناقهم ٠

أكان من الممكن أن ينشأ هذا وليد صدفة ؟ ! بالطبع لا ٠ فالصليب أصل ، وجوهر ، وركن فى المسيحية ركين ٠

وان ما رآه قسطنطين مخطوطا على صفحة السماء من رسم للصليب ومعه هذه العبارة « بهذا وحده تغلب » ٠٠٠ ان هذا الذى رآه ـ فيما روى عنه ـ نستطيع نحن أن نراه مسطورا على صفحات « الكتاب » فى أكثر من مكان ! **فلا غلبة الا بالصليب ، بل ولا مسيحية بغير الصليب ٠٠ وما كان للمسيحية أن توجد أصلا ، لو لم يرتفع صليب الرب يسوع : هذا الصليب الذى هو بحق أصل من أصول المسيحية ، وحجر من أحجار الزاوية فيها ٠**



(٢) معــــنى الصـــليب

أما وقد حاولنا أن نوضح فيا تقدم ما أردناه من القول بمركزية الصليب، باعتباره محورا دارت حوله أحداث « الـكتاب » ، فسنحاول الآن أن نميط اللثــام عن معنى الصليب · ونقول « سنحاول » لأن الموضوع أعمق من أن يكشف هكذا عنه الغطاء · بل ان الكثير منه سيظل طى الخفاء ··

وعلى الرغم من أن الصـــليب هو ذلك الحــدث التاريخى الذى تدور فى فلكه سائر أحداث التاريخ ، فان عقولنا لتعجز عن ادراكه تمــام الادراك · ومع ذلك فان اليوم لا محالة آت ··· حين ترفع الحجب ، وتحل الألغــاز ، وتتكشف الأسرار ·· فنرى المسيح كما هو ، ونعبده الى أبد الآبدين من أجل صنيعه معنا ··· أما الآن فاننا كمن ينظر « فى مرآة ، فى لغز ، لكن حينئذ وجها لوجه ·· » (١ كو ١٣ : ١٢) ·

وهوذا بولس العظيم يعترف بأنه « الآن يعرف بعض المعرفة » ، على الرغم مما كان له من عقلية جبارة فاحصة ، وما تراءى له من اعلانات لا تدخل تحت حصر ! ·· فان كانت هــذه هى حال بولس ، فما عســـاها تــكون حالنــا ، وما عسانا أن نقول عن أنفسنا ؟ ! ·

وبعــد ، فهل تذكرون ما سبقت اشارتنا اليه عما جاء برسالة بطرس الرسول الأولى ؟ اننا الآن نبر بوعدنا فنحاول تفسير ما جاء بها مما يتعلق بموت المسيح ، مبررين اختيارنا لهــذه الرسالة بالذات ، بمبررات ثلاثة :

● الأول : أن بطرس الرسول كان أحــد الثلاثة (بطرس ويعقــوب ويوحنا) الذين كانوا من صفوة المسيح ، والذين استمتعوا أكثر من غيرهم بالشركة معه ، ممــا أتاح لبطرس أن يفهم ، أكثر من غيره ، فكر المسيح ، وما علم به مما كان متصلا بموته · ومن ثم كانت رسالته مليئة بايماءات كثيرة مقتبسة من تعاليم ربه وفاديه ·

● والمبرر الثـانى · أن بطرس لم يكن فى مقدوره ، ومنذ البداية ، ان يتقبل أو يستثيغ فكرة حتمية آلام المسيح ، وحتمية موته ، انه كان حقـا الأول من بين التلاميذ ، الذين اعترفوا بأن المسيح هو ابن الله · فما أن يسأل المسيح تلاميذه « من يقولون انى أنا ؟ » حتى يهب بطرس من فوره ليقول : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦ : ١٦) ··· ولكنه ، ومن أسف ، كان الأول بين التلاميذ الذى ينـكر فكرة أن المسـيح · « ينبغى أن يذهب الـى أورشليم ، ويتألم كثيرا ··· ويقتـل ، وفى اليوم الثـالث يقـوم » فيصرح . « حاشاك يا رب · لا يكون لك هذا » ! ! (مت ١٦ : ٢١ ، ٢٢) ·

وهـكذا يظل القديس بطرس مقاوما لهذه الفكرة طالمـا كان المسيح مع تلاميذه ومعه ، فنراه يدافع بالسيف فى البستان عنه ، ونراه وهو يتبعه « من بعيـد » حتى يقبض عليه ، ·· ولكننا نراه ، من أسف ، وهو ينكره ثـلاث مرات ··· حتى اذا ما ثاب الى رشـده ، كان ندمه هـكذا عميقا ·· وكانت دموعه هكذا سخينة بحيث وصف بكاؤه بأنه كان « بكاء مرا » ·

والسؤال : هل كانت هذه الدموع كلها ، دموع نادم ، وخزه ضميره ، وعذبه ندمه ؟ أو أنها كانت الى جانب هذا ، دموع من خاب فى سيده أمله ؟ ! فكانت الخيبة بالغة مدوية ، واليأس ساحقا محطما ؟ ! ·

مهما يكن من أمر ، فان بطرس ظل على موقفه ينكر حتمية « أن المسيح يتألم بهذا ويدخل فى مجده » (لو ٢٤ : ٢٦) ·· ولم تطلع عليه شمس الحقيقة الا بعد القيامة ، وبعد أن علم بها المسيح المقام ، تلميذى عمواس ! واذ تكشفت له الحقيقة بكمالها وتمامها ، وأشرق عليه الحق فى جلائه وجلاله ·· استمسك بالحقيقة وبالحق معا فى قوة أتاحت له ، أن يجابه اليهود عند باب الهيـكل قائلا : « ان اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذى اسلمتموه أنتم وأنكرتموه ··· انكرتم القدوس البـار ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل · ورئيس الحيـاة قتلتموه · الذى أقامه الله من الأموات · ونحن شهود لذلك » (١ ع ٣ : ١٢ ـ ١٥) ·

فان ساغ لأحد أن يتردد فى الاعتراف بحتمية الصليب ، أو يبطىء فـى فهم معنى الصليب فليتقدم الى بطرس ، وهو الكفيل باقناعه ·

● والمبرر الثـالث : ان استشهاد بطرس بالصليب انما جاء برسالته عفويا تلقائيا غير متعمد وذلك حين كان يدافع عن حتمية آلام يسوع ·· ولو أنه قصده عامدا ، لجاز لنـا أن نتشكك فيه ونستريب ، ولجاز لنا أيضا أن نعتبره

شخصا هوائيا لا يسوغ لنـا أن نعتد منه بقول أو صنيع ! ولـكن استشهاده بالصليب جاء مبرأ من الصنعة والافتعال • ذلك أن موقفه من سامعيه لم يكن موقف من يدلى بحقائق لاهوتية ، وانمـا كان موقف من يبصر بواجيات أدبية ، مستحثا سامعيه أن يـكونوا قديسـين ، محتملين الآلام فى صـبر ، آخذا بهم صوب الصليب ، باعتباره مثالا يحتذى ، ومصدرا يستمد منه الالهام •

ان الجانب المتصل بموت المسيح من رسالة بطرس الأولى يستغرق الشطر الأكبر من الاصحاح الثانى ، وفيه يشرح لنـا الرسول أن المسيح المصلوب مات (أولا) كمثال لنـا ، و (ثانيا) كحامل لخطايانا • وسنتصدى للأمرين معـا بشىء من التفصيل ، فيما يلى :

● أولا : مات المسيح كمثال لنـا •

ان خلفية هذه الرسالة ، كما لابد أن نلاحظ ، هى الاضطهاد : فقد كان الامـبراطور الرومانى نيرون من أكبر مضـطهدى الكنيسـة ، ومن أشـد من ناصـبوها العـداء ، وقد ارتاعت قلوب المسيحيين ، ووجفت لهذا العـداء والاضطهاد ، وأصابهم بسببهما هلع واضطراب •• ومع ذلك فقد كان هـذا مبتدأ الأوجاع ، لأن البلاء ما عتم أن فاض وانتشر ، كالغيث يبدأ فى « أوله قطر ثم ينهمر » ! •

وهنا نشأت هذه المشكلة : ماذا عساه يكون موقف الخدم المسيحيين الذين يستخدمهم أرباب « وسادة » وثنيون ؟ ! وكيف يكون تصرف هؤلاء العبيد اذا ما أساء هؤلاء السادة معاملتهم ؟ •

ومن ثم كان تبصير هؤلاء بمـا يكون عليه تصرفهم ، هدفا من أهـداف توجيه الرسول لرسالته ، الى هؤلاء « المغتربين من شتات بنتس ، وغلاطية ، وكبدوكية ، وآسيا ••• المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق » وها هو ذا يخاطبهم قائلا : « أيها الخـدام كونوا خاضـعين بكل هيبة للسـادة ، ليس للصالحين المترفقين فقط ، بل للعنفاء أيضا • لأن هـذا **فضـل** ان كان أحـد **من أجل ضمير نحو الله** يحتمل أحزانا ، **متألمـا بالظلم** • لأنه أى مجد هو ان كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون ؟ ! بل ان كنتم **تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضل عند الله** • لأنكم لهـذا دعيتم • فان المسيح أيضا **تألم لأجلنا ، تاركا لنـا مثالا ، لكى تتبعوا خطواته ••• الذى اذ شتم لم يكن يشتم عوضا ، واذ تألم لم يكن يهـدد** ، **بل كان يسـلم لمن يقضى بعـدل • الذى حمـل هو نفسـه**

خطايانا فى جسده على الخشبة ، لكى يموت عن الخطايا ، فنحيا للبر » ٠
(٢ : ١٨ ـ ٢٤) ٠

وهكذا كانت خلاصة تعاليم الرسول لهؤلاء : ألا ينتقموا ، بل يخضعوا متألمين من أجل البر ، مرحبين بالشتم واللوم ، والتعنيف ، واللطم « **ظلمـا** » ، من أجل اسم المسيح ٠

وما أن يصل القديس بطرس فى دعوته الى هذا الحد ، حتى يثب الصليب الى ذهنه ، أو بالحرى يثب ذهنه الى الصليب ! ٠

فالوصية بأن يحتمل الـبرىء الألم الذى يلم به ، أو اللطم الذى ينزل بخديه ، ٠٠ هى من صميم الدعوة المسيحية لأن « المسيح أيضا تألم لأجلنـا ، تاركا لنـا **مثـالا** ٠٠ » لأنه « اذ شـتم لم يشـتم عوضا ، واذ تألـم لم يـكن يهـدد » ٠

أما كلمة « مثال » التى استخدمها الرسول فى هذا السياق فمأخوذة من الأصل اليونانى ، والذى يعنى أصلا « المشق أو الكراسة » التى كان المعـلم يكتب فيها لتلميذه (بخط جميل) حروف الهجاء ليحتذيه المبتدىء الذى يتعـلم الكتابة ويراد له أن يتقن كتابة ألف ـ باء ٠٠٠

هكذا نحن ٠ ان أردنا أن نتقن أبجدية المسيحية ، وجب أن نسير عـلى درب الرب ، متتبعين خطواته ٠

انها لكلمة بارعة حقا هذه الكلمة « مثال » لأنها تعـنى ، اذ يسـتخدمها بطرس الرسول ، الكثير مما يريد أن يقوله لنـا ، ذاك الذى صرح فى وقت ما باستعداده بأن يتبع المسيح ، ولو الى السجن والموت ، حتى اذا ما جد الجد وتطلبت منه الأحداث أن يبر بالوعد ، نراه قد اكتفى « بأن يتبع المسيح عن بعـد » ! ! ٠

على انه ما أن يرى المسيح يجدد الدعوة له ، على شاطىء بحر الجليل ، فى أسلوبه الأخاذ وفى هذه العبارة المأثورة عنه « اتبعنى » ، حتى يلبى الدعوة من فوره ويتبعـه ٠٠ وهو نفس الشىء الذى يريد الرسـول لقـراء رسالته أن يحذوا حذوه فيه متتبعين ، فى اذعان وأمانة ، خطوات سيده ٠

وهو ذا الصليب ما زال يدعونا ٠ فهل يجد من أبناء القرن العشرين ، ما وجده من سلف القرن الأول ، من التلبية الصادقة الناجزة والتنفيذ الأمين ؟!

اما الصــليب فسيظل ، وكما فى القــديم ، صالحا لأى مواطن وفى اى مجال ، ومناسبا للعبيد والسادة على كل حال ·

حقا انه مما يناقض ميولنا وطبيعتنا ان نتخلى عن المقاومة ، وأن نصبر على الظلم ، وأن نغلب الشر بالخير · فما أن يقع لأحدنا شىء من هــذا حــتى يهب ، فى غير أناة ، للدفاع والمجازاة عن الصاع بصاعين ، وعن اللــكمة بلكمتين ؟ ! ·

ولكن الصليب سيظل يامرنا باحتمال الضر ، ومحبة العــدو ، والتسليم لمن يقضى بعدل ·

على أن موت المســيح لا يمكن أن يكون للاقتداء ، أو كمصدر للالهــام وحسب ، والا أدركتنا الحيرة اذا ما وقفنا أمام قول المسيح : « ان ابن الانسان لم يأت ليخــدم (بضم الياء) ، بل ليخــدم (بفتح اليــاء) ، وليبــذل نفســه **فدية عن كثيرين** » (مر ١٠ : ٤٥) ·

وقوله فى العلية « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين **لمغفرة** الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٨) · فلا تفسير لأحد القولين ، أولهما معا ، فى ضوء الاقتداء أو الالهــام ··· لأن موت المسيح الكفارى انما كان ثمنــا ، أو فدية ، يتيحان العتق للمسبيين ، والاطلاق للمأسورين ·· ولأن دم المسيح الذىء بدىء به عهد جديد بين الله والانسان ، انمــا هو الذى يؤهل للصــفح والغفران ·

وعلى هذا ، لا يمكن أن تكون النفس المبذولة للفــداء ، والدم المراق لمحو الآثام ، لمجرد الاقتداء · **فليس لمخلوق أن يتمثل بالمسيح فى العطاء ، الى حــد بذل الحياة وسفك الدماء ! ! وليس لمخلوق على المثل ، أن يكون له هذا السلطان الذى يسمح له بمنح الغفران !** · /

كذلك ، لابد لنــا أن نبحث عن تفسير آخر يوضح لنــا لمــاذا كانت نفس المسيح مترعة بالحزن مثقلة بالشجن ، كلما دنا من خشبة الصليب ؟ ولمــاذا كان اله فى البستان مبرحا امتزجت فيه الدموع بالزفرات وتساقط معه العرق قطرات ؟ ولمــاذا كان يسوع يصلى فى حرارة وفى ضراعة صارخا : « يا أبتاه ، ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » ؟ ثم يبادر فيقول : فان لم يمكن « أن تعــبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها ، فلتكن مشيئتك » (مت ٢٦ : ٣٩ ، ٤٢) ·

هل كانت هذه الكأس رمزا للموت على الصليب ؟ فان كان ذلك كذلك ، فهل كان يخشى الألم ، فالموت ، الى هذا الحد ؟ واذن فهل هذا مما يمكن أن يكون هدفا

للتمثل والاقتداء ؟ ! لعل العكس هو الصحيح ! واذن فما هو التفسير الصحيح؟ لنرجىء الاجابة عن هذا السؤال قليلا ، ولنأت الى هذه الظلمة التى رانت على الأرض ، وعلى مدى ثلاث ساعات (من السادسة الى التاسعة) ٠٠٠ ، والى صراخ المسيح « بصوت عظيم : الهى الهى لماذا تركتنى ؟ » ٠٠ والى حجاب الهيكل الذى انشق الى اثنين من فوق الى أسفل ؟ ٠٠ أو ليست هذه جميعا أحداثا لها مدلولها ، ولها تفسيرها ؟ فما عساها أن تكون ؟ ٠

ليكن الجواب ما يكون ، فانه لن يكون للقدوة والمثال بحال ! ٠

ان موت المسيح ، لو كان للمثال وحسب ، اذن لظلت حاجاتنا كبشر ، بعيدة عن الاشباع ! ٠

فحاجتنا الى المخلص لا تقل بحال عن حاجتنا الى المثال ! بل انها ، يقينا ، لتزيد ! فالمثال قد يحرك فينا الوجدان ، ويلهب العاطفة ، ويثير الخيال ٠٠٠ أما أن يطهر من دنس ، او يقيل من عثرة ، أو يعطى راحة للضمائر المكدودة الجريحة فهيهات ! ٠

واذ فطن الرسل الى هذا ، فانهم لم يتركونا نهبا لتردد أو شك ، فظلوا يربطون بين خطايانا وبين مجىء المسيح ، وآلامه ، وموته على الصليب ٠

فيصرح بولس الرسول ، فى الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ، بأنه سلم اليهم أولا ما قبله هو أيضا « ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » (١٥ : ٣) ٠

ويكتب القديس بطرس فى رسالته الأولى : « فان المسيح أيضا **تألم مرة من أجل خطايانا** ٠ البار من أجل الأثمة ، لكى يقربنا الى الله ، مماتا فى الجسد ، ولكن محيى فى الروح » (٣ : ١٨) ٠

ثم نقرأ للقديس يوحنا « وتعلمون أن ذاك **أظهر لكى يرفع خطايانا ، وليس فيه خطية** » (١ يو ٣ : ٥) ٠

فهؤلاء الثلاثة (بولس وبطرس ويوحنا) قد انعقد اجماعهم على الربط بين موت المسيح وخطايا البشر ٠٠ وهم ، كما نعلم ، من أبرز كتاب العهد الجديد ! ٠

● ثانيا ــ مات المسيح كحامل لخطايانا :

كتب بطرس الرسول فى رسالته الأولى (وكم طال اقتباسنا منها ؟) يقول واصفا المسيح . « **الذى حمل** هو نفسه خطايانا **فى جسده** على الخشبة ، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر » (٢ : ٢٤) ٠

ان عبـارة « **حمل خطايانا** » قد تبدو غريبـة الوقـع على آذاننا للوهـلة الأولى ٠ ولكن لكى نستطيع أن نفهمها جيدا ، فانه لا مندوحة لنـا عن الرجوع الى الوراء ، الى العهد القـديم ، فاذا ما رجعنا اليه ، فأى شىء سنجده فيـه يا ترى ؟ ٠

ان العبـارة التى نحن بصددها ، أو بصدد معناها على التحقيق ، تتكرر وتتواتر فى أكثر من مكان فى اللاويين والعدد ٠ فيوصف ذاك الذى يقع فـى احدى نواهى الرب بأنه « **يحمل ذنبه** » . « فاذا أخطأ أحد ، وعمل واحدة من جميع منـاهى الرب التى لا ينبغى عملها ، ولم يعلم ، **كان مذنبا ٠ وحمل ذنبه** » (لا ٥ : ١٧) وجاء فى سـفر العـدد ــ فى صدد واجبات الكهنة واللاويين ــ « ٠٠ فلا يقترب أيضا بنو اسرائيل الى خيمة الاجتماع ليحّملوا خطية الموت » (١٨ : ٢٢) ٠ وجاء الأمر هنا بمناسبة تمرد « قورح » وكل جماعته ٠

وتحمل الينـا ذبائح العهد القديم (التى نص عليها فى الشريعة) فكرة امكان أن يضطلع آخر بمسئولية خطايانا ، فيتحمل نتائجها ٠ فجاء فى اللاويين عن « ذبيحة الخطية » هذا التعنيف الذى وجه الى ابنى هـارون : « ما لكما لم **تأكلا** ذبيحة الخطية فى المكان المقدس لأنها قدس أقداس ، وقد أعطاكما اياها **لتحملا اثم الجماعة** تكفيرا عنهم أمام الرب » ؟ (١٠ . ١٧) ٠ . ٠

وعلى نفس النسق ، أمر هارون فى يوم الكفارة السنوى ، أن يضع يديه على رأس تيس الخطية ، ثم يعترف بخطايا الشعب ، وكأنه يجعل من التيس بديلا رمزيا عن نفسه وعن الشعب ، فتنتقل اليه خطايا الجميع ، ثم يطلقه فى البرية « **ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم** الى أرض مقفرة » (لا ١٦ . ٢٢) ٠

ــ ولمـا كانت « الأرض المقفرة » ترمز الى القصاص الذى يجب أن يوقع ــ عدلا ــ على الخاطىء ، فمن ثم كان « حمل الخطية » مرادفا فى معناه « لحمل القصاص على الخطية » ٠

على أن بولس الرسول ينبهنا فيقول : « لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » (عب ١٠ : ٤) ! ٠

وهكذا جاءت هذه الرموز والتشبيهات والاستعارات التى تشير قصدا الى الذبائح ٠٠ مما حفلت به نبوات أشعيا (وفى الاصحاح ٥٣ بخاصة) عن « العبد المحتقر والمرذول » الذى يجرع مرارة الألم وهو برىء ٠٠ أليست هـذه جميعها ترمز الى المسيح الذى قيل فيه انه كان « كشاة تساق الى الذبح » ؟ ٠

نعم ! وانه اذ يشـبه بالشـاة ، فليس فقط لأنه « لم يفتـح فاه » بل لأن الرب « **وضع عليه اثم جميعنا** » الى الحد الذى صارت معه نفسه « ذبيحة اثم » لأننا « كلنا كغنم ضللنا ٠٠ والرب وضع عليه اثم جميعنـا » ٠٠٠ « فأحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ٠٠ وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنـا » ٠

ان هذه الكلمات بمـا فيها من استعارة وتشـبيه ٠٠ والتى قيـل فى ختامها انه ضرب من أجل ذنب شعبى ٠٠٠ على أنه لم يعمل ظلما ، ولم يـكن فى فمه غش » ٠٠ هى عينها التى أشير اليها فى مثل هذه العبارة « وآثامهم هو يحملها » و « حمل خطية كثيرين » ! ٠

وأخيرا ، اذ جاء ملء الزمان جاء يسوع ، تسبقه نبوات الناموس والأنبياء ، وتعاصره كرازة يوحنا المعمدان ، الذى أرسل لكى يهيىء الطريق قدامه مشيرا اليـه : « هوذا حمل الله » (يو ١ : ٢٩ ، ٣٦) ٠

ولم يجد كتاب العهد الجديد صعوبة فى ادراك أن المسيح هو الذبيحة التى تمثلت فيها كل ذبائح اللاويين ، وفيه تحققت بكمالها وتمامهـا ٠

هذه الحقيقة ألفت جانبا من الرسـالة الى العبرانيين ٠ وفيهـا تألقت ٠ وبخاصة عندما عقد بولس الرسول المقارنة ــ أو قل المقابلة ــ بين ذبائح العهد القديم بكل عجوله وتيوسه ، وذبيحة العهد الجديد التى تمثلت فى المسيح الذى قدم ذاته عن الخطاة ٠ ويظل بولس الرسول يقابل بين تلك الذبائح التى كانت تقدم أكثر من مرة ، والمسيح الذى مات عنا نحن الخطاة « مرة واحدة » ليس لهـا من تكرار ٠ فالمسيح اذ « قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين ، فانه سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص ، للذين ينتظرونه » (عب ٩ : ٢٨) ٠

وهذه العبارة ؟ ألا تذكرنا بعبارة بطرس الرسول : انه ذاك « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة ، لكى نموت عن الخطايا ٠٠٠ » ؟ ٠

أجل ! لقد قدم ابن الله نفسه بديلا عن الناس • وعلى ظهره قبل أن يضع خطاياهم ، ولم يكفه أن « صار جسدا » وحل فى بطن العذراء (١) ، ولكنه كما جاء فى عبارة للقديس بولس ، تعد من أروع ما جاء من تعاليم تتصل بالفداء . « صار خطية • لأن (الله) جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ . ٢١) فهذه الكلمات تحمل معنى له جلاله وحطره ، يجب أن يفهم ويستوعب • ولكيما يتيسر لنا هذا ، يتعين علينا أن نرجع الى الآيات السابقة مباشرة حيث يقول • « اذن ان كان أحد فى المسيح ، فهو خليقة جديدة •• هوذا الكل قد صار جديدا • ولكن الكل من الله الذى **صالحنا لنفسه، بيسوع المسيح** ، وأعطانا خدمة المصالحة • أى أن **الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه** ، غير حاسب لهم خطاياهم ••• » •

فمن فرط محبة الله (والتى لا نعد مستأهلين لها ، لم يشأ لنا ان نؤخذ بخطايانا فندان •••

واذن فماذا صنع ؟ « جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية من أجلنا لنصير نحن بر الله فيه » •

---

(١) جاء فى قداس يوحنا بن الرعد عن كتاب « قداسات الكنيسة الاثيوبية » الذى قام جناب الاب المحقق القمص مرقس داود بترجمته الى الانجليزية والعربية متقابلتين فى مجلد واحد ••• جاء فى هذا القداس ، وفى عبارات تعتبر قمة من قمم الروحانية ، وذروة فى التحليق الى معان لم تسبق •• ما اقتبس للقارىء بعضه •• ولا بأس بما أجريت من تقديم أو تأخير لبعض العبارات لمجرد الربط بينها ••• وهوذا صاحب القداس يقول فى وصف الرب يسوع :

« ذاك الذى يكون الأجنة فى البطن صار جنينا ، والجالس على الشاروبيم سكن فى ابنة الجسد ! » •

ذاك الذى يرشد الثور ليعرف قانيه ، نام فى حظيرة • وكفقير عاش فى بيوت الفقراء ! جاع اختيارا كانسان ، ولكنه أعطى الكثيرين من الجياع أن يشبعوا من خبز قليل ••

ذاك الذى شفى الاعمى ببصاقه ، ارتضى أن يبصق عليه النجسون •• غافر الخطايا اتهموه كخاطىء ، وقاضى القضاة حاكموه • وقد رضى أن يموت بارادته ، وأن يدفن باختياره، ليقيم المدفونين ، ويطهر الدنسين ، ويحفظ الاحياء •

• وكان يجب أن يؤمن به الموتى الذين أقامهم ، والاحياء الذين حفظهم ، والنجسون الذين طهرهم ، والاثمة الذين برزهم ، والمشتتون الذين جمعهم ، والخطاة الذين أرجعهم •

ألا فلنبتهل الى الله حتى يتقوى الضعفاء ، ويتبرر الاثمة ، ويتطهر التائبون ، ويستريح المتعبون ، ويهدأ المضطربون ، ويهتدى الضالون ، ويفرح المحزونون ، ويبرأ المرضى ، ويرجع العصاة ، ويرد الخطاة الى المجد والكرامة •• » (المعرب)

فالمسيح لم تكن له خطية ، بل « ولم يعرف خطية » ، لكنه صار خطية على الصـليب بسبب خطايانا ٠ ونحن اذ نتطلع الى الصليب ، فانما لـكى نهيىء للغشاوة التى على عيوننا ان ترتفع ، ولأذهاننـا أن تضىء بالفهم لما عساها تعنيه هذه الكلمات : « ولـما كانت الساعة السادسة ، كانت ظلمة على الارض كلها الى السـاعة التاسعة » (مر ١٥ : ٣٣) ٠ فالظلام أناخ على الكون بكلكله ثلاث ساعات ، بتمامها ، وفى وقت مـا كان ممكنا أن يكون للظلمة فيه مكان !! ٠ واستمر ذلك حتى أسلم الروح ٠ ومع الظلام ران صمت ، وساد سكون ، لأنه ما كان لعين أن تشهد ، أو للسان أن ينطق ، وهذه الآلام المبرحة التى حلت بذاك الحمل الذى بلا دنس تتفاقم لأن خطايا كافة البشر على مر الدهور قد وضعت على ذاك الحمل ليحملها راضيا كما لو كانت خطاياه ٠٠ وانطلاقا من اعتزاله الروحى عن الآب ، يصرخ بهذه العبارة الصارخة « الهى الهى لماذا تركتنى ؟ » ٠ هذه العبارة التى جاءت فى انجيل مرقس (١٥ : ٣٤) والتى اقتبست من العدد الأول من المزمور « الثانى والعشرين » ٠

فلماذا كانت هذه العبارة بالذات ؟ ولـماذا لم يقتبس يسوع عبارة من تلك العبارات التى تنطق بالتـرنم أو التسـبيح وتنطلق بالتمجيد ، ممـا ورد بنفس المزمور كقـول المـرنم : « يا خائفى الرب سـبحوه ، مجـدوه يا معشر ذرية يعقوب ٠٠٠ لأن الرب الملك ، وهو المتسلط على الاثم » (٢٣ ، ٢٨) ٠

أتكون هذه العبارة « الهى الهى لـماذا تركتنى » تصويرا للضعف الانسانى أو آية على اليأس والقنوط ؟ أو أن هناك تأويلا آخر يمكن الأخذ به ؟ اما التفسـير الأمثل الذى جرى الأخذ به ، والاجماع عليه ، فيرجح ان يسـوع ، اذ حمـل خطايانا ، فقد حجب الله عنه عينيه لأن عينى الله « أطهر من أن تنظرا الشر » ٠ فالخطية قامت حينئذ حائلا بين الله وبين الابن الوحيد ، ومن هنا كانت تلك الصرخة المدوية ، والأنة الجريحة للابن الذى تركه أبوه : « الهى الهى لـماذا تركتنى ؟ » ! ! ٠

ولكن ألم يكن بسبب خطايانا أن نزل الى الجحيم ، وذاق الآلام التى كانت عدلا من نصيب النفوس التى ابتعدت عن الله ؟ فاحتمل دوننا عقوبة الانفصال عن الله ؟ ٠٠ ومات باذلا نفسه ليكون « فدية عن الجميع » (١ تى ٢ : ٦) ؟ ! ٠

أما يسوع ، فما أن يخرج من تلك الظلمة الخارجية حتى يهتف فى نصرة « قد اكمل » ثم ٠٠٠ « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » ثم ٠٠ « يسلم الروح » (يو ١٩ : ٣٠ ، لو ٢٣ : ٤٦) ألم يكمل العمل الذى جاء من أجله وينجز الخلاص

الذى ربحه للبشرية ، فصارت المصارحة مع الله شركة متاحة لمن يسلمون زمامهم للمخلص ويقبلونه فاديا ؟ ٠

ولعل فى الحجاب الذى « انشق الى اثنين من فوق الى أسفل » الشاهد الحى ، والرمز المأموس لمصالحة الله للناس ، فامتدت يده ممزقة الحجاب الذى لم تعد بعد من حاجة اليه ، وصار طريق البشر الى حضرة الله مفتوحا لأن المسيح ، اذ مات ، فتح أبواب السماء لكافة المؤمنين ؟ ! ! ٠

وبعد ، فما عسى أن يكون موقفنا ، نحن المخلصين ، باراء هذا الذى قام به المسيح لخلاصنا ؟ أيكون الأمر قد انتهى معنا عند هذا ؟ او أن هناك التزاما نلتزمه « فنرجع الى راعى نفوسنا وأسقفها » و « نموت عن الخطايا فنحيا للبر » ؟ اننا يجب ، قبل كل شىء ، وفوق كل شىء ، أن نتذكر « أن الكل من الله » وأن هذا « الكل » هو بعض رحمته التى لا تحد أو تدخل تحت حصر ٠ فالآب لم يفرض على المسيح عقوبة لم يكن هو نفسه مستعدا لها ! اذ انه « كان مصالحا العالم لنفسه » ٠٠٠ و اذ نحن نوجب على أنفسنا أن نتذكر هذا ، فلنتذكر معه كذلك وباستمرار ، بأن المسيح ، اذ « حمل خطايانا » ، فان المعنى الكتابى المرادف ، انه احتمل قصاص الخطية عنا ، وهو عين ما عناه بطرس ، من واقع الأدلة التاليـة :

● (أ) فقد قال بطرس الرسول عن المسيح انه . « حمل نفسه حطايانا فى جسده **على الخشبة** » ٠ وكأنه اذ يكتب « الخشبة » فانه كان يتعمد استخدامها قصدا ، بل وبا طالما استخدمها فى أكثر من عظة ! ٠٠ ولتستمع اليه فى سفر الأعمال (٥ : ٣٠) يقول ان : « اله آبائنا أقام يسوع ، الذى انتم قتلتموه معلقين اياه على خشبة » ٠ لقد كان فى تقدير بطرس أن يفهم أعضاء السنهدريم اليهودى ما يعنيه مقترنا بما جاء فى سفر التثنية من أنه « ملعون كل من علق على خشبة » (٢١ . ٢٣) وبالتالى يكون المسيح قد وقع تحت اللعنة الالهية حين أنهى حياته مسمرا على الصليب (أو ما يعادل عندهم التعليق على خشبة) ! ! ٠

ان الرسل كافة لم يناهضوا هذه الفكرة ٠ ولعل بولس الرسول كان مؤيدا لها التأييد كله ، حين كتب الى أهل غلاطية يقول. « جميع الذين هم من أعمال الناموس ، هم تحت لعنة ٠ لانه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ، ليعمل به » (٣ ٠ ١٠) ولكن هوذا « المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، اذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون « كل من علق على خشبة » (٣ : ١٣) ٠

وبعد ، فان المعنى من كل هذا ، وفى صراحة ووضوح بالغين ، هو أن اللعنة التى كانت من نصيب المخالفين العصاة ، قد لحقت بيسوع فوق الصليب. فتحررنا نحن منها ، حين حملها هو بالموت عنا ! .

● (ب) أن النص الذى أشرنا اليه من رسالة بطرس الأولى ـ الاصحاح الثانى ـ يحمل أكثر من خمسة شواهد وردت فيما يشبه أن يكون نصا حرفيا لنبوة أشعياء (الاصحاح ٥٣) . ولعله من المفيد أن نجرى المقابلة التالية بين هذه النصوص :

بطرس . « الذى لم يفعل خطية ، ولم يوجد فى فمه مكر » (٢ : ٢٢) .

أشعياء : « على انه لم يعمل ظلما ، ولم يكن فى فمه غش » (٥٣ : ٩) .

بطرس . « الذى اذ شتم لم يكن يشتم عوضا ، واذ تألم لم يكن يهدد » (٢ : ٢٣)

أشعياء : « محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن » (٥٣ : ٣)

بطرس . « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (٢ : ٢٤)

أشعياء : « أحصى مع اثمة ، وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » (٥٣ : ١٢)

بطرس : « الذى بجلدته شفيتم » (٢ : ٢٤)

أشعياء . « وبحبره شفينا » (٥٣ : ٥)

بطرس : « لأنكم كنتم كخراف ضالة ، لكنكم رجعتم الآن الى راعى نفوسكم وأسقفها » (٢ : ٢٥)

أشعياء : « كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد الى طريقه » (٥٣ . ٦)

وبعد ، فقد أرانا أشعياء (فى الاصحاح ٥٣) صورة لذلك المتألم البرىء الذى : « جرح لأجل معاصينا ، وسحق لأجل آثامنا » وأخيرا ما ت كفارة عنا. ويسوع نفسه قد أوضح لنا ارساليته وموته فى ضوء ما جاء بهذا الاصحاح. وكذلك فسرها ، من بعد ، تلاميذه . ولعلنا نذكر قصة ذلك الخصى الحبشى الذى سأل فيلبس عمن يكون ذاك الذى أشارت اليه نبوة أشعياء القائلة : « مثل شاة

سيق الى الذبح ... هكذا لم يفتح فاه » ؟ فما أن يسأل الخصى سؤاله ، حتى يفتح فيلبس فمه ، « ويبدأ من هذا الكتاب فيبشره بيسوع » .

● (جـ) وفى الرسالة أيضا اشارات أخرى الى الصليب تؤيد ماذهبنا اليه من تفسير لأقوال القديس بطرس . ففى الاصحاح الأول يصف بطرس أولئك الذين كتب اليهم رسالته كمفتدين « لا بأشياء تفنى ، بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس ... دم المسيح » هذا الذى « أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » (١٨ ـ ٢٠) .. بينما هو قد سبق فحدثهم فى العدد الثانى من نفس الاصحاح عن « الرش بدم يسوع المسيح » . فهذه الأقوال مجتمعة تشير ، من غير شك ، الى ذبيحة الفصح التى أمر بها بنو اسرائيل عند الخروج من مصر ، اذ تعين على كل أسرة ان تأخذ لها « ذكرا ابن سنة ... (خروفا أو ماعزا) ثم يذبحه كل جمهور اسرائيل فى العشية ، ويأخذون من الدم ، ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا .. وتأكلونه بعجلة . هو فصح للرب .. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم » (خروج ١٢) .. ألم ينجوا ، بهذا وحده ، من دينونة الله ، ويهربوا ، متحررين ، من عبودية المصريين ؟ .

... ثم يأتى القديس بطرس ، فيقابل (فى ثقة وجرأة) بين خروف الفصح والمسيح ... وعلى نفس الدرب سار القديس بولس ، عندما خاطب أهل كورنثوس قائلا « اذن ، نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجينا جديدا .. لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧).

فهذا الدم المسفوك ، دم المسيح ، كان لأجل خلاصنا من الدينونة ، ومن عبودية الخطية معا .

أو لا يخلق بنا أن نرش بهذا الدم قلوبنا ؟ .

على أن اشارات بطرس الى الصليب لا تنتهى عند هذا الذى تقدم . بل انها تتكرر وتتوالى . ففى الاصحاح الثالث الاشارة الى أن « المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا . البار من اجل الأثمة ، لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ، ولكن محيى فى الروح » .

ذلك أن الخطية اذ فصلت بين الله وبيننا ، فأقصتنا عنه ، فقد أراد لنا المسيح ان نعود مرة أخرى اليه . فحمل خطايانا ، « ثم أسلم ذاته عنا الى الموت الذى تملك علينا » ..

ولكن موته حدث مرة واحدة لا تتكرر • وبهذا الموت يكون قد قدم نفسه قربانا « يعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا ، وحياة أبدية لمن يتناول منه »(١) •

واذن فمن ذواتنا لا يمكن أن تتم لنا مغفرة ، مهما كانت جهودنا ، وكذلك لا تستطيع أعمال برنا أن تنال لنا عفو الله عنا • فان نحن خامرتنا فكرة أن برنا يكفل لنا غفران خطايانا ، فاننا نكون قد جعلنا ذبيحة المسيح كأن لم تكن • وكأنه لم يكن للمسيح أن يموت عنا ! ! •

وحاشا أن يكون الأمر كذلك • وهوذا بولس الرسول يصرح محتجا « ان كان بالناموس بر ، فالمسيح مات بلا سبب » ! (غل ٢ : ٢١) •

ان رسالة الصليب ستبقى فى أيامنا هذه ، كما كانت فى أيام بولس : عثرة للبعض ، وجهالة للبعض ، ولكنها وهبت السلام لضمائر وقلوب الملايين ! !

قال واعظ : « ليكن الصليب عند البعض جهالة ، أو حماقة ••• أو ما يشاءون ، ولكنه بالنسبة لنا فانه راحة لقلوبنا ، وهداية لنفوسنا • ان ما يعنينا من الصليب ، فوق كافة الاعتبارات الأخرى ، أن الانسان أخطأ ، ولكن الله احتمل ، والمسيح صار خطية لنا ، لنصير نحن بر الله فيه • فليردد كل مسيحى مؤمن : ان فى جراحات المسيح شفاء ، وفى أوجاعه مغفرة وعتقا وخلاصا ، وفى موته حياة •

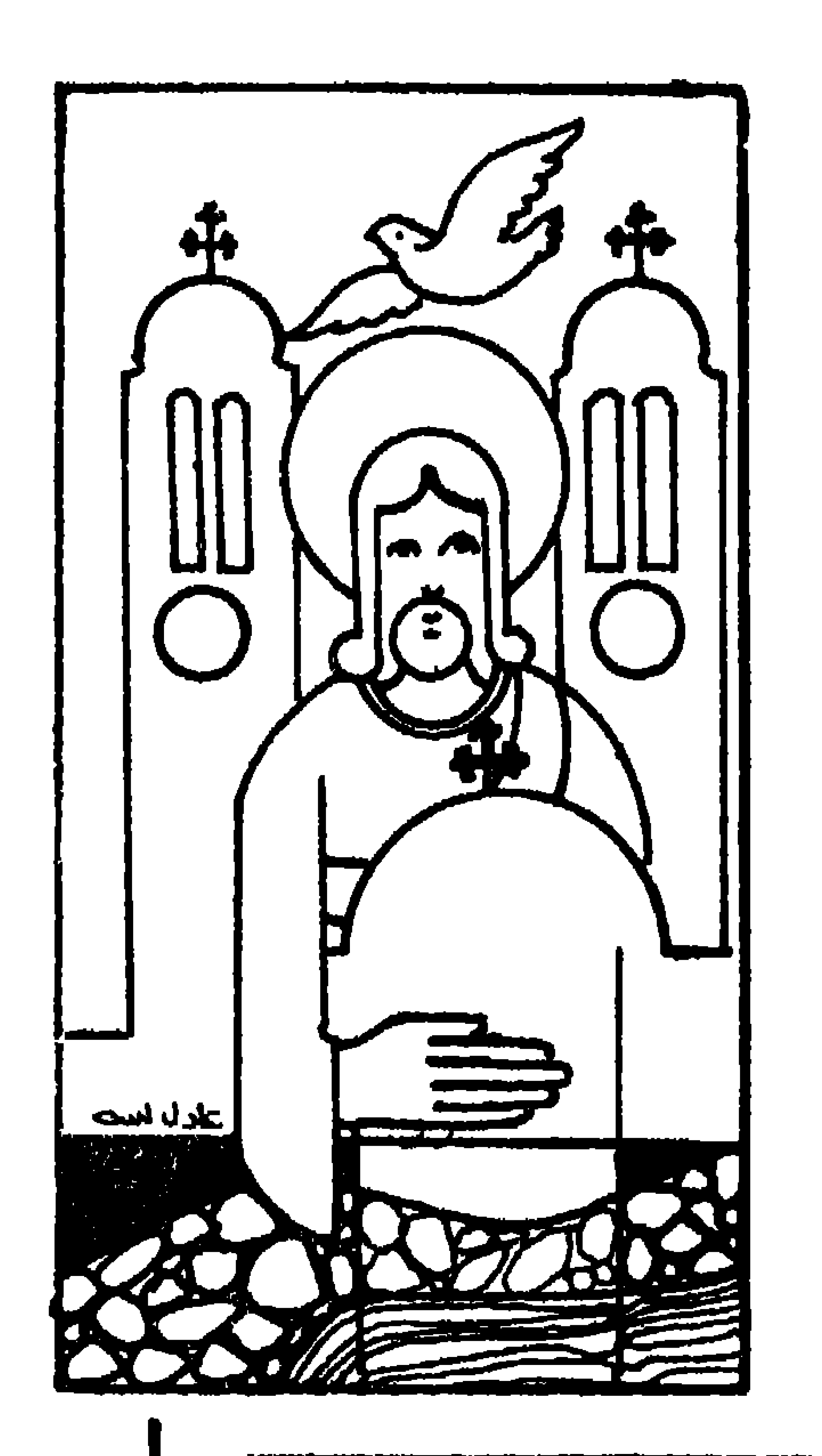
فيا من وهبتنا ابنك الوحيد كفارة لأجل خطايانا ، ومثالا لكى نتبع خطواته فى سائر مناحى حياتنا ، هبنا نعمة تؤهلنا لقبول بركاتك التى وهبتها لنا الى غير غاية أو حد ، وأن نقابلها بالشكر والحمد ، وامنحنا القدرة لأن نجد ونسعى فى اتباع الخطوات المباركة التى كانت للمسيح فى حياته الطاهرة بيننا • ونحن اذ نسألك هذا ، فانما باسم يسوع المسيح ربنا •

\+ + +

---

(١) هذه العبارة مقتبسة من قداس الكنيسة القبطيه ، وهى تتلاءم وعبارة المؤلف تماما • (المعرب)

الفصل الثامن



٨ روح المسيح وكنيسته

- روح المسيح.
- كنيسة المسيح.

الفصل الثامن

روح المسيح ـ وكنيسة المسيح

انه لخطأ بين أن نتصور أن الخلاص الذى وهب لنا فى الرب يسوع يعنى أن خطايانا السالفة قد سويت وانتهى امرها ! • ومصدر الخطأ هنا ، أننا نقصر عمل المسيح على الماضى ، فى حين أنه يعنى بالحاضر ، ويعنى بالمستقبل كما قد عنى بالماضى ••• حقا لقد ضمن لنا غفران خطايانا ، وما يستتبعه من مصالحة مع الله ، ولكنه ضمن لنا كذلك الغلبة على النتائج الوخيمة للخطية •
« فالخلاص » تعبير جامع ، ومدلوله عريض واسع • فهو اذ يعنى اننا صرنا فى مكان القبول من الله ، فانه يعنى أيضا أننا تحررنا من استبداد ذواتنا بنا ، واستعباد الاثرة لنا • ويعنى كذلك ان الانسجام والتكامل قد عادا الى علاقاتنا مع اخوتنا فى البشرية ، ومع من نعاشر من أهل واقارب ، ومن ترب وأصحاب •

أجل اننا مدينون لله بكل ما غمرنا به من حسنات وبركات ، ولكننا مدينون بالأكثر لموت المسيح عنا ، اذ أنه هو الذى أنالنا باكورة كل الحسنات والبركات ، وهى غفران خطايانا ، ومصالحتنا مع الله • ومدينون كذلك للروح القدس الذى بفضله يتاح لنا أن نتحرر من ذواتنا ، ومدينون اخيرا لكنيسة المسيح التى بفضلها نصير متحدين معا فى شركة المحبة •

وسيكون حديثنا فى هذا الفصل مقصورا على المظاهر المختلفة للخلاص الذى كان لنا فى المسيح يسوع •

+ + +

١ ــ روح المســـيح

لقد تعلمنا ممــا سبق ، أن ننظر الى خطايانا ، لا باعتبـارها مجمـوعة من الأحداث المتناثرة التى لا ارتباط بينها ، ولكن باعتبارها جميعا أعراض مرض أدبى مترسب هناك فى أعمــاقنا · ولعــله من أجــل هــذا كان يسوع يكثر من اســتخدام مثل الشــجرة والثمر ، ليعلمنا أن نوع الثمــار انمــا يتوقف على الشجرة الحاملة للثمار : أهى جيدة فتصــنع أثمارا جيدة أم هى رديئة فتصنع أثمارا ردية ؟ لأنه « لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع أثمارا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة » (مت ٧ : ١٧ ، ١٨) ·

وانطلاقا من هذا يصير مرجــع خطايانا جميعا الى الخطية الكامنة فى الطبيعة الموروثة التى لنــا ، والمتمركزة حول ذواتنا · وهــذه « الطبيعة » هى التى أشار اليها السيد المســيح تحت اســم « **قلب الانســان** » فى قوله « ممن الداخل ، **من قلوب الناس ، تخرج الأفكار الشريرة** : زنى ، فسق ، قتل ، سرقة، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل ··· جميع هذه الشرور تخرج من الداخل ، وتنجس الانسان » (مر ٧ . ٢١ ــ ٢٣) وكذلك فى قوله : « فان من فضــلة القلب يتــكلم الفم · الانسان الصالح من الــكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات ، والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور » (مت ١٢ : ٣٤ ، ٣٥) ·

فكأن انواع سلوكنا الخارجية ، ما هى الا أصداء وانعكاسات لطبيعتنا الداخلية · ومن ثم كان احداث أى تغيير فى هذا السلوك الى ما هو خــير ، وفاضــل ، ونبيــل ، متوقفــا بداهــة ، على تغيير هــذه الطبيعـــة ··
وقد عاد المسيح يؤكد لنــا هذه الحقيقة بقــوله : « اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدا أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديا · لأن من التمر تعرف الشجرة » (مت ١٢ : ٣٣) ·

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن علينا هو : هل فى الامكان تغيير هــذه الطبيعة البشرية فيتحول ذاك الذى يقطــر لسانه سما زعافا ، الى انسان حلقه حلاوة وحديثه فيه للسامعين شفاء ؟ أمن الممكن أن يتحول من به كبر وغطرسة، الى انسان كله وداعة واتضاع ؟ أمن المستطاع أن يتحول من لا يعنيه من الدنيا الا ما اتصــل بذاته ، الى انســان يؤثر الآخــرين على نفســه ، ويتوخى الصالح العــام ، فيقدمه على ما يتصل بذاته من مغانم ومنافع وأسلاب ؟ ·

أما « الـكتاب » فيؤكد لنـا أن هـذا الذى يكون ضربا من المحال ، من الممكن أن يحدث ·· بل ان حدوثه هو احد المظاهر التى يتجلى بها مجد الانجيل· فالمسيح مستعد أبدا ، ليس فقط لأن يغير من موقفنا نحو الله ، بل هو مستعد لأن يغير من طبيعتنا كذلك · فقد تحدث عن الولادة كضرورة لا ندحة عنها ، وحاجة لا بديل عن التماسها ·· ولعل حديثه الى نقوديموس هو نفس حديثه الى كل واحد منا · « ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملـكوت السـموات ··· لا تتعجب انى قـلت لك ينبـغى أن تولـدوا من فـوق » · (يو ٣ : ٣ ، ٧) ·

ويوجز لنـا بولس الرسول هذا فى عبارة قصيرة ، فيقول : « ان كان أحد فى المسيح ، فهو خليقة جديدة · هو ذا الكل قد صار جديدا » (٢ كو ٥ ١٧)·

وهـذه هى الامكانيات التى يتحدث عنها العهـد الجديد : قلب جديد ، طبيعة جديدة ، ولادة جديدة ، خليقة جديدة ·

اننـا لنحتاج الى أن نطهر أولا النبع ، فيصير المجرى كله ، بعد ذلك ، طاهرا ومقدسا وكريما ·

وبعـد ، فان هـذه التغييرات الداخلية الواسـعة هى من عمـل الروح القدس · والولادة الجـديدة هى الولادة التى « من فوق » · وأن يولد الانسان ثانية من فوق ، معناه أن يولد من الروح القدس ، « فالمولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) ·

واننا لنكتفى فى هذا المقام بالعرض لمـا علم به آباؤنا الرسل الأولون عن الروح القدس ، لأن تعليمهم كان وليد خبرتهم واختباراتهم التى مارسوها ، وعجموا عودها ، وتصارعوا معها ، فأفادوا منها ·

على اننا ابتداء ، نحب أن ننبه الى أمر هام ، يستوجب أن نعيـه الوعى كله · ومجمل هذا الأمر أن الروح القدس لم يكن خاملا حتى يبـدأ عمله ، وتظهر فاعليته ، فى يوم الخمسـين فقط · لا · فالروح القدس هو الله · فهـو اذن أزلى أبدى ، وكان منذ بدء الخلق يعمل فى الخليقة · ولذلك كثرت اشارات العهد القديم اليه · ولكن عيون الأنبياء كانت ترنو دائمـا الى العهـد المسيحى بوجه خاص ، لأنه العهد الذى يتسـع فيه عمل الروح القـدس ويمتد · ومن الأنبياء الكثيرين الذين تنبأوا عن عمل الروح القدس العتيد فى شعب الله ، ·· كان حزقيال وارميا · وهوذا حزقيـال يقول بلسان الرب · « وأعطيكم قلبـا

جديدا ، واجعل روحا جديدة فى داخلكم ، وانزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم ، واجعل روحى فى داخلكم ، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى، وتحفظون أحكامى ، وتعملون بها » (٣٦ : ٢٦ ، ٢٧) ٠

هكذا ارتبطت عطية القلب الجديد بسكنى روح الله فيه ٠ فكانت المحصلة حياة ملئوها الطاعة لله ، والسلوك فى شريعته ٠

وعلى نفس النمط ، وفى عين الاتجاه ، سارت نبوة أرميا العجيبة والتى قال السيد الرب فيها على لسان هذا النبى ٠ « ٠٠ بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل ٠٠٠ بعد تلك الأيام ، يقول الرب ، أجعل شريعتى فى داخلهم ، وأكتبها على قلوبهم ، وأكون لهم الها ، وهم يكونون لى شعبا » (٣١ : ٣٣) ٠

على الوجه المتقدم لن يكون شعب الله بحاجة بعد الى شريعة منقوشة على ألواح حجرية تشق عليهم طاعتها ، لأن شريعة الله ستكون منقوشة على قلوبهم ! ذلك أن الروح القدس هو الذى سيعلمهم اياها ، وهو الذى سيمنحهم قوة يستطيعون بها أن يشكلوا حياتهم وفق مشيئة الله ، حتى تتطابق سيرتهم والعلم الذى تعلموه ٠

وهذا الذى تنبأ به الأنبياء فى القديم قبل مجىء المسيح بما يقرب من سبعة قرون ، والذى طال وطال تطلعهم اليه ٠٠٠ هوذا المسيح قد جاء يعدهم به ، ويعدهم بتحقيقه لهم هكذا سريعا ٠ وها نحن أولاء نراه ، وقد اختلى فى العلية بالاثنى عشر ، يحدثهم – قبل موته بساعات – عن « المعزى » روح الحق المزمع أن يحل مكانه بعد أن يرتفع عنهم ٠٠٠ ففى هذا « خيرهم » ، لأن الروح القدس الذى يرسله الاب سيمكث دائما معهم وسيكون فى كل حين بينهم ٠

وقد جرى هذا الوعد هكذا ٠ « انه خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق، لا يأتيكم المعزى ٠ ولكن ان ذهبت أرسله اليكم » (يو ١٦ : ٧) ٠

ولعل سائلا يسأل : وما هو هذا « الخير » الذى كانوا بصدد انتظاره لينالوه ؟ والجواب ، أن يسوع مكث معهم ولكن الى حين ٠ أما الروح القدس فمتى جاء فانه سيمكث معهم ، ويكون فيهم ، وقط لن يكونوا يتامى (يو ١٤ . ١٦ و ١٧) ٠ ولننظر الى التلاميذ كيف تغيروا بعد حلول الروح القدس عليهم ؟ ألم يوبخ التلاميذ مرات كلما بدت منهم امارات الضعف والخور وعدم الايمان ؟ ألم يوصوا بالتواضع كلما شطت بهم تطلعاتهم ، مما حدا بالسيد ان يقيم بينهم ولدا ليتأسوا به فى البساطة والوداعة ، وليسمعهم هذا

الانذار : « أن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٢ ، ٣) ··· ومع كل هذا ، فقد ظل بطرس معتدا بذاته ، سادرا فى عناده ! وظل يوحنا (وكان يلقب بابن الرعد) ردحا من الزمان ، وله من لقبه هذا نصيب ، وأى نصيب ؟ ! ·

ولكن ··· ما أن نقرأ رسالة بطرس الرسول الأولى حتى نلاحظ (وليس بوسعنا الا أن نلاحظ) تلك العبارات التى عبقت بعبير الوداعة لأنها تدور حول فضيلة التواضع · وما أن نقرأ ليوحنا رسائله ، حتى نتنسم أريج تلك المحبة الفياضة التى تضوعت بها رسائله ! ·

فمن يكون صاحب الفضل فى هذا كله ؟ ·· انه الروح القدس ! ·

وهل نذكر ، كم من مرة أراد المسيح لتلاميذه أن يكونوا محبين متواضعين · فهل انصاعوا حقا لما أرادهم أن يكونوه ؟ ولكن الروح القدس ، ما ان تغلغل الى الصميم من كيانهم ، وامتلأت به قلوبهم ، حتى عمل فيهم ، ومن ثم كان ذلك التغيير الداخلى الجبار الذى عمهم ، وأحدث بهم انقلابا غدوا به تواقين الى الأسمى والأكمل ، ألم نقل ان تغييرهم كان موجها الى الداخل ؟ نعم ! وان مثل هذا التغيير هو الذى تنشده المسيحية ، وهو الذى تعتد به · ولعاننا ، حين نقرأ : لما كان يوم الخمسين « امتلأ الجميع من الروح القدس » (اع ٢ : ٤) ، يتراءى لنا أن نسأل · وهل يكون الامتلاء من الروح القدس وقفا على التلاميذ والقديسين دون غيرهم ؟ أما الجواب فهو (دون ما شك) بالنفى · فان العبارة « امتلئوا بالروح » وصية موجهة الى كل من ينتمى الى المسيح ، كما ان حلول الروح فى الداخل ، حق وميراث لكل مسيحى · بل ان الروح القدس ما لم يسكن فى داخلنا ، فاننا لن نكون بالحقيقة مسيحيين ·

من أجل هذا يوجه بولس الرسول الخطاب الى أهل رومية : « وأما أنتم فلستم فى الجسد · بل فى الروح · ان كان روح الله ساكنا فيكم » (٨ : ٩) وفى نفس المعنى يكتب أيضا : « ان كان أحد ليس له روح المسيح ، فذلك ليس له » ، بمعنى أنه ليس للمسيح ·

ان سكنى الروح فينا لا يعنى اننا صرنا بمنأى عن الخطية بحال ، بل ان الصراع الذى يتحتم علينا أن نخوضه أشد عنفا وأكثر ضراوة ! ولكن الله ، من فرط رحمته ، جعل فرصة الغلبة متاحة دائما لنا ، وطريق النصرة مفتوحا ، كل حين ، أمامنا ·

ويصف لنـا بولس الرسول صورة المعركة التى يتعين على المؤمنين أن يخوضوها فيقول لأهل غلاطية : « ان الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون مالا تريدون » (٥ : ١٧) ٠

واذن فنحن بازاء خصمين هما الجسد والروح ٠ ويعبر بولس الرسول بلفظ « الجسد » عن الطبيعة الفاسدة الموروثة التى لنـا ، ومن ثم كانت رغبات كل من الجسـد والروح متعارضـة ، وشهواتهما دائمـا متضادة ، وعلى ذلك كان الصراع بينهما محتدما ، مشبوبا أبدا ٠

وعند هذه النقطة نرجـو الا يتطرق الى فكر أحد أننا ندلى بآراء ونظريات لاهوتية فهى ممـا يمارسه كل مسيحى ، ويلتقى به فى حياته كل يوم ٠٠٠ فكم من مرة نحس بالشهوات الدنسة ، والرغباب الخاطئة ، وكأنها تتشـدنا لنهبط معها الى الادنأ والأردأ ٠٠٠ ثم اذا بنا نحس فى نفس الوقت بأن هناك قوة مضادة تجذبنا لنسمو معها ونرتفع الى الأقدس والأعلى ٠ ولو ان الحبـل ترك على الغـارب « لأعمال الجسد » ، اذن لانطلقت من عقـالها لتردينا فى تلك الرذائل التى ذكر الرسول طرفا منها فى الانجيل الخامس من رسالته الى أهل غلاطية حين قال « فاعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحـزب ، شقاق ، بدعـة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر ٠٠٠ ان الذين يفعلون مثل هذه ، لا يرثون ملكوت السموات » (١٩ ــ ٢١) ٠

فاذا ما سمحنا للروح القدس أن يحل بنا ، ويعمل فينا ، فاننا لن نصدر الا عن . « محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، ايمـان ، وداعة ، تعفف (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) ٠ ويسمى الرسول هذه « ثمر الروح » ٠٠٠ ذلك أن الخلق البشرى يشبه بسـتانا يفلحه الروح القدس ، ويغرس فيه أشجارا ، فياليتنا نسمح له بأن يغرس فيه أشجارا جيدة ليكون الثمر جيدا كذلك ! ٠

وهنا يجىء السؤال . ما سبيلنا الى قهر « الجسد » وكل أعماله البشعة ، حتى يتاح لثمر الروح أن ينمو ويصل الى تمام نضـجه ؟ ان الاجابة عن هـذا السؤال مرهونة بموقفنا نحن الداخلى من كل من الجسد والروح ٠ فالذين هم للمسيح « قد صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات » (غل ٥ ٠ ٢٤) ، عاملين بالوصية : « اسـلكوا بالروح فلا تكمـلوا شهوة الجسـد » (غل ٥ : ١٦) ٠ ولا شك ان موقف هؤلاء من الجسد مما يمكن وصفه بأنه موقف رفض وقمع الى الحد الذى يجوز لنـا معه وصفه بأنه : « صلب للجسد » ٠ أما موقفهم من الروح فهو موقف التسليم فى ثقة وايمان ، لتكون له على حياتهم السـيادة

والسلطان • وبقدر ما يدأب هؤلاء على المقاومة ، تصبح هذه المقاومة عادة فيهم تحصنهم ضد أعمال الجسد المقيتـة حتى تكون لهم ثمار الروح الحلوة ، وليكفل لهذه الثمار النمو والازدهار •

ويعلم القديس بولس نفس التعليم فى رسالته الثانية الى أهل كورنثوس فيقول . « ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ، كما فى مرآة ، نتغير الى تلك الصورة عينها ، من مجد الى مجد ، كما من الرب الروح » (٣ . ١٨) •

فبفضل روح المسيح نسـتطيع أن نتغير الى صورة المسيح ، بشرط أن نظل متجهين اليه بأبصارنا ، طالبين وجهه • اذ بهذا فقط ، نستطيع أن ننشـط للقيـام بدورنا من حيث التوبة ، والايمان ، والانضباط • أما القداسـة فهى أساسا من عمل الروح القدس •

أراد احد الأساقفة الانجليز أن يوضح هذه الحقيقة فجاء ايضاحه لهـا على الوجه التـالى :

« انه لا يجـدى مطلقـا أن تريني مسرحية لشـكسبير مثل « هاملت » أو « الملك لير » ، ثم تطلب الى أن اكتب مثلهـا ! ان شكسبير هو وحـده الذى يستطيع أن يضطلع بمهمة التأليف والكتابة • وأما أنا فلست عليهما بمسيطر • وعلى هذا القياس لن يكون مما يجدى أن تريني حياة كحياة المسيح ، ثـم تطلب الى أن تكون على مثل هذه الحياة ، فالمسيح وحده هو صاحبها ، وهو وحـده الذى يستطيع أن يحياها ، وأما أنا فأعجز كل العجز عن هذا ! ومع ذلك فلو انه تأتى لى أن تستقر فى عبقرية شكسبير ، اذن لاستطعت أن أقوم بمـا قام به من روائع وشوامخ •• ولو أن روح المسيح جاء فحل فى ، واسـتقر على ، اذن لاستطعت أن أحيا هذه الحياة التى كانت للمسيح ! ! » •

وهذا ، فى الواقع ، هو سر القداسة المسيحية ••• تلك القداسة التى لا تكون لنـا بمجرد الجهد والمحاولة من جانبنا ، ولكنها تـكون لنـا بحلول روح المسيح القدوس فينا •

اذن ، فليس المعول عليه أن نتخذ المسيح مثالا فحسب ••• وانما المهم هو شعورنا بحاجتنا اليه باعتباره مخلصنا ، وايمـاننا بأن هـذا الخـلاص ما كان ليتم لنـا الا بموته الكفـارى عنا • ومن جهة أخرى ، فانه متى سكن الروح القدس فى داخلنا ، استطعنا بفضل فاعليته فينا ، أن نحس بأن الخطية لم يعد لهـا علينا ذلك السلطان القديم الذى كان لهـا •• ألم تخف وطأتها ، وتفتر حدتها ، ويخبو سعيرها ، ويخمد أوارها ، وتقلم اظفارها ؟ ! •• أجـل وان الضراوة التى كانت لهـا من قبل ستتوارى ان لم تتبدد بجملتها وتزول !

٢ ـ كنيســة المسـيح

من سمات الخطية ، انهـا تعمل دائمـا ، في استماتة ، على الاطاحة بالانسجام بين الانسان والانسان ، وتفتن في الوسائل التى تطارد بها هـذا الانسجام من حياة النـاس كيما تبعدهم عن خالقهم ، وتباعد أسباب التفـاهم بينهم ! ٠

وان اختبارتنا اليومية لتعلمنا الكثير مما يمكن أن ينشأ بين أعضـاء المؤسسة الواحدة سـواء أكانت معهـدا ، أم مصـنعا ، أم مكتبا ، أم معملا ، أم مشغلا ٠٠٠ من تنافس أرعن يحمل الناس على الحذر الأحمق ، من بعضهم البعـض ، والتربص الاخـرق بعضهم بالبعض ٠٠٠ فلا يستـطيع الزميل ان يأمن لزميله ، والقرين ان يطمئن لقرينه ، ويغدو ، فى آخر الامر ، من المستحيل « أن يسكن الاخوة معا » ٠٠٠ فى حين أن قصد الله ، كان وما يزال ، أن يخلص الكل من نتائج الخطية الوخيمة ، لا باعتبارهم أفرادا مشتتين دون ما رابطة تربطهم معا ، أى واسطة توثق بينهم ٠٠ وانما باعتبارهم « امة مختارة ، وشعب اقتناء » ، له بالله شرف انتماء ٠

واننا لنرى ذلك واضحا منذ الاصحاحات الأولى من سفر التكوين ، حيث نسـمع الله يدعو ابراهيم قائلا : « اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك ، الى الأرض التى أريك ، **فاجعلك أمة عظيمة وأباركك** ٠٠ وتتبـارك فيك جميع قبائل الارض » (١٢ : ١ ــ ٣) ٠

ثم تظل الوعود تترى ، والعهود تتوالى ٠٠ مما نرى منه عينات كثيرة جاءت فى الاصحاحات : ١٣ . (١٥ ، ١٦) ، ١٥ ٠ (٥) ، ١٧ : (٢ ــ ٦) ، ١٨ ٠ (١٨) ، ٢٢ . (١٥ ــ ١٨) ٠٠ ونوردها هنا على الرتيب :

« لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ، ولنسلك الى الأبد » ٠

« انظر الى السماء ، وعد النجوم ، اذا استطعت أن تعدها ، ٠٠٠ هكذا يكون نسلك » ٠

« سر أمامى ، وكن كامـلا ٠ فاجعل عهـدى بينى وبينك ، **وأكثرك كثـيرا جدا ٠ وأثمرك كثيرا جدا ٠ وأجعلك أمما** » ٠

« وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ، ويتبارك به جميع أمم الأرض » .

« ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء وقال : بذاتى أقسمت يقول الرب ... أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا ، كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت قولى » .

ثم جدد الرب وعده لابنه اسحق ، ثم لحفيده يعقوب ، بأن فى نسل ابراهيم تتبارك جميع أمم الأرض .

أما يعقوب فقد مات فى مصر . ثم خلفه أبناؤه الاثنا عشر ، فصاروا آباء لاسباط « اسرائيل » وهو الاسم الذى اختاره الله ليعقوب .

ولهؤلاء أيضا جدد الله عهده بعد أن « افتقدهم ، وأصعدهم من بيت العبودية » .

والسؤال الهام الآن هو : كيف كان ممكنا لوعد الله «بأن تتبارك فى نسل ابراهيم جميع أمم الأرض » أن يتحقق ؟ لقد مرت القرون بعد القرون ، وكرت الأعوام والسنون ، واذا بها تتكشف عن شعب كان حريا أن يصير لعنة (أكثر منه بركة) لأمم الأرض ! . نعم ان هذا الشعب (وهو فرضا شعب الله) بنى لنفسه أسوارا حتى لا يختلط بشعوب الأرض الأخرى فيتنجس بنجاستهم ! ثم بدا هذا الشعب وكأنه قد ضاع من قدمه الطريق ، وأخطأه التوفيق ، ولم يعد ممكنا أن يصير الى المصير الذى أريد له « كبركة لجميع أمم الأرض » ! .

أيكون وعد الله قد انتهى الى أكذوبة ؟ ! حاشا أن يكون الأمر كذلك ! فأنبياء كثيرون كانوا يعلمون ـ اذ صارت اليهم كلمة الرب ـ أنه اذا جاء « المسيا » أى الابن الممسوح من الآب ، فانهم « سيأتون من المشارق والمغارب ، ومن الشمال والجنوب ، ويتكئون فى ملكوت الله » (لو ١٣ : ٢٩) .

ثم ... جاء المسيح فى ملء الزمان كارزا بالملكوت الذى طال به الانتظار ، والذى قيل عنه فى انجيل متى . « ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ، ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات » (٨ : ١١) .

واذن فشعب الله لن يكون ذلك الشعب المنعزل ، وانما سيكون « من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب » (رؤ ١٤ : ٦) . من أجل هذا عينه قال المسيح لتلاميذه وهو يرسلهم للكرازة : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨ : ١٩).

أما السيد المسيح فقد لقب هذه الجمهرة من « المتلمذين » الذين هم نتاج كرازة حوارييه « **بكنيستي** » (مت ١٦ : ١٨) ٠

وهكذا نرى ان العهد الذى قطعه الله لابراهيم وكرره له مرات عديدة ، ثم جدده لأبنائه أيضا ، ٠٠ **هذا العهد قد تم اليوم بامتداد الكنيسة الى كل المسكونة اذ أصبح ، كل من صار للمسيح ، نسلا لابراهيم** ٠ ولهذا عينه يقول الرسول لأهل غلاطية : « **فان كنتم للمسيح ، فانتم اذن نسل ابراهيم ، وحسب الموعد ورثة** » (٣ : ٢٩) ٠

ولعل من أروع التشبيهات التى قدمها بولس الرسول للتعبير عن وحده المؤمنين فى المسيح هو ذلك التشبيه بجسم الانسان ٠ « فالكنيسة هى جسد المسيح » ٠ وكل مسيحى انما هو عضو فى هذا الجسد ٠ ورأس هذا الجسد هو المسيح نفسه ٠ وكرأس للجسد له أن يحكم سائر الاعضاء ٠ ومع ذلك فلكل عضو قيمته لأن لكل عضو وظيفته ومن ثم فانه لازم للجسد ٠ ولا غنى له عنه٠ ذلك أن الجسد ككل ، له حياة واحدة مشتركة ، وهى ملك متساع بين كافة الاعضاء ٠

نعم ! انه الروح القدس ، الذى بحضوره يصير الجسد واحدا ٠٠٠ وانه الروح القدس الذى تدين له الكنيسة بتماسكها ووحدتها ٠ من اجل هذا يطلب القديس بولس الى أهل أفسس أن يسلكوا « كما يحق للدعوة التى دعيتم بها ، بكل تواضع وداعة وبطول أناة ، محتملين بعضكم بعضا فى المحبة ، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام ٠ **جسد واحد، وروح واحد** ، كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد ٠ **رب واحد ٠ ايمان واحد ٠ ومعمودية واحدة ٠ اله وأب واحد للكل** » (٤ : ١ ـ ٦) ٠

لهذا لا يصح أن نتصور أن اختلاف التنظيمات الخارجية للكنيسة وتعددها يمكن أن ينال من وحدتها الروحية الداخلية ٠ لأن هذه لا يمكن أن يكون لها انفصام ٠ وهذا هو المقصود « بوحدانية الروح » او « شركة الروح » مما عبر عنه الرسول « بوحدانية الروح برباط السلام » ٠ ومن ثم فقد أوصى أهل فيلبى قائلا . « فان كان وعظ ما فى المسيح ٠ ان كانت تسلية ما للمحبة ٠ ان كان شركة ما فى الروح » (٢ : ١) ٠ وقد اختتم الرسول رسالته الثانية الى أهل كورنثوس قائلا . « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس ، مع جميعكم ٠ آمين » (١٣ : ١٤) ٠

واذن فلنا فى الروح القدس نصيب مشترك ، وهو الذى يؤهلنا لهذه الوحدة العميقة الدائمة ٠

ان هذه الوحدة الروحية ، التى هى من صنع « الروح الواحد » ، كنى عنها « بالكنيسة غير المرئية » لان عضويتها لا تراها العيون ، باعتبارها المجتمع الذى يضم جماعة المؤمنين من كل جنس ولون : واليه ينتمى كل مسيحى حقيقى · لاننا ان قلنا ان المسيحى من ينتمى للمسيح ، فهو بالضرورة ، من ينتمى لكنيسة المسيح · ولذلك استلزمت هذه العضوية غير المنظورة أن تكمل بعضويتنا فى المجتمع المرئى الملموس · فيكتمل لنا المخبر والمظهر معا ، اذ تقترن الكنيسة الجامعة غير المرئية ، بالكنيسة المحلية المرئية · لأن الاخيرة انما هى مظهر للأولى : فيها تتمتل ، وبها تتكامل ، واليها ينبغى أن ينتمى كل مسيحى ، فيشترك فى العبادة مع العابدين ، ويمارس الخدمة مع الخادمين ·

على أننا يجب أن نتذكر أن أعضاء الكنيسة المرئية الدنيوية ليسوا بالضرورة ضمن أولئك الذين تضمهم الكنيسة غير المرئية التى فى السماء ! ! ذلك لأنهم بشر بين بشر ، ومنهم البار والاثيم ، والمعوج والمستقيم ، والطيب والخبيث ··· وليس لعضو أن يستنكف من هذه العضوية بحال ، لأنه هو نفسه لا يخلو من اثم او خطية · وليس له أن يتوقع لكل من حفلت بهم قوائم العضوية فكتبت بها أسماؤهم ··· أن تكون « أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر حياة الخروف » (رؤ ١٣ : ٨) ، ولكن حذار أن يتصدى انسان للحكم على انسان ! لأن الرب وحده هو الذى « يعلم الذين هم له » (٢ تم ٢ : ١٩) ·

والروح القدس ، كما أنه مصدر الحياة العامة للكنيسة ، فهو أيضا الخالق لمحبتها المشتركة ، لأن أول ثمار الروح المحبة · بل انه هو المحبة ذاتها ، وفى سلطانه أن يشيعها بين من يختارهم لحلوله فيهم ·

وهذا هو السر فى أن المسيحيين ينجذب بعضهم الى بعض ، حتى قبل أن يتعارفوا أو يضمهم محفل بعينه ، أو عقيدة بعينها ! فالرابطة التى تنشأ بين أولاد الله هى أصلب عودا ، وأعمق جذورا من تلك الروابط التى تكون بين ذوى القربى والنسب الواحد · لأنها قرابة مؤسسها هو الله ، وبفضلها يصير « الجميع أخوة » · وهكذا نعلم « اننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لأننا نحب الأخوة » (١ يو ٣ : ١٤) ·

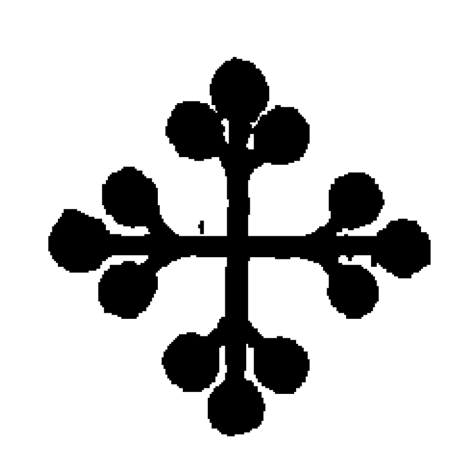
هذه المحبة ليست عاطفة عابرة ، وليست هوى منبعثا عن ميول ومشاعر طارئة ، وانما هى فى جوهرها انكار للنفس ، وتضحية بالذات · ومن مظاهرها الخارجية رغبتنا فى أن نكون عاملين ، وهى دأب ، لاسعاد الآخرين ·

والمحبة هى التى تتيح لنـا الصمود أمام الخطية المناهضة دائما للتجمع والتآلف ، العاملة أبدا على التصدع والفرقة • ذلك أن من شأن المحبة أن تجمع وتوحد • وهى قط « لا تحسد » (١ كو ١٣ : ٤) •

ولكن كم من الصفحات ، فى تاريخ الكنيسة ، قد لطختها الدماء ••• ولمـاذا ؟ اليكم الجواب • ان الكنيسة الأرضية لم تكن دائما على المستوى الذى كان ينبغى أن ترتفع اليه ، وترنو نحوه ! ولمـاذا أيضا ؟ •• لأن بعض المنتمين اليها ، وان ظلوا يدعون أنهم مفديون ، الا أنه لم يكن لهم ذلك الكمال المسيحى الذى للمفدين ، ولم تظهر فى حياتهـم حياة المسـيح ، ولم يحاولوا أن يكونوا رائحة المسيح ! •

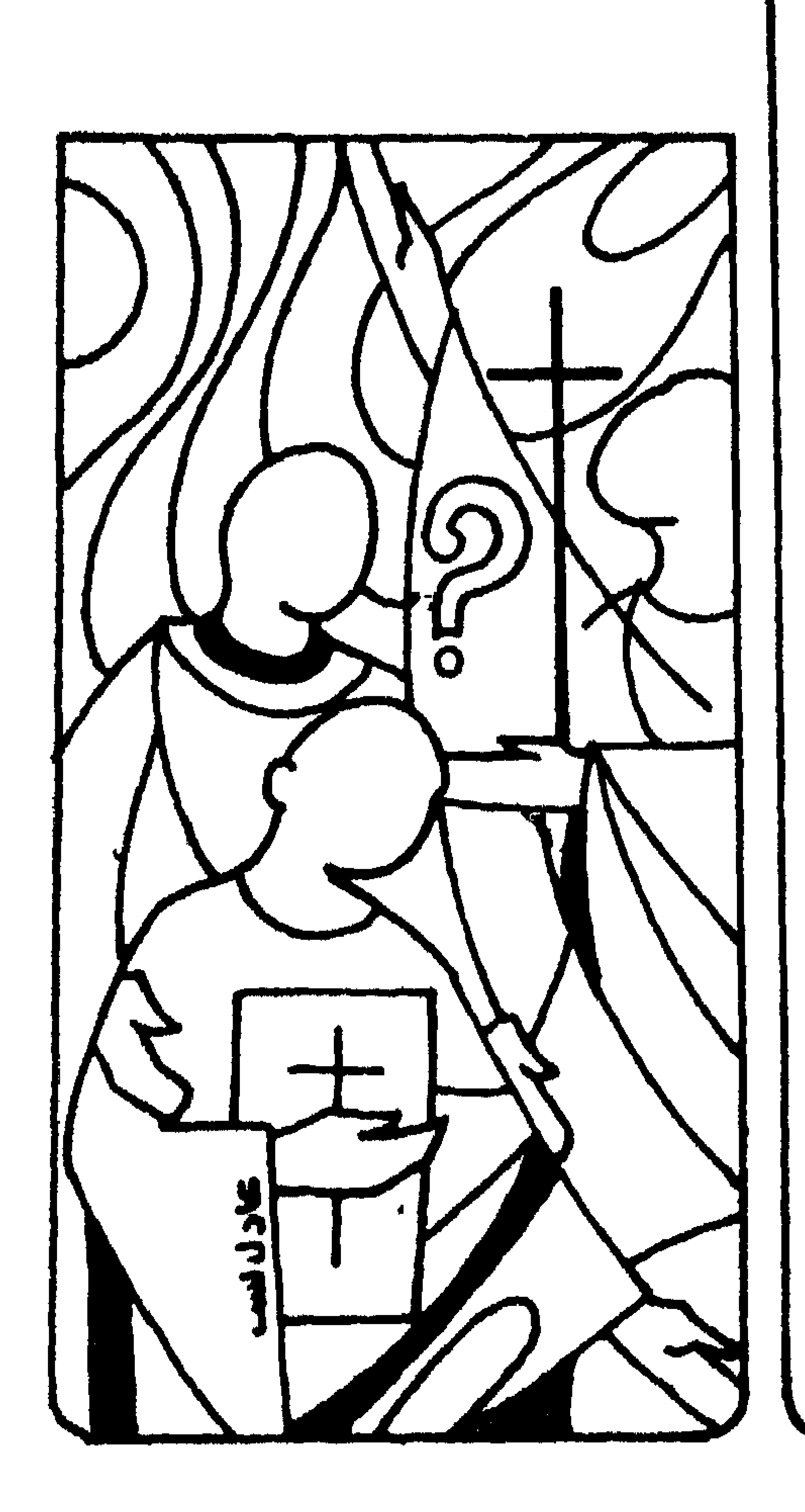
وكم من كنيسة ران عليها الخمول ، وانبعثت منها رائحة الموت ، لأن ريح التحزب أوشكت أن تعصف بها ، والبغضة كادت أن تمزقها ، وليس أمامها الا أن تغط فى النوم العميق فى الوقت الذى كان يجب أن تتفجر فيـه بالحيـاة اليقظة الكارزة والعـاملة على خلاص النفوس •

ومع ذلك ، ولعله من أجل ذلك ، تعين على كل مسيحى أن يلح فى الاحتفاظ بمكان له فى كل تجمع مسيحى ، مهما كان احساسه بالقصور ، فتضمه مـع « الاخوة » شركة متبادلة فى عبادة الله ، وفى الشهادة للمسيح لكى يبشر « بين الامم بغنى المسيح الذى لا يستقصى » (اف ٣ : ٨)



الباب الرابع

كيف تكون التلبية للمسيح



٩ حساب النفقة.

١٠ أى قرار تتخذه؟.

١١ ماذا وراء كونك مسيحياً؟.



الفصل التاسع

٩ حساب النفقة

- دعوة المسيح بأن نتبعه.
- الدعوة للاعتراف بالمسيح.
- الحوافز.

الفصـــل التاســـع

حســـاب النفقـــة

أشرنا فى الفصول السابقة الى بعض الأدلة على لاهوت المسيح ، والى حاجة الانسان الشديدة لمخلص بعد أن أقصته الخطية عن الله ، وحصـرته فى نفسه ، ثم أطاحت ، أخيرا ، بمـا يمكن أن ينشأ بينه وبين رفقته من وئام ٠

ثم عرضنا بعد ذلك ، لمظاهر الخلاص الذى وهب لنـا فى الرب يسوع ٠

ولم يبق الا ان نسـأل ذلك السؤال الذى سبقنا اليه بولس الرسول (شاول الطرسوسى حينئذ) حـين كان فى طريقه الى دمشق : « **ماذا افعـل يا رب ؟** » (اع ٢٢ : ١٠) أو نسأل كما سأل « حافظ السجن » الرسولين بولس وسـيلا سجينيه : « **ماذا ينبغى أن أفعل لكى اخلص ؟** » (اع ١٦ ، ٣٠) .

ففى السؤالين ، كما لابد أن نكون قد لاحظنا ، استفسار عن فعل أو عمل ٠ وهكذا ينبغى أن يكون موقفنا . « أن نفعل شيئا » ٠ ذلك أن المسيحية ليسـت مجرد الاذعان والتسـليم السلبيين لطائفة من القضايا مهمـا كان مبلغهـا من الصحة ! فقد نؤمن بلاهوت المسيح ، وقد نؤمن بالخلاص العجيب الذى هيـأه لنـا ، وقد نقر ، مخلصين ، بأننا محتاجون لخلاص المسيح ، ٠٠٠ ولكن شيئا من هذا كله لن يصيرنا مسيحيين ! فالعبرة بقرارنا من حيث الرفض أو التلبية للمسيح ، ومن حيث الضن بنفوسنا عن المسيح أو تسليمها له فى غير تحفظ لأنه بالنسبة لنـا هو السيد ، والرب ، والمخلص ٠

أما ما هى الخطوة التى يجب أن نخطوها نحو التلبية للمسيح ، وكيف تتم ، وما عساها أن تكون طبيعتها ٠٠٠ فمكان هذا كله فى الفصل التـالى ، وحسبنا هنـا أن نعرض لمحتـوى هـذه الخـطوة ، أى ما الذى تنطوى عليـه أو تتضمنه ؟ ٠

٠٠ على أنه يلزمنا ، بادىء ذى بدء ، أن نحاول توضيح هذه الحقيقة التى يريد لهـا المسيح أن تكون موضع اعتبار منا وتقدير ٠ هذه الحقيقة تنحصر فى أن اتباع المسيح فيه مطلب ، وكذلك فيه عطاء ! وان يكن هذا العطاء مجانيا.

الاآن المطلب له نفقته ! وان كان المسـيح قد وهب للبشر خلاصه مجانا ، الا أنه يطالب « كمقابل » أن يكون الخضوع له هو وحده كاملا ، والتسـليم له هـــو وحده دون أن يكون شركة بينه وبين انسان ! ٠

والمسيح فى سبيل هذا ، لم يشجع من كان طامعا فى التلمذة له ، ولم يغر بأية وسيلة من وسائل الاغراء اولئك الذين طلبوا ان يكونوا فى عـــداد تلاميذه دون ان يحسبوا للنفقة حسابا ، ولم يضغط باى نوع من أنواع الضغط ، على من يسألونه النصح أو المشورة ٠٠ بل لقد صـــرف أولئك المتحمســين (فى غير مبالاة بالمسئولية) فارغين ٠

وهوذا لوقا البشير يحدثنا عن رجال ثلاثة قدموا ليتبعوا يسوع ، ولكن واحدا منهم لم يصمد للاختبار ! ٠ « قال له واحد : يا سيد أتبعك أينما تمضى ٠ فقال له يسوع : للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » ٠٠٠ وكأن أمل هذا الانسان فى أن يتبع المسيح قد خاب ، فمضى لا يلوى على شيء ٠ وقال لآخر : « اتبعنى ٠ فقال : يا سيد ائذن لى أن امضى أولا وأدفن أبى ٠ فقال له يســوع : دع الموتى يدفنون موتاهم ، وأما انت فاذهب وناد بملكوت الله »٠٠ وكأننا بهذا أيضا قد آثر واجبه الدنيوى على واجبه نحو اتباع يسوع ، فولى ! « وقال آخر أيضا أتبعك يا سيد ، ولكن ائذن لى أن أودع الذين فى بيتى ، فقال له يســوع ليس أحـد يضـع يده على المحراث ، وينظر الى الوراء ، يصلح لملكوت الله » (لو ٩ : ٥٧ ــ ٦٢) ٠٠٠ وكأننا بهذا الأخير قد فاضــل ووازن وقارن ، واذ نظر الى الوراء رسب فى الامتحـــان ! ٠

اما الشـــاب الغـــنى الواردة قصـــته فى انجـــيلى مـــتى ومرقس (مت ١٩ : ١٦ ــ ٢٢ ، مر ١ : ١٧ ــ ٢٢) فقـد كان صـورة أخرى للشـــاب الثرى ، المترف ، الرقيق ، الغيور ٠ ولكنه اذ جاء الى المسيح يطلب الحيـــاة الأبدية ، فان طلبه لهـا كان بشروطه هو ! ولم يكن ، مستعدا لقبـول شروط المسيح « ببيع كل ما له ، واعطائه للفقراء والعودة من فوره ليتبع المسيح حاملا الصليب » ٠٠ من أجل هذا مضى حزينا ! ! ولعل الشاب (تعويضا عن خيبـة أمله) قد تصور أنه قد احتفظ بأمواله الكثيرة لنفسه وانتهى الأمر ، ولـــكن هيهات ! فلن تبقى أموال ــ مهمـا كثرت ــ لانســان ٠ وهبها بقيت (جــدلا) للمتشبث بهـا من دون الله ، فلن تبقى له الحياة الأبدية ، ولن يكون المسيح من نصيبه ٠٠ فكأنه ، وقد فقد أبديته ومسيحه ، قد صار كمن قيل فيه : « لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ! ثم ٠٠٠ « ماذا ينتفـع الانسان لو ربح العـالم كله وفقد نفسه ؟ ! » (مت ١٦ : ٢٦) ٠

وقد حدث ذات يوم أن تبعت يسوع جموع كثيرة ٠٠ ولعل هذه الجموع كانت تهتف ، أعلى ما يكون الهتاف ، بشعارات الطاعة والولاء ٠٠ بل لعلها كانت ، ظاهريا ، تصطنع كل ما يمكن أن يوحى بالوفاء ! ولكنه التفت الى الجموع وقال : « ان كان أحد يأتى الى ، ولا يبغض أباه وأمه ٠٠ حتى نفسه أيضا ٠٠٠ ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى ٠٠٠ فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » ٠٠٠ ثم انه ، اذ علم أفكارهم ، وعرف كم كان تعلقهم هذا ظاهريا رخيصا ٠٠٠ خاطبهم بمثل أتى به فى صورة سؤال : فقال : « من منكم وهو يريد أن يبنى برجا لا يجلس أولا ويحسب النفقة : هل عنده ما يلزم لكماله ؟ لئلا يضع الأساس ، ولا يقدر أن يكمل ، فيبتدىء جميع الناظرين يهزأون به قائلين : هذا الانسان ابتدأ يبنى ، ولم يقدر أن يكمل ؟ ! » ٠ (لو ١٤ : ٢٥ ـ ٣٠) ٠

حقا كم من الابراج التى لم يكمل بانوها بناءها فتركوها نصف مشيدة وخلفوها اطلالا تملأ رحاب المسيحية ؟! ٠ ومع ذلك (ومهما كان هذا الذى انفق عليها) لم تعد أكثر من أطلال !! ومن قبيل هذا الأبراج نصف المشيدة ، هذه الآلاف من الرجال والنساء الذين يعتزمون كل يوم أن يتبعوا المسيح ، ولكن دون اعمال الفكر والنظر ، ودون حساب من جانبهم للنفقة ؟ ! وما عساها تكون النتيجة ؟ ان النتيجة نراها فى تلك الوصمة التى يندى لها جبين المسيحية ، والتى ندعوها الآن « المسيحية بالاسم » ! ! ٠

وكم من أعداد غفيرة من الناس فى كل الأصقاع التى انتشرت المسيحية فيها ، **ليس لهم من هم الا أن يكسوا انفسهم بطبقة زائفة براقة من المسيحية ، لعلهم أن يصيبوا من احترام الناس مغنما ! وكأن المسيحية ، لم تكن عندهم ، أكثر من وسادة ناعمة يريحون اليها رؤوسهم** ٠٠ ويعدلون من هيئاتها ومكانها لتتواءم وهواهم وما يسعون اليه من متعة ، أو يصبون اليه من نعيم ! فلا غرابة ، بعد ذلك ، أن توجد بيننا تلك الجماعات من المستهزئين الساخرين الذين لاهم لهم الا التنديد بالآخرين ! ! ٠

أما رسالة المسيح فما أبعدها عن هذا ؟ ! فالمسيح لم يحاول قط أن يهون من شأن المعايير التى وضعها ، أو يعدل فيما اشترطه من شروط ، ليجعل قبول الناس لدعوته أكثر يسرا ، وباب الدخول أقل ضيقا ! ٠ فقد طلب الى تلاميذه الأولين ، ثم من تبعوهم على الدرب ٠٠ والى كل تلميذ جاء بعدهم ، أن يكون تسليم ذواتهم له كاملا دون تردد ، أو تلكؤ ، أو نكوص على الأعقاب ٠٠٠ ودون أن يكون هذا التسليم من جانبهم ، معلقا على بنود والتزامات ، أو على مزايا وامتيازات ! ٠

وها نحن أولاء نراه ، وقد دعا اليه تلاميذه قائـلا : « من أراد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ، ويحمل صـليبه ، ويتبعنى • فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها • ومن يهلك نفسه من أجلى ، ومن أجل الانجيل فهو يخلصها • لأنه ماذا ينتفع الانسـان لو ربح العـالم كله وخسر نفسـه ؟ أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟ لأن من استحى بى وبـكلامى ، **فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء ، فان ابن الانسـان يسـتحى به متى جاء بمجـد أبيه ، مع الملائكة القديسين** » (مر ٨ : ٣٤ ـ ٣٨) •

(١)
دعوة المسيح لنـا بأن نتبعه

« **اتبعـنى** » • بمثل هذه البساطة كانت دعوة المسيح للجميع • والمسيح اذ يدعو **الجميع** من كل جنس ولون اليه ، فانما يعنى أن يكون له وحده ولاؤهم: منه وحدة يتعلمون ، ولكلامه وحده يطيعون ، وبقضيته وحدها يدينون ، حتى لتغدو وكأنها قد صارت جزءا منهم ، وكأنهم قد صاروا كلا بها •

وطبيعى ألا يكون « اتبـاع » دون ان يكون معه « نبـذ » : نبذ الانسـان لمـا يعز عليـه أن ينبـذ ، وتـرك الانسـان لمـا يثقـل عليـه أن يـترك • فلكى يتبع انسان المسيح عليه أن يتبرأ وأن يبرأ ، من كل ولاء لغير المسيح •

أما فى أيام المسيح والمسيحية الأولى ، فقد كان « الترك » للبيت ، والأهل، والعمل ، ينفذ بحروفه • فما أن سمع سمعان واندراوس أخوه يسوع يناديهما « هلم ورائى » ، حتى تركا شباكهما (وهى كل ما كان لهما) وتبعاه •• وما أن دعا يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه ، حتى رأيناهما قد تركا أباهما مع الأجرى، وذهبا وراءه •• وما أن قال للاوى العشار الجالس عند مكان الجباية «اتبعنى» حتى ترك كل شىء ، وقام وتبعه » (مرا : ١٦ ـ ٢٠ ، لو ٥ : ٢٧ ، ٢٨) •

ودعوة المسـيح الى الجميع ما تزال ، وستظل ، قائمـة لم ينلهـا تغيير لا من حيث المبدأ أو الجوهر •• والمسيح ما يزال ينـادى « اتبعنى » ••• ثم يلتفت الينـا كما « التفت » اذ ذاك • « الى الجموع الكثيرة التى كانت سـائرة معه » قائلا : « ان كانأحد يأتى الى ولا يبغض أباه ، وأمه ، وامراته ، وأولاده، واخوته ، وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يـكون لى تلميذا • ومن لا يحمـل صـليبه ويـأتى ورائى ، فـلا يقـدر أن يـكون لى تلميـذا » • (لو ١٤ . ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣) •

والمسـيحيين ، وان كانوا (الا فيما ندر من هذه القـلة المتبتـلة) ، لا يمارسون « الترك » على اعتبار أنه التنازل الفعلى عن الأهل والولد ، والبيت، الا أنه سيبقى للترك ذلك المضـمون الروحى الذى يعنى التسـليم الداخلى من القـلب ، بحيث لا يسمح المـؤمن لأية رابطة او آصرة أسرية ، أو لأى مطمـع دنيوى ، أن يحتل المكان الاول الذى يجب أن يكون للمسيح وحده فى القلب ! ٠

والآن فلنذكر طائفة من هذه « التنازلات » التى يتطلبها اتبـاع المسيح ، والتى لا نستطيع أن ندعى اننا له ، ما لم ننكرها ، ونربأ بأن تكون لنـا ! ٠

● **ويأتى فى قمة هذه التنازلات ترك الخطية ٠ ويكون تركها بالتوبة عنها ٠** فالتوبة هى أولى المراحل التى لا يكون تجديد بدونها ، لأنها توأم الايمـان ، فهى تواكبه وتسير معـه ٠

واتباع المسيح ليس معناه فقط أن ننبذ الخطية ، بل انه يعنى كذلك ان نتنكر لكل فكر ، او كلام ، أو عمل شرير ٠

وفى مجال التوبة ، لا يكفى الاحساس ، من جانبنا ، بوخزات الضمير ، أو بأن شيئا ما يصطرع داخلنا ويدفعنا الى أن نأتى الى الله معتذرين ! فالتوبة أكبر من أن تكون ـ فى أساسها ـ مشاعر وكلمات ! ! فهى تغيير داخلى فى الفكر والعقل ، وفى الاتجاه والموقف ، وما يتبع هذا من تغيير فى السـلوك والتصرفات ٠ ولا محل هنا قط للمساومة ! فقد توجد فى حياتنا خطايا لانتصور اطلاقا امكان التخلى عنها ، ومع ذلك فلا مندوحة عن نبذها بكل ما لنا من ارادة وقوة ، حتى اذا ما تم لنـا ذلك ، تقدمنـا لنرتمى بين ذراعى القـدير لحمايتنا منها وتخليصنا من تأثيرها علينا ٠ فان فرض واختلط الأمر علينا ، وصرنا نهبا للحيرة ، وأصبحنا لا نستطيع الجزم بمـا هو صحيح فيلتزم ، أو بمـا هو خطأ فينبذ ، فمـا علينا الا أن نلتزم بتعاليم « الـكتاب » الصـريحة وأن نسـتمع الى أصوات ضمائرنا ، وأن نسلم قيادنا ليسوع ، وهو حتما سوف يقودنا الى سبل البر والاستقامة ٠

فان حذرك المسيح من شىء ، فلتتخل عنه من فورك ، بصرف النظر عمـا يكونه : سواء كان صداقة من الصداقات ، أو عادة من العـادات ، أو نوعا من القراءات ، أو خلة من الخلال يعز تركها كالاعتزاز بالكرامة والاعتداد بالذات ٠ ومثل الكبرياء والخيلاء والادعاء وما اليها من سيئات ٠٠٠ نعم ! ان كان ثمة شىء من هذا يعوقك ، فلتكن حازما أمامه كل الحزم ، ولتتذكر تعليم المسيح : « ان أعثرتك يدك فاقطعهـا ٠٠٠ وان أعثرتك رجلك فاقطعها ٠٠٠ وان أعثرتك

عينك فاقلعها ٠٠٠ لأنه خير لك أن تدخل الحياة أقطع ، أو أعرج ، أو أعور ، من أن تكون لك يدان ، أو رجلان ، أو عينان ، ثم تطرح أخيرا فى جهنم النار » (مر ٩ : ٤٣ ـ ٤٧) ٠

هـذا ، ويدخل فى مفهوم التوبة الحقيقية ، أن يعيد التائب ما يمكن أن يكون قد اغتصبه من الغير ، وأن يقدم التعويض عما يمكن أن يكون قد أنزله بهم من ضر ٠ ولنعلم أن خطايانا ٠٠ ان كان بعضها مما يمس الناس فهى جميعا تمس الله ٠ وكلها تجرح قلب الله ٠ وهل ثمة شىء يمكن ان يكون فيه البلسم الشافى لجراح الله ؟ ! طبعا لا ٠ وليس من انسان يستطيعه ، أما موت المسيح الكفارى، فقد استطاعه ! ! ٠

وأما فيما يتصل بالناس ، فاننا قد نستطيع أن نقوم بشىء فى سبيل دفـع الأذى الذى انزلتة بهم خطايانا ، أو تعويض الخسارة التى لحقت بهم بسببنا !! فان نحن استطعنا هذا ، فلا يصح بحال أن نحجم عنه أو نتردد ٠ وقد كان زكا قدوة لنـا فى هذا ٠ فما أن رأى أن الجميع قد « تذمروا قائلين انه (أى يسوع) دخل البيت عند رجل خاطىء ، حتى وقف زكا وقال للرب : ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين ، وان كنت قد وشـيت بأحـد ٠ أرد أربعة أضعاف » (لو ١٩ : ٧ ، ٨) وكأن زكا قد أراد بهذا أن يعوض عما كان قد اغتصبه ، حين كان يزاول عمله كعشار ورئيس للعشارين ! ٠

وهكذا نحن نستطيع أن نقتدى به ، فنرد الشىء الذى نكون قد استعرناه ، وأن نعوض عن الوقت الذى نكون قد بددناه ، وأن نصحح الخبر الذى نـكون قد أوقعنا الظلم ببعض الناس اذ أذعناه ، وأن نعيد ما نكون عنوة وتجـبرا قد أخذناه ، وأن نصل ما لعلنا نكون قد قطعناه ، وان نتواضع فنعتذر عن كل سوء نكون بالغير قد أنزلناه ، وألا نقف موقفا سلبيا من اثم نكون قد اقترفناه ٠٠٠ وانما علينا أن نكون ايجابيين عمليين ، خيرين باذلين ، مسامحين ومتسامحين ٠

وما أجمل ما سمعته عن طالب رد كتابا ، مثلا ، كان قد اختلسه من احدى المكتبات ، أو عن فتـاة كتبت الى المسـئولين بكليتها تعترف بواقعة غش ترددت فيها ، أو عن ضابط قدم الى المكتب الحربى الذى كان تابعا له ، قائمة باشـياء كان قد احتال على أخذها حين كان فى الخدمة وقبل أن يتقاعد ٠

وهكذا ٠٠ متى عقدنا العزم على التوبة الحقيقية ، كان علينا أن نبـذل اقصى ما فى الطوق لاصـلاح أخطاء المـاضى ٠ اذ لا يسـوغ لنـا اطلاقا ، أن نستمتع بثمار خطية نرجو ضارعين أن تغفر لنـا ! ٠

● **ومن التنازلات أيضا التخلىعن الانانية** ، وترك الاثرة والاعتدادبالذات ٠ ان الذات أو « الأنا » هى بمثابة الجذور من النبات ٠ وهى أصل لكل الشرور ٠ اما اتباع المسيح ، فانه يتطلب منا أن نملكه على حياتنا ، ونعطيه حق الهيمنة على ذواتنا ٠ وننزل له عن عروش قلوبنا لتكون عروشا له ، ونخلع التيجان التى فوق رؤسنا ،٠٠ لنتوج بها رأسه ، وبالاختصار نملكه علينا ، فيصير بالحقيقة هو المالك لنا ٠

وقد عبر المسيح عن ترك النفس بعبارات ثلاث :

+ (أ) **عبر عنه « بانكار النفس »** وقال : **من « أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ، ويتبعنى »** (مر ٨ : ٣٤) ٠ والفعل « أنكر ، ينكر » هو بذاته الفعل المستخدم فى وصف ما أتاه بطرس فى دار رئيس الكهنة عند المحاكمة ٠ اذ انه لما « جاءت اليه الجارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى ، فانكر قدام الجميع » ثم « أنكر أيضا بقسم » (مت ٢٦ ٦٩ ـ ٧٢) ٠

ان انكار النفس لا يكون فقط بحرمانها مما تتوق اليه من اشياء محببة ، او بحرمان الانسان مما يشوقه الاستمتاع به ، **بل يكون بتجريد الذات من الذات ٠٠٠ بمعنى أن يقول الانسان « لا » فيما يتصل بذاته ، ويقول « نعم » فيما يتصل بالمسيح** ، وبذلك يؤثر المسيح على نفسه ليكون له ربا ، والها ، وسيدا ، ومالكا ٠

+ (ب) **وعبر المسيح مرة أخرى عن ترك النفس بعبارة « حمل الصليب »** ٠ فمن أراد ـ هكذا يقول السيد المسيح ـ **« أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ، ويتبعنى »** ٠ أما « حمل الصليب » فتعبير قد لا يكون مفهوما تماما الآن لنا ، كما كان الناس يفهمونه فى أيام المسيح مثلا ٠ ولو أنه تأتى لنا أن نعيش فى فلسطين على عهد المسيح ، لرأينا ، بين الحين والحين رجلا يسير فى جند ، وقد حمل صليبا ، فندرك على التو أنه مجرم قد حكم عليه بأقصى عقوبة فى القانون الرومانى ـ حينئذ ـ وهى الموت معلقا على صليب ٠ ومن ثم يكون معنى حمل الصليب ، كما جاء فى بعض التفاسير لانجيل مرقس ، أن يضع انسان نفسه مكان آخر قد ادين وحكم عليه بالموت ٠

فالموقف الذى يليق لنا أن نقفه من النفس هو أن « نصلبها » ٠ من أجل هذا يقول القديس بولس ٠ « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) ٠

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن لوقا البشير قد أضاف الى التعبير السابق عبارة « **كل يوم** » مذكرا لنا بقول المسيح « ان اراد احد ان يأتى ورائى ،

فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه « كل يوم » ويتبعنى » (٩ : ٢٣) ٠

فالمسيحى عليه اذن أن يموت أو يمات كل يوم ٠٠٠ كلما تحتم عليه أن يطرح عن ذاته سلطان ارادته ٠

+ (ج) **وعبر المسيح مرة ثالثة عن ترك النفس بلفظ « يهلكها » فقال :** ومن « أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى ، ومن أجل الانجيل ، فهو يخلصها ٠ لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟ » (مر ٨ : ٣٤ ـ ٣٧) ٠

على أن المقصود « بالنفس » هنا ، ليس ذلك الكيان المادى أو الروح ٠ وانما المقصود باللفظ هو « الأنا » أو « الذات » التى تحس ، وتعقل ، وتفكر ، وتشعر ، وتخطط ، وتختار ٠٠٠ ولعلك أن تكون قد قرأت قصة ذلك الغنى الغبى الذى ما أن أخصبت كورته ـ كما رواها لنا معلمنا القديس لوقا ـ حتى « **فكر** فى نفسه قائلا ٠ ماذا أعمل لأنه ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى ؟ **وقال ـ أعمل هذا** ٠ أهدم مخازنى وأبنى أعظم ٠ واجمع هناك غلاتى وخيراتى ٠ **وأقول** لنفسى يا نفسى ! لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة ٠٠ **استريحى ٠ وكلى** واشربى ٠ وافرحى » (١٢ : ١٦ ـ) فقال له الله « يا غبى » ٠ **هذه الليلة تطلب** نفسك منك ٠ فهذه التى أعددتها لمن تكون ؟ » ٠

ان هذا الانسان قد خسر نفسه لأنه جعل من ذاته المحور الذى تدور حوله أفكاره وتطلعاته ، وفيها ركز كل اهتماماته ! وعلى العكس منه تماما ذلك المسيحى الذى يسلم نفسه لمسيحه ، والذى يخضعها كاملة لارادته ، وكأنه لم يعد لها من وجود عنده ! أو لا يكون ـ على المعنى المجازى ـ قد « أهلكها » فى حين أنه ـ فى الواقع وبالفعل ـ قد « ربحها » ؟ ٠

واذن ، فلكى نتبع الرب يسوع ، علينا أن ننكر أنفسنا ، وأن « نصلبها » وأن **نهلكها** » ! ٠

وها هى ذى دعوة المسيح ما زالت قائمة ٠ وهو اذ يقدمها لنا واضحة صريحة لا يكتنفها لبس أو غموض، فانه لايليق بنا أن نقابلها ببرود ، أو بتردد ، أو بمراجعة ، أو بمساومة ، أو بصدود ! أجل ان التسليم يجب أن يكون حاسما ، أكيدا ، ومطلقا ، وغير معلق بشرط ٠٠ فالتسليم الصادر من القلب هو وحده الذى يكون لنا المسيح به السيد والرب ٠

ومع ذلك فقد راجت فى مجتمعاتنا المعاصرة ـ مع شديد الأسف ـ فكرة مؤداها أننا نستطيع أن نستمتع بمزايا الخلاص دون ما يوجب علينا أن نقبل

يسوع أبا وربا ! وبدهى ألا يكون لهذه الفكرة من مكان فى « الكتاب » بل ان من أقدم قانون ايماننا المسيحى هذه المادة التى تنص على أن « يسوع رب »٠ وحين كانت الامبراطورية الرومانية تفرض على رعاياها ــ عنوة واقتدارا ــ الاعتراف بأن « قيصر رب » ، كان المسيحيون يستنكرون هذا وينكرونه مهما ترتب على الانكار والاستنكار من تعذيب وتنكيل وارهاب ٠٠ اجل انهم لم يهنوا ، ولم يرتعدوا ، ولم يذعنوا ، وأبوا ان ينزلوا الامبراطور من قلوبهم منزلة لم يكن هو صاحبها ! ! أو لم يجندوا أنفسهم فى جيش « الملك المسيح » الذى كان له وحده ولاؤهم ، والذى « رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ٠٠ ويعترف كل انسان أن يسوع المسيح هو رب » ؟ (فى ٢ : ٩ ــ) ٠

واذن فعلينا أن نعلم ، أنه لكى ما يكون المسيح لنا ربا ، فان له وحده ينبغى ان تكون السيادة على كل ركن من أركان حياتنا بما فى ذلك أعمالنا واهتماماتنا سواء فىيومنا أو فى غدنا ــ فى حاضرنا او فى مستقبلنا ٠ فالله له فى حياة كل انسان منا قصد وغاية ٠٠ وما علينا الا أن نكشف عن هذا القصد وهذه الغاية ، حتى تكون حياتنا متوائمة معهما ، متوافقة واياهما ، ومحققة لهما ٠

وعلينا أن ندرك أن لله تخطيطا لحياتنا قد يكون مخالفا لما نخططه نحن لأنفسنا ، أو لما يخططه لنا ذوونا ! فمتى جعلنا الله ربا لنا ، وجب أن نكون مستعدين أبدا لما عساه أن يطرأ من تغيير على حياتنا ٠ فقد ندعى للخدمة هنا أو هناك ٠ فى هذا الحقل أو ذاك ٠٠٠ وليس لنا الا أن نكون على تمام الأهبة لأن نذعن ، ونطيع ، ونمتثل ، ونلبى ٠ ثم نحاول أن نكشف ــ فى غير تهور او اندفاع ــ عن ارادة الله ٠ وهو لاشك سوف يكشف لنا عنها ، فى الوقت الذى يراه هو مناسبا ، طالما كان زمامنا فى يده ٠٠ وتحركنا وفق مشيئته ٠

● ومهما يكن هذا الذى يريده الله للمسيحى ، فانه لا يليق به أن يركن الى كسل ، أو يجنح الى ركود ، أو يستكين الىتراخ ، وحسبه ــ أيا كان مركزه أو عمله أو نصيبه من الحياة ــ ان له أبا فى السماء ٠٠ فيضع فى عمله كل قلبه ، عالما بأنه انما يخدم الله لا الناس ، أو كما عبر عن ذلك القديس بولس . « كل ما فعلتم فاعملوا من القلب ، كما للرب ، ليس للناس » (كو ٣ ٠ ٢٣) فاذا كانت خدمتنا هى ــ فى المقام الأول ــ لله ، وجب أن تكون هذه الخدمة من كل القلب ، ومن كل الفكر ، ومن كل القدره ، ومن كل النفس ٠

● وثمة ناحية أخرى ـ غير العمل ـ يجب أن نجعل للرب كامل السيادة عليها ، ونعنى بها الحياة الأسرية · لقد قال الرب يسوع مرة : « لا تظنوا انى جئت لألقى سلاما على الأرض · ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ·· جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الانسان أهل بيته · من احب حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (مت ١٠ : ٣٤ ـ ٤٠) ·

والسيد يشير هنا الى ما يمكن أن يقع بين أفراد الأسرة الواحدة من انشقاق وانقسام ، أو من تصارع وصدام ، اذا ما بدا لأحد أفرادها أن يتبع يسوع ، وكانت الأسرة لا تعرف يسوع ··· فتنقسم الى شيع ، ويحتدم بينها الجدل عمن يكون ذاك الذى يدينون له بالولاء ، ويسلمون اللواء ، ويقسمون على الطاعة ··· او نكون مغالين اذا قلنا بان أمثال هذه الصراعات ما تزال مشتعلة النار ، مشبوبة الاوار ، حتى اليوم ؟ أما المسيحى الحقيقى فانه يعرف بأن واجبه يقتضيه أن يكون بمنأى عن هذه الصراعات ··· فلا هو يلتمسها ، او يشارك فيها ، او يباركها ! اجل انه ليعرف أن من أقدس واجباته أن يحترم والديه ، وأن يحب سائر أفراد الأسرة ، عاملا ـ ما وسعه جهد ـ فى اقرار السلام فى ربوعها ·· ولكن شيئا من هذا لا يصح ان يكون على حساب واجباته نحو الله ·· الذى لا يفتأ يذكره بقوله . « من أحب أبا او أما ··· اكثر منى فلا يستحقنى » ·

● وهنا مسألة أخرى · ان للمسيحى كامل الحرية فى أن يتزوج ، ولكنه مطالب بأن يكون زواجه من مسيحية ! أو لا يقول « الكتاب » فى حسم ، وفى صراحة ، وفى وضوح . « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين · لانه أية خلطة للبر والاثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة ؟ » (٢ كو ٦ : ١٤) ·

وطبيعى أن يقض هذا الأمر مضاجع أولئك الذين يهمون بالزواج على غير ما تقضى به هذه الوصية ·· ولكن الحق اولى بأن يتبع ، لاسيما فيما يتصل بالزواج ، باعتباره العلاقة الانسانية المقدسة التى رسمها الله ، بل واسسها ، ليقيم على اسسها رابطة وثيقة ، واتحادا متينا ، ووحدة لا انفصام لها · أما هذه الوحدة ، فان هى جسدية ، عاطفية ، فكرية ، فهى قبل كل شىء ، وبعد كل شىء ، وحدة « روحية » · فمتى انعدمت هذه الوحدة الروحية التى تجعل الاثنين واحدا ، باء هذا الزواج ، الذى جهل او تجاهل قصد الله ، بالمقتل الذريع ، والخسران الفادح ·

● وثمة ناحية أخرى علينا أن نجعل للسيد المسيح كامل السيادة عليها ، طالما كنا مسلمين له حياتنا ·· وهى التى تتصل **بالمال والوقت** اللذين كانا – فى نظرنا – من صميم خصوصياتنا · وكان التصرف فيهما من اختصاصنا بحيث لا يكون لأحد سلطان علينا فيهما !

ولكن ما أكثر ما تحدث المسيح عن **المال** ، وشرور الغنى مما كان يبعث أحيانا على غير قليل من الارتباك والحيرة ، حيث بدت بعض تعاليمه وكأنما هى أمر لتلاميذه بأن يبيعوا ما يملكونه ويوزعوا ثمنه على الفقراء ·· ومع ذلك فهو يدعو اليوم الى ما دعا اليه بالأمس ، وأن كانت دعوته تنصرف بالأكثر الى أشياء تتصل بالقلوب التى بين الصدور أكثر من انصرافها الى هذه الأعراض الخارجية المادية · فتعاليم السيد لا ينبغى أن تؤخذ ، دائما ، بحرفيتها · فأنت مهما قلبت فى « الكتاب » منقبا ، فانك لن تعثر على حكم ينص على أن المقتنيات فى حد ذاتها فيها ما يشين ، أو على أن المال شر فى ذاته·· أيكون قصد السيد من تعليمه اذن ، أن نجعله الأول فى كل شىء ؟ هو ذاك ! فمنزلته من قلوبنا يجب أن تكون فوق المادة ، وفوق الثروة ، وفوق الجاه ، وفوق الروابط الأسرية ، والعلاقات الاجتماعية · ولما كنا لا نستطيع أن نعبد الله والمال معا ، ولما كان المال هو فى حقيقة الأمر ماله ، كان واجبنا أن نتصرف فيه بغاية التدقيق والحذر · فلا نضن به متى استوجبت الظروف عدم الضن ، فضلا عن البذل ·· فنحن لا نعدو أن نكون وكلاء على مال هو صاحبه· ومن ثم فانه لا يسوغ لنا أن نسأل : « كم من مالنا نقدم للرب ؟ » · وانما علينا أن ننحو نحوا جديدا فنسأل : « كم من مال الرب يسوغ لنا أن ننفقه على أنفسنا وعلى خاصتنا ممن نعول ! ! ·

أما عن **الوقت** ، فهو مشكلة كل انسان الآن ! ولكن المسيحى يعلم أن من واجبه أن يعيد النظر فيما خصص له وقته ، فيعيد النظر فيه ، وفى توزيعه ، بحيث يقدم الأهم على المهم ، كما يفعل طالب العلم الذكى حين يعيد توزيع « جدول » دروسه فى البيت حسب اهمية كل مادة من مواد الدراسة ، ووفق ما يتطلبه استذكارها من وقت ·

وليس مما يتنافى وما عرف عن المسيحى من تفان فى عمله ، أن يكرس وقتا لدراسة « الكتاب » ، ووقتا للصلاة ، والعبادة ، والتقديس ليوم الرب ، لأنه « يومه هو » ، فيجعله يوم راحة ، ويوم عبادة فى وقت معا ، لأن هذا هو قصد الله . أن يكون يوم الراحة بالنسبة للمؤمن فرصة للعبادة ، وفرصة « للشركة » مع اخوته ، وفرصة للتفتيش فى الكتب ، وفرصة للخدمة فى الكنيسة طبقا لميوله وما وهبه من وزنات ·

(٢)
الدعوة للاعتراف بالمسـيح

قال السيد المسيح : « لأن من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخـاطىء ، فان ابن الانسـان يستحى به مـتى جاء بمجـد ابيه مع الملائـكة القديسين » (مر ٨ : ٣٨) ، وفى نفس المعنى قال أيضا : « فكل من يعترف بى قدام الناس ، اعترف انا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٢)

واذن فنحن مطالبون بأن نعترف بالمسيح فى السر كما فى العلن · وبين أنفسنا كما بين الناس ·· والا ·· فما جـدوى أن ننكر أنفسنا سرا ، لننكره فى العلن ؟ ! ! ·

أما الأمر بألا نستحى بالمسيح ـ فما عساها تـكون دلالته ؟ أو لا يعـد هذا الأمر دليلا على علم السيد السـابق بأنه سيأتى وقت نـكون فيه عرضة للاستحياء منه ؟ · أو لا تعد عبارة « فى هذا الجيل الفـاسق الخاطىء مؤشرا على المقاومات ، ونذيرا بالمتاعب التى ستواجهنا حين نعترف بالمسيح بـين مقاوميه ، « وفى وسط جيل معوج وملتو » (فى ٢ : ١٥) ·

وليس هذا كل شىء · فالمسيح قد تنبأ أيضا عن كنيسته ، وعن « جماعة المؤمنين » ، بأنهـم سـيكونون قـلة بين كثرة ، وحملان وسـط ذئاب · واذن فلا مفر من أن تكون لهذه القلة (التى غالبا ما تـكون « مبغضة من الجميع ») الشجاعة التى تكفل لهـا الصمود أمام الكثرة (التى غالبـا ما تكون فى مكان القبول من العالم) ! ·

مهما يكن من أمر ، فالاعتراف بالمسـيح « أمر وتكليف وحكم مشـمول بالنفاذ » ! فهو يمثـل ضرورة لا محيص عنها ، وهو ـ عند القـديس بولس الرسول ـ شرط للخلاص · فانت « ان اعترفت بفمك بالرب يسـوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات ، خلصت · لأن القلب يؤمن به للبر ، والفـم يعترف به للخلاص » (رو ١٠ : ٩ ـ) ·

ومـع ذلك ، فمما يسـتكمل للمسيحى شخصيته ، أن يـكون ـ متى جد الجد ـ ثابت الجأش ، شجاعا · فلا يتهيب من أن يجهر بمسيحه وبمسيحيته ، مهما كانت التحديات والعقبات ، وأن يسعى ـ غاية جهده ـ فى أن يربـح أصدقاءه للمسيح بكافة السبل : بالصلاة ، وبالشهادة ، وبالقدوة ·· ولتكن غايته (على حد تعبير القديس بولس) « أن يخلص على كل حال قوما ·

(٣)
الحـــــوافز

ان يسوع يطلب الينا فى الحاح ، وفى غير ابطاء او تريث وارجاء ، أن نسلم أنفسنا له تسليما كاملا لا يعتوره نقصان • ولمـا كان طلبه للتسـليم الكامل له قد يبدو ثقيلا على بعض الناس ، فالسيد المسيح لم يدعهم مجردين مما يحفزهم ـ طائعين ـ على هذا التسليم ، ولمـا كانت هذه الحوافز كثيرة ، فاننا سنقصر الحديث على ثلاثة منها •

● **الحافز الأول ـ أن التسليم من اجلنا نحن • وفيه تتحقق مصالحنا •**

فالمسيح يقول : « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه •• فهو يخلصها • لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العـالم كله وخسر نفسه ؟ » (مر ٨ : ٣٥ ـ) •

ان الكثيرين يقعون تحت وطأة وهم يصور لهم أن فى اتباعهم للمسيح خسارة قد تمسهم هم ، أو تمس أموالهم ، وينسون أن يسوع انما جاء الى العـالم « لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضـل » (يو ١٠ : ١٠) • واذن فقصده لا أن يفقر ، بل أن يغنى •• لا أن يأسر ويستعبد ، بل أن يطلق ويحرر• نعم اننا قد نتعرض ـ اذا ما أسلمنا ذواتنا له ـ لمـا يبدو لنـا كخسارة ، ان جاز أن يسمى ترك الخطية ، أو انكار النفس ، أو فقد الاصدقاء المنحرفين ، خسارة ! ولكن لنطمئن • فان المقـابل الذى سنحصل عليه يفوق الخسارة ، أو احتمالات الخسـارة ، اضـعافا مضـاعفة ! فنحن اذ « نهـلك » أنفسـنا (أو بالحرى ننكرها) بتسليمها للمسيح ، فانما نكون قـد بدأنا الخطوة الأولى على الطريق ، لخلاصها • وذلك لأن « من يهلك نفسه فهو يخلصها » •

وهنا نجدنا أمام مفارقة عجيبة ، « ومعادلة صعبة » ، ولكن هذه المفارقة تأخذ فى التكشـف أكثر كلما تعمق اختبـارنا للمسيحية وتأصـل • فالانـكار الحقيقى للنفس هو فعلا وجودها الحقيقى ! فان نعيش لأنفسنا هو فى ذاته جنون وانتحار •• وأن نعيش لله ولخليقته هو بالحق حكمة وحيـاة • ولن

يكون فى مقدورنا المجاهرة بأننا قد بدأنا مسيرتنا نحو « وجـود » أنفسـنا ، ما لم نصر مستعدين لخدمة المسيح وخدمة « الاخوة » ٠

واذ أراد السيد المسيح أن يبرز لنـا هذه الحقيقة ، وضع أمامنا العالم كله فى كفة ، ووضع النفس البشرية فى كفة ٠٠ ثم جعل سؤاله فى الصيغة التى يحلو لرجال المـال والأعمال أن يضعوه فيها متى عرضوا لدنيا التجارة وشـئون المـال : « هب انك ربحت العـالم كله ، وفقدت نفسـك ، فأى ربح تكون قد كسبت ؟ ! فعلى المستوى المـادى (مهما بدا من وضاعته) ، وبالموازين النفعية التى يمكن أن توزن بها المصالح الشخصية المـادية ، تجد الصفقة هى دائما لمصلحتك عندما تتبع المسيح ٠ فان لم تتبعه هلكت ، وخسرت حياة الأبد٠ وفى هذه الحالة ، لتكن أرباحك المادية ما تكون ، فهى قط لن تغنى عنك شيئا ! ولمـاذا ؟٠٠ واليك الجواب : أن ربح العالم كله لا يتحقق لمخلوق فى الوجود ٠ وهبه تحقق لك أنت من دون الناس ، فانه لن يدوم ٠ وهبه (جدلا) دام لك ، فلن يكون فيه لك شبع أو رى ٠٠٠ أما لماذا ؟ فاليك الجواب : « ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟ » ان شيئا بالغة ما بلغت قيمته لن يكون له ان يعوض عن النفس ، أو أن يكون ثمنا لهـا مهما سما قيمة وعلا قدرا ! ٠

وهكذا ترى فى النهاية أنك لكى تكون مسيحيا ، فان هناك نفقة ينبغى أن يحسب حسابها ٠٠ ومع ذلك ، فهذه النفقة حرية بأن تكون أفدح وأثقل لمن يختار ألا يكون مسيحيا ! ! ٠

● **الحافز الثـانى ـ أن التسليم لمصلحة الآخرين ٠**

ان تسليمنا للمسيح ليس فقط لمـا يمكن أن نأخذ ، بل أيضا لمـا عسانا أن نعطى ٠ فهنا أخذ يقابله عطاء ٠ والآية التى تشير الى أن « من يهلك نفسه من أجـلى ، ومن أجل الانجيـل ، فهو يخلصـها » ٠ تجعل عبارة « من أجـل الانجيل » معادلة لعبارة « الكرازة به للآخرين » ٠

وبعد ، فمن الجانب السلبى ، قد تعلمنا ألا نستحى بالمسيح أو بكلامه ٠ أما الآن ، ومن الجـانب الايجابى ، فاننا نتعـلم أن نكون فخورين بالمسـيح وبكلامه ، مبشرين بالانجيل ، وكارزين ببشارة الملكوت ، دون أن نسمح لشىء من الكلل أو الملل أن ينال منا ، أو يتطرق الينـا ، أو يستحوز علينا ويسود ٠

فنحن ، دون ما شك ، ندرك ما هو عليه العـالم الآن من اضطراب ، وما يدور فيه من اصطخاب ، وما يزرح تحته من أوصاب ٠٠ ومن هذه جميعـا ما يزلزل النفس ، ويجـرح القلب ، ويدمى الفـؤاد ، ويهز المشـاعر ، ويثير

الوجدان ، ويطيح بالجنان وبالاتزان ٠٠ ، الى حد يعتبر فيه بعض النـاس ، أن مجرد بقائهم أحياء لهو ضرب من الاعجاز ، ولون من المعجزات-لم يعـد يجود بمثله الزمان ٠ ذلك أن المواطن العـادى معرض لأن يقع صريع أحابيل وأحداث لا حصر لهـا ، ولا قبل له ـ فى أكثر الأحيـان ، على الاصطراع معها : فاذا ما أتيح له الخروج من معمعتها سليما ، فانما لأن هذا هو قدره ، ولأنها نعمة الله التى عملت معه ٠٠ وما عليه ـ على كل حال ـ الا أنيضطلع كمواطن بمسئولياته ، وأن يقوم على أدائها كأحسن ما يكون الأداء٠ أما واجبه كمسيحى فهو فوق هذا بكثير ! ذلك أنه قد وهب له أن يعرف يسوع ، وأن يرى فيه السلام الحقيقى ، وأن يتعـلم منه كيف تقـام العلاقات السـوية بين الناس ٠٠ بل وأعطى له أن يدرك مبلغ تقلب البشر ٠٠ ومن ثم كان له ، فى ضوء هذه المعـرفة ، وهذا الادراك ، أن يسهم فى نشر المحبـة ، ورفع لواء السلام ، فى كل مكان ، وأن يأتى بصحبه وخاصته الى المسيح ، وأن يـكون عونا ، لمن كانوا فى المسيح ، أن يحيوا الحياة المسيحية الكاملة ، وأنيؤسسوا بيوتهم على صخرتها ٠٠ لأنه من خلال هذه البيوت ، يتاح لوسائط النعمـة أن تفيض وأن تؤثر ، ولانجيل المخلص أن يتغلغل وأن ينتشر ، حتى كافة الربوع والأمصار ، وأن يطفر فوق الربى والتلال والآكام ، والى أقاصى البحار ٠

● **الحافز الثـالث ـ أن التسليم للمسيح يكون من اجل المسيح ٠**

وهذا الحافز ـ كما لابد أن نكون قد أدركنا ـ هو أعظم الحوافز جميعا ، لأنه كم هو عظيم أن يكون تسليمك لأجل يسوع نفسه ، وفى سبيل من قال « من يهلك نفسه **من أجلى ، ومن أجل الانجيل** ، فهو يخلصها » ؟ ! ٠

ولعلك أن تكون قد لاحظت كيف أن الناس ، متى كلفوا بعمل ، يسألون ـ أول ما يسألون ـ عمن يكون صاحب التكليف بالعمل ٠٠٠ فعلى معرفتهم لشخصه يكون موقفهم من حيث الرفض أو الامتثال ٠ فكم بالحرى اذا جاءهم هذا الأمر بالعمل ممن له عليهم أياد ، وأفضال ، ومن تكون فيه وحده حياتهم ووجودهم وتحركهم ؟ ! أما تكون التلبية من جانبهم ، حينئذ ، سريعة ناجزة تحدوها غبطة ، وتكتنفها مسرة ، ويتوجها ابتهاج ، ويغمرها فيض سرور ؟ !

لذلك كان من شأن دعوة المسيح لنـا أن تستهوينا ، وأن تقنعنا ، وأن تتغلغل فينا الى مخادع القلب وحنايا الصدور ٠

وحتى اليوم ، وحتى هـذه الآونة التى نقرأ فيها هـذه السطور ، نسمع الرب يسوع داعيا لنـا الى انكار أنفسنا **من أجله** واصفا هذا الذى يدعونا

اليه بانه بمثابة « حمل للصليب » ، مذكرا لنـا بأنه سبق فحمل الصليب عنا ٠ وعلى ذلك فانه لا يسألنا فوق ذاك الذى أعطانا ــ وصليب بصليب ! ٠

فهل بوسعنا ــ والحالة هذه ــ الا أن نتبعه ؟ ! نعم ، واننا لنتبعه ليس لما عسانا أن نأخذ ، ولا لما عساه أن يعطى ، وانمـا ــ وبالدرجة الاولى ــ لما سبق فأعطانا ، وبذل من أجلنـا ! ٠

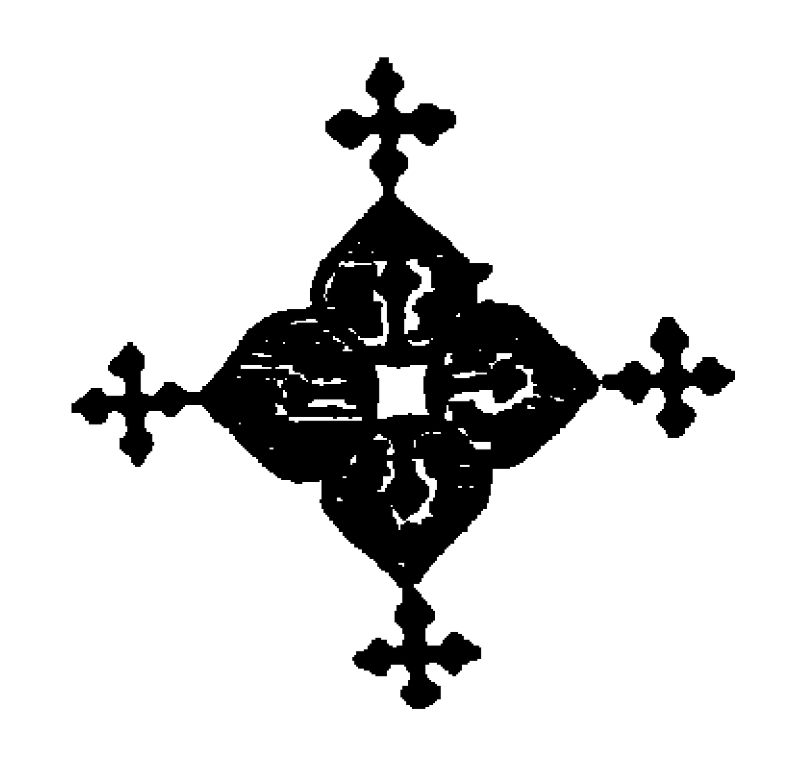
أما هذا الذى أعطانا فقد كان « ذاته » ٠ وهل بعد الذات تضحية ؟ ٠ وهل بعد البذل بها بذل ؟ وهل بعد الجود بها والعطاء لهـا ، جود أو عطاء ؟ اذن ــ فليكن الثمن الذى يراد الينـا أن نقدمه كبيرا ، فان الثمن الذى أداه عنا فادينا كان أكبر ٠٠ وكيف ؟ ألم يترك مجد السماء حيث تحف به أجنـاد السماويين مقدسين ، ويحوط به الأبرار والصديقون مهللين مسبحين ؟ ! ! ٠ ولكن ها هو ذا « قد أخلى ذاته ، آخذا « صـورة عبد » ، ونزل الينـا على الأرض ، « وصار من يصور الاجنة فى البطون جنينا » ، وسمح أن يولد فى حظيرة ، وأن ينام فى مزود ، ويسكن فى بيوت الفقراء ، ويعمل صبيا لنجار ، ويختار أصدقاءه ، وحوارييه من القرويين ، وبسطاء الصيادين ٠٠ ثم يقبل ، بعد قليل ، « الهوان ، والسب ، والتهديد ، واللطم » ، وأخيرا يرتضى أن يموت على الصليب ميتة الأشرار الأثمة المذنبين ! ! ٠

ان نظرة واحدة الى الصليب كفيـلة بأن تحملنا طائعـين ، على أن ننكر ذواتنا ، وأن نتبـع من كان صليبه من الـكبر بحيث حجب صلباننا الحقيرة فأخفاها كما يخفى الشمس كسـوف ، وكما يوارى القمر خسوف ! ان لمحـة واحدة من محبتـه العظيمة التى حببت اليـه احتمال كل الآلام والعذابات من أجلنا نحن الخطاة غير المستحقين ٠٠ كفيلة بأن تحملنا حملا على أن نسـلم له ذواتنا ، والا كنا كم يرفض محبته ، ويزرى بحبـه ، ويجازيه عن أسـمى مراتب الخير ، بأشر ألوان الجحود ونكران الجميل ! ٠

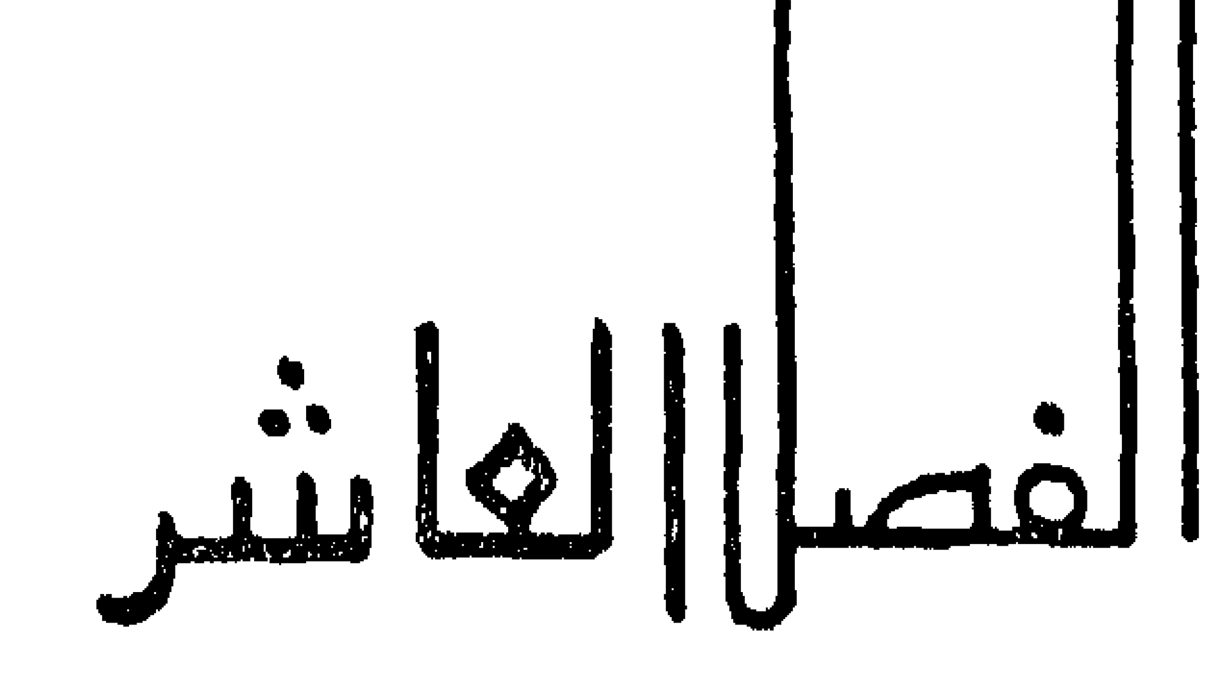
فان كنت أيها الحبيب ، تشكو فقرا روحيا ، فأكبر الظن أنك لم تصر بعد مسيحيا ٠ وان كانت الشـهوات الردية ، والمتـع الشهوانية ما تزال تنـاديك وتستهويك ، فافعل ما تشاء الا أن تكون مسيحيا ! ٠

فاذا ما كنت ــ يا صديقى ــ على الضد : ترغب فى حياة تساير الطبيعة التى منحك الله وعليها سواك ٠٠٠ وتتوق الى الحياة العاملة على الرغم مما يكتنف العمل من تعب ، ونصب ،وعطاء ، ٠٠ وتحن الى خدمة الله « والاخوة »

على اعبتار أن هذه الخدمة انما هى امتياز حبتك به السماء ٠٠٠ وتشتاق الى سلوك طيب يكون بمثابة عرفان وشكر دائمين لمن من أجلك قد مات ليفتديك ٠٠ ان كان لك توق الى هذا كله واشتياق ٠٠٠ اذن فلتتقدم بتسليم ذاتك ، دون ما تسويف ، أو ابطاء ، أو تحفظ ، للرب الهك ٠ والرب يعضدك ويعينك ، وبيمينه يسندك ويقيمك ، لأنه قريب ممن يطلبونه ٠ ألم يقل لنـا : « وتطلبوننى فتجدوننى ، اذ تطلبوننى ، بكل قلوبكم » (ار ٢٩ : ١٣) ٠







الفصل العاشر



١٠ أي قرار تتخذ؟

الفصـل العـاشر
(أى قـرار تتخـذ ؟)

ان تتخذ قرارا (وأنت مسيحى) بأن تصير مسيحيا ، فكرة قد تبـدو قمة فى الغـرابة ، والاثارة للعجب والدهشـة عند الكثيرين ! فأكثر النـاس يتصـورون ، لمجـرد كونهـم ولدوا فـى بيوت مسيحية ، ونشئوا فى أحضان أمة مسيحية (١) ، أنهـم مسيحيون ! ولعلهم ، اذ يجابهـون بالسؤال ، أن يصيحوا مستنكرين : « وهل تحسبوننا ممن يدينون باليهودية ، أو بالبوذية ، أو بالمجوسية ٠٠٠ حتى يثار الشك فى عقيدتنا المسيحية » ؟ ! ! ٠

ومـع ذلك فربما كان لهؤلاء عذرهم ! فهناك من يتصورون أنهم وقـد صار لهم هذا كله أو بعضه ، فانه لم تعد بهم حاجة الى شىء ! ٠

وأما الواقع فمغاير لذلك ٠ ليكن أصل الفتى ، أو مولده ، أو حسبه ، أو نسبه ، ما يكون ٠ ولتكن تنشئته ، وتربيته ، وثقـافته ، ما تكون ٠٠٠ فان شيئا من هذا ، بعضه أو كله ، لن يعفيه من أن يتخذ قرارا ناجزا ، عاجلا ، محددا ، من الرب يسوع ٠٠ أهو نهائيا معه ؟ أهو عليه ؟ أهو يقبله فيسلم له ؟ أهو ينكره ويتنكر له ؟ ! ٠

ذلك أن المسيحية ليس فيها ــ بأى حال ــ للمحيادين مكان ! وليس لنا مع المسـيحية أن نكون لا بالسـلبيين ولا بالايجابيين ! ٠٠ بل انه ليس فى المسيحية مكان لمن يساق اليها سوقا ، دون أن يكون قد حسم أمر نفسهبنفسه ، واتخذ قراره باختياره ! ٠

فنحن ــ باختصار ــ من يطلب الينا أن نتخذ القرار بأنفسنا ! أما العقيدة التى ندين بها ، فانها لا تستطيع لنـا شيئا فى ذاتها ٠ فقد نتفق وكل ما جاء هنا بهذا الكتاب من آراء ٠ بمعنى أننا قد نقر بالوهية المسيح ، وببنوته للآب ،

---

(١) وحتى لا ننسى ، فالحديث هنا للمؤلف وهو مسيحى ، ودولته ومؤسساته ودور العلم فيها ، كلها مسيحية ٠ (المعرب)



هذه الصورة وان اختلفت عن الوصف بعض الشيء ٠٠ الا أنها تقرب الفكرة
لذهن القــارىء

وبنزوله من السماء الينا نحن الخطاة ، وبموته عنا على خشبة الصليب ، وبقيامته المجيدة من الأموات ، وبصعوده المجد الى السموات ٠٠ بل قد نقر بخطايانا وبحاجتنا الى مخلص ٠٠٠ الا أن شيئا من هذه الأشياء (متشعبة أو متجمعة) لن يستطيع أن يجعلنا مسيحيين ! فالاقتناع العقلى شىء ٠٠ والتنفيذ العملى شىء آخر ٠

أيكون المعنى المستفاد من هذا أننا فى غنى عن المعرفة للحقائق الأساسية عن شخص المسيح ، وعن عمله ، أو عن الايمان ـ ابتداء ـ بهذه الحقائق ؟٠ كلا بالطبع ٠ ولكننا محتاجون الى الايمان الحقيقى ، **لأن هذا النوع من الايمان هو الكفيل بأن يترجم المعتقد العقلى الى سلوك أدبى ٠ ولا خير يرجى ، بداهة ، من اقتناع عقلى لا يؤدى الى تسليم عملى ٠**

ان فى « الكتاب » آية تذكرنا أكثر من غيرها ـ فيما نعتقد ـ بهذا القرار الذى يتعين علينا اتخاذه ٠٠ ولهذه الآية مكانة خاصة فى نفوس المسيحيين ، ويكثرون من ترديدها باعتبارها كلام السيد نفسه وأنه الى كل انسان منا كان كلامه الذى ساقته هذه الآية الينا : « ها أنذا واقف على الباب وأقرع ٠ ان سمع أحد صوته ، وفتح الباب ، أدخل اليه ، وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ . ٢٠) ٠

فى هذه الآية ، اعتبر القلب البشرى أو النفس البشرية بمثابة البيت ٠ ولكل منا بيته ٠ وداخل بيته يستطيع أن يحيا حياته الخاصة لأن بيته هو « قلعته » ٠ وله هو وحده مطلق السيادة عليها ٠٠ فهو « السيد السند » لها ، وليس لأحد أن يطأ حدودها ، أو يجوس (غير مدعو) خلالها ، ما لم يؤذن له !

على عتبة هذا البيت ، وعلى الباب الخارجى منه (يستوى فى ذلك أن يكون البيت بيتى أو بيتك أو بالحرى قلبى أو قلبك) يقف يسوع قارعا يطلب الدخول ٠ والمسألة ، بمنتهى البساطة ، أتفتح له ، أو تدعه هناك فى الخارج « يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل » ؟ ٠

لقد تفتق ذهن فنان يدعى « هولمان هنت » (وهو من كبار فنانى القرن التاسع عشر) عن فكرة فذة أودعها لوحة رائعة تمثل هذه الآية : « هاأنذا واقف على الباب وأقرع ٠٠٠ » وبعد أن تم رسمها (وكان ذلك عام ١٨٥٣) أسماها « نور العالم » ٠ أما اللوحة فقد جاءت ، هى بدورها ، آية فنية عبقرية ، تنبض بالمعانى السامية التقوية ٠٠ وقد عمقت ، حقيقة ، معنى الآية ، وجعلته حيا فى قلوب من أتيح لهم أن يروها ٠

واللوحة « الأصيلة » عرضت فى الكنيسة الملحقة بجامعة اكسفورد ·· وما تزال هناك حتى اليوم ·· وقد وصفنا هذه اللوحة « بالأصيلة » لأن الفنان عمد الى رسم نسخة أخرى ، مطابقة كل المطابقة لهـا ، بعد أربعين سنة من تاريخ رسمه للوحة الأولى · وهى بدورها محفوظة بكاتدرائية القديس بولس ·

ولكى نقدم اللوحة للقراء فاننا سنستعير وصف صحيفة « التايمز » التى صدرت فى شهر مايو عام ١٨٥٤ لهـا · ففى هذا الوصف ما يغـنى عن كل بيان · قالت الصحيفة : « فى الجانب الأيسر من الصورة ، نرى باب النفس البشرية وقد أحكم غلقه بالمزاليج · وقد علاها (هى والمسامير التى ثبتت بها) الصدأ · وقد راعى الفنان أن تظهر فوق الدرج نباتات متسلقة كتلك النباتات الذاتية النمو ، والتى لم يضع بذارها انسان) توكيدا من جاناب الفنان لفكرة أن هذا الباب لم يفتح قط لانسان ! ·

« ثم نرى السيد المسيح فى الصورة ، وقد دنا ــ فى حلكة الليل ــ من الباب ··· متدثرا حلة ملكية ، وقد علا رأسه اكليل شوك وأمسكت يسراه بسراج منير (ومن هنا كان اختيار الفنان لاسم اللوحة : نور العـالم) فى حين أن يمناه تهم بقرع البـاب ··· » ·

ان القرار الذى يتعين علينا اتخاذه ، رهن بالاجابة عن خمسة أسئـلة (أوردناها فيما يلى) مما يتصل بهذا البيت :

+ فالسؤال الأول خاص بمن هو الساكن فى البيت ؟ والساكن ، بكل بساطة ، انسان مثلى ومثلك ·· والبيت رمز لقلبى وقلبك أو حياتى وحياتك · فهو اذن مجرد فرد ·· ومع ذلك فمن عساه يكون ؟ وبمن يشبه ؟ ولمـاذا جاءه يسوع يطلب الدخول ؟ أما الساكن ، مرة أخرى ، أو السكان ، فهم بشر خطاة مثلنا ·· ومن حب يسوع العجيب لنـا أنه انما يريد أن يزورنا لأننا خطاة ، وهو اذ يدق الباب طالبـا الدخول ، فليس لأننـا مسـتحقون ، وانمـا لأننا محتاجون ! ·

ولعله مما يجلو لنـا الموضوع ويزيدنا فهما له ، أن نرجع الى السياق الذى ورد فيه ·

لقد تضمن الاصحاحان الأولان من سفر الرؤيا رسائل أملاها السـيد المقـام ، ليكتبها يوحنا الرائى ، الى سبع من كنائس آسيا الهامة ، وقد وردت الآية التى نحن بصـددها فى آخر رسالة من هـذه الرسائل السبع وكانت الى كينسة لادوكية ·

٠٠٠ فماذا عن لادوكية ؟ ٠٠ انها كانت وقتئذ مدينة غنية شهيرة ذائعة الصيت ٠ وكانت تدين بشهرتها وبعد صيتها ، الى نواح ثلاث :

● صناعة النسيج من أصواف الأغنام المحلية التى تربى فى المراعى الواسعة للمقاطعة ٠

● قيـام العديد من المصارف والمؤسسات المـالية بها ٠

● مدرستها الطبية التى تفردت بصناعة الكحل « الفـريجى » ، وكان هذا الكحل مضرب المثل فى الجودة والاتقان ٠

من أجل هذا كله بلغت المدينة شأوا بعيـدا ، وشأنا مرموقا من حيث الثراء والازدهار ، مما كاد اللادوكيون معه أن ينشقوا من فرط زهو، وتيه ، وفخار٠ وكيف لا ؟ وقد أتيح لهم من الاكتفاء الذاتى ، والاستغناء عمن عداهم نصيب كبير ، جعلهم يستكبرون ويتعالون ، ثم يلقون رجاءهم لا على الرب ، وانما على غناهم ! أجل ، لقد بلغ التيه باللادوكى المزهو أن يقول مختالا : « أنا غنى٠ وقد استغنيت ٠ ولا حاجة لى الى شىء ! ! » (رؤ ٣ : ١٧) ٠

على أن هذه الخيلاء كانت قد انعكست أيضا (ولا غرابة فى أن تنعكس) على الكنيسة هناك ! فلم يكن لأكثر أعضائها من المسيحية الا الاسم والنسب٠٠ من أجل هذا وجه الروح الى اللادوكى هذه العبارات اللاذعة التى قصـد بها الى الانذار والتنديد ، بل الى التهديد والوعيد : « أنا عارف أعمالك ٠ انك لست باردا أو حارا ٠٠٠ هكذا لأنك فاتر ، أنا مزمع أن أتقيأك » (٣ ٠ ١٥ ، ١٦) ٠

ولعلنـا لا نستطيع أن نتصور تماما مبلغ هلع اللادوكى وهذه الكلمات تصك مسمعه : « لأنك تقول أنا غنى ، وقد استغنيت ، ولا حاجة لى الى شىء — ولست تعلم أنك أنت الشقى ، والبائس ، وفقير ، وأعمـى ، وعريان ! » ٠ ان وصفا مثل هذا لابد أن يكون قد وقع على اللادوكيين وقع الصواعق على البروج الحصينة المصعدة فى اجواز الفضاء ٠٠ حتى اذا تمكنت منها أحالتها حطاما وهباء ٠٠٠ وبعد ، أيكون سكان لادوكية عرايا وهم ملاك للمصانع التى ذاعت شهرتها مدوية فى الآفاق ؟ أيكونون عميانا ولديهم الكحل الذى تحدثت عن جودته الركبان ؟ ! أيكون بهم عوز وفقر ، وبين ظهرانيهم بيوت المـال ٠

ولكننا — من أسف — لا نكاد نختلف عن هؤلاء اللادوكيين فى شىء ! أو لا يوجـد بيننا من يزهو متبجحـا بأنه « ليس فى حاجة الى شىء » ؟ ! ٠ وهل هناك ما هو أخطر على الحياة الروحية من مثل هذا التبجح والادعاء ؟ ٠

ان هذه الكلمات ، مع ما تشى به من خيلاء وشعور بالاكتفاء ، تعد من اكبر المثبطات التى تحول دون تسليم ذواتنا للمسيح ، بينما نكون ــ فى واقع الأمر ــ من أشد الناس حاجة له وافتقار اليه (١) ، لأننا بدونه سنظل فى حالة تجرد مما يمكن أن يستر عرى نفوسنا فى حضرة الله ٠٠ ولأننا بمعزل عن قيادته ، سنبقى فى حالة عمى لا نستطيع معه أن نرى حق الله ٠٠ واننا بغير الشركة معه ــ وهو الغنى ــ سنصير فى فقر لا نملك معه أن نشترى لأنفسنا عفو الله ٠ أما المسيح فهو الذى يستطيع وحده ما لا تستطيعه لنا أموالنا ، ومصانعنا ، وضياعنا ، وسائر مقتنياتنا ٠٠ انه وحده من فى مقدروه أن يكسونا ثياب بره فنطهر ، ويلمس بصائرنا فنرى أمجاد السماء ، ويهب لنا ثراء روحيا نغدو به أغنياء ، وبفضله يحق لنا أن نعتز بما لنا من اكتفاء ! أما بدون المسيح ، ذاك الذى يقرع (فلا يحرك قرعة هذا منا أوتار قلوبنا) فسنظل نحن والعرايا والعمى والفقراء ، سواء ! ! ٠

+ والسؤال الثانى : ومن يكون ذلك الضيف المتفضل بالزيارة ؟

والجواب « أنه يسوع » وكفى ! ٠

و « يسوع » ليس بالشخصية التى جاءتنا من تصوير وهم أو من نسج خيال ! لأنه مسيح الناصرة التى أجمعت أقواله عن ذاته ، والامتيازات التى نسبها لنفسه ، والأخلاقيات التى عنها اصدر ، والقيامة المجيدة التى بها الموت هزم ٠٠ على أنه هو المسيح ابن الله الحى وانه المخلص الفادى ٠

أو لم تر الى اليد التى تقرع الباب ، والتى بها من آثار المسامير ثقوب ؟

أو لم تر الى القدم الواقفة عند الدرج ، والتى بها من آثار المسامير ندوب ؟ ٠

واذن فلن يكون سواه من مات من أجل خطايانا على الصليب ، ثم صار « البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض » ٠ ولن يكون الا ذاك الذى وصف فى سفر الرؤيا هكذا : « عيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى ٠٠٠ وصوته كصوت مياه كثيرة ٠٠٠ ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها ٠٠٠ » الى آخر هذه الأوصاف ، التى وان تكن قد جاءت رمزية ، الا أنها تعطى لمحات بينات عن مجد المسيح المقام الذى سقط يوحنا « عند رجليه كميت » من فرط ما له من جلال ، ومهابة ، وسلطان ٠

---

(١) من أجمل العبارات فى هذا الصدد ، هذه العبارة الروحية التى وردت بالقداس الالهى والتى يناجى بها المصلى خالقه : « خلقتنى ٠٠٠ ولم تكن أنت محتاجا لعبوديتى ، بل أنا المحتاج لربوبيتك » ٠ (المعرب)

ولعله مما يجل عن تصورنا ، أن نفهم كيف أن شخصا له سلطان بهذا المقدار ، ويحوطه كل هذا البهاء والجلال ، يتنازل فيطلب زيارة من كانوا مثلنا ممن وصفوا بأنهم « أشقياء ، وبؤساء ، وفقراء ، وعمى ، وعراة » ! ٠

+ والسؤال الثالث ـ وماذا يفعل الزائر ؟

والاجابة عنه ذكرها هو نفسه فى هذه الكلمات « ها انذا واقف علىالباب وأقرع » ٠

انه « واقف » ! ألا ليتنا نقف نحن وقفة تأمل عند ذلك المعنى الذى تفيده هذه العبارة فى الأصل اليونانى ٠ نعم ! انها لتفيد **انه جاء فوقف ، وظل واقفا ، وما زال حتى الآن يقف** ٠ ومعنى ذلك أن العبارة تفيد الاستمرار ! ثم أين كان وقوفه ؟ انه يقف « على البـاب » ٠ والمعنى فى الأصل اليونانى يفيد أنه جاء فاقترب من الباب ، دون فاصل يفصله عنه أو مسافة تقصيه منه ! ٠

فما الذى يجشمه ـ يا ترى ـ ذلك العناء ، وتلك المعاناة ؟ أما كان فى سلطانه أن يظل مستويا على عرشه ، كما يليق بجلال الملوك ، حتى نقدم نحن اليه ونمثل فى حضرته ؟ ٠٠ لكنه هو نفسه يقدم الينا ٠٠ ثم يقف عند عتبـة بيت كل أحد منـا ! ٠

وهنا يعن لنـا أن نسأل : ومتى جاء ؟ وهل كان مجيئه منذ أمد طويل ؟ وهل طال وقوفه عند البـاب بالسنين ٠٠ بينما نراك قد تركته واقفا عند الباب هكذا وأنت عنه لاه ، وبه مستهين ! ٠

ويا ليته اكتفى بالوقوف ! بل انه ليقرع كذلك ٠ وصيغة الفعل هنا تدل على الحاضر ، فان يكن قد جاء فوقف ، الا أنه يوالى القرع ، حتى لا يدعنا فى شك من قدومه أو من الهدف من حضوره ٠٠

واذ « يجىء » ، « ويقف » « ويقرع » ، فهو ـ كذلك ـ « يتكلم » ! ! ٠٠ واذ يتكلم فانما ليقول لنـا : « ها انذا واقف على الباب وأقرع » ! فهو يريد أن يشد انتباهنا الى حضوره شدا ، ويود لنـا أن نعلم بأنه هناك ، وبأنه سيظل هكذا ـ مهما طال به الوقوف ـ حتى نثوب الى رشدنا « ونرجع الى نفوسنا » فنهب ونفتح ! ٠

ثم ٠٠٠ ما الذى تفيده هذه الأفعال : « يقف ، ويقرع ، ويتكلم » ؟ ٠٠ انها لتفيد ، يقينا تواضع المسيح من جانب ، وحرية الانسان من جانب آخر ٠

فالمسيح اذ يقف عند البـاب ، فهو لا يلكزه أو يصفعه • واذ يقرع البـاب ، فهو لا يهزه أو يدفعه . واذ يتكلم ، فهو « لا يصيح •• ولا يسمع فى الشارع صوته » (اش ٤٢ : ٢) •• مع أنه ، فى واقع الأمر ، هو مصمم البيت وبانيه ومالكه ، لأنه اشتراه بالدم الزكى الكريم • فالبيتملكه بحق الشراء ، بل بحق التصميم والبناء ، واذن فلسنا نحن بملاك أو « حائزين » ، وانمـا نحن مجرد « مستأجرين » ! •

لقد كان فى سلطان المسيح أن يدفع الباب بقبضته ، أو يركله بقدمه ، ولكنه آثر أن يمد يده الى أداة القرع فيقرع •• وكان فى سـلطانه أن يكون بالفتح آمرا ، ولكنه آثر أن يكون له سائلا مستجديا ! •

وهو اذ « يقف » ، ففى وقوفه يتجلى صبر ومعاناة ! •

واذ « يتكلم » ، فانما فى حنان ، وتواضع ، وطول أناة ! •

واذ يريد الدخـول ، فانمـا يريده بمنـأى عن العنـف ، والصـخب ، والمهـاترات ! •

واذ « يقرع » ، فانما فى وداعة ، ولطف ، واتزان ، وثبات ! •

وهو اذ يريدنا على أن نفعل نحن شيئا ، فانما فى صيغة لا تحمل وعيدا أو تهـديدا بويلات ! وكان له أن يفعل • ولـكنه يكتفى بأن يقـدم النصائح والمشورات ! • وها هو ذا يقول لى ولك ، وفى تنازل عجيب ، « **أشير عليك** » ثم يوالى مشورته « ••• أن تشترى ذهبا مُصفى بالنار لكى تستغنى ، وثيابا بيضاء لكى تلبس ••• وكحل عينيك بكحل لكى تبصر » (رؤ ٤) ١٨) •

وهذا هو شأن يسوع دائما معنا ••• وهذا هو مدى الحرية التى يعطينا ، والتى يود لنـا أن نستمتع بها حتى آخر الشوط ، والى أبعد غاية •

+ والسؤال الرابع ـ وما عساه يريد أن يفعل ؟

والجواب : انه يريد أن **يدخل** وكفى ••• فهـذا هو الباعث الوحيد على وقوفه على الباب ، والا •• لاكتفى بنظرة يلقيها على البيت ، لو أنه كان ممن تكفيه النظرة العـابرة ، أو مجرد الاشارة والايماء •

وانه ليريد لنـا كذلك **أن يكون** موقفنا منه ايجابيا ، يبدأ بقرار وينتهى **بعمـل !** •

ان مجرد الحديث المنمق من جانبنا لا يخدعه ، وهزة الرأس العابرة (كايمائنا بالتحية للآخرين) لا تقنعه · وانما يقنعه ويرضيه أن يكون فتح الباب له عاجلا ، ناجزا ، فوريا ·

ان ذاك « العلى الذى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى ، والذى السماء كرسى له ، والأرض موطىء لقدميه » ·· والذى « لا تسعه السموات وسماء السموات » (اع ٧ : ٤٨ ، امل ٨ : ٢٧) ، يرضيه أن ينحنى ليدخل الى كوخ قلبنا الخاطىء الحقير ! ! ·

ثم ·· لماذا يريد الدخول ؟ والاجابة : « أنه يريد الدخول لأنه يحب أن يكون ربا ومخلصا لنا ! ·

حقا لقد صار بموته مخلصنا · فان نحن قبلناه كان مستعدا لأن يشركنا فى الامتيازات التى صارت لنا بموته عنا ، فيأخذ من الذى له ويعطينا ·

واذن فلنثق من أننا متى فتحنا له بيوتنا ، او بيوت قلوبنا ، فأنه سيبادر بالدخول اليها ·· وما أن يدخل اليها حتى يأخذ فى تنظيفها ، وتجديدها ، وتجميلها ، ثم يتجه الينا نحن فيعمل على تنظيفنا وتطهيرنا ، وطرح ماضينا ، بكل ما حفل به من أقذار وأدران ، الى بحر النسيان ··· حتى اذا ما تم كل هذا لنا ، صرنا مستأهلين لجلوسه الى مائدتنا ليتعشى معنا ·

وهو لا يكتفى بأن يمنحنا ذاته ، بل انه ليصر على أن نعطيه ذواتنا ·

ألم نكن قبلا غرباء ، فكيف بنا وقد صرنا ، الآن ، أحباء ؟ ! ·

ألم يكن هناك باب مغلق يحول بيننا ، فكيف بنا الآن وقد ضمتنا معه مائدة واحدة للعشاء ؟ ! ·

وبعد ، فقد أوضحنا بما فيه الكفاية أن المسيح اذ أراد الدخول فانما ليكون مخلصا لنا ·

والآن ، نراه وقد أراد الدخول ليكون ربا لنا وسيدا · ويصير بيتنا تحت امرته ، فيتولى بنفسه « ضبطه وربطه » وتنظيمه ، وتدبيره ، والهيمنة على كافة أموره ·

والمهم ، أن نفهم تماما هذه الحقيقة : انه لن يكون من معنى لأن نفتح له ، ما لم نكن راغبين من كل القدرة ومن كل الفكر ، ومن كل القلب ، فى هذا ،

وراغبين بالأكثر فى أن نسلم له حزمة المفاتيح التى تفتح له كل باب فى البيت حتى تتاح له حرية الحركة والتنقل بين حجراته • أو كما سأل أحد الشبان مستنكرا : « ولم هذه الحزمة من المفاتيح وأنا أستطيع أن أسلمه « المفتاح السيد » (وهو تعبير انجليزى يراد به ذلك المفتاح الذى يصمم بحيث يغدو صالحا لأن تفتح به الأبواب جميعا » ! •

فعلينا اذن أن نتوب التوبة الصادقة التى تحصننا ضد كل ما لايرضيه •

أيكون ذلك باصلاح انفسنا قبل أن ندعوه ؟ على العكس • فاننا بسبب عجزنا عن اصلاح ذواتنا تكون دعوتنا له ، وترحيبنا بأى اصلاح يرى هو احداثه بنا ، دون أية مقاومة منا أو املاء لشروط من جانبنا • بل **ليكن خضوعنا للرب يسوع مطلقا ، وطليقا من كل القيود •**

أتراك مترددا ، بعد كل هذا ؟ ربما ! بل وانى لا أستبعد ان تسأل مستنكرا • **أيعقل أن أخضع ليسوع خضوعا أعمى فأكون كمن يوقع (شيكا على بياض) » ! !** • نعم • وهذا للأسف ما تفعله فى أكثر من شأن من شئونك ، بينما أنت لا تستطيع أن تضمنه أو تطمئن اليه بقدر اطمئنانك للسيد المسيح ! • وخذ مثلا موضوع الزواج : وانظر كيف يضع كل من الزوجين نفسه تحت تصرف الآخر دون ما شروط أو قيود ، بينما هما لا يعلمان ماذا يخفيه لهما الزمان ! • وعلى الرغم من ذلك يظل أحدهما يثق بالآخر ، ويحب الآخر ؟ ! • بل انظر اليهما وهما يتعاهدان على الوفاء منذ اللحظة الأولى لزواجهما ، مؤمنين على عهدهما بما يشبه أن يكون تعهدا أمام شهود زواجهما ، فيتعهدان « بأن يكونا معا فى السراء والضراء ، فى الغنى والفقر ، فى الصحة والمرض • وأن يظل كل منهما للآخر حتى يفرقهما الموت » •

فان جاز للناس أن يثقوا هكذا بالناس ، وللبشر أن يأمنوا هكذا للبشر ، أفلا تكون ثقتنا بالله أعظم ؟ أجل ! وانه لمما يكون أكثر مسايرة للمنطق والعقل ، أن يسلم الانسان نفسه لمخلصه وفاديه ، من أن يسلمها لانسان مثله ، مهما كان من ايثاره وتفانيه ! •

فالمسيح وحده هو من لا يخون العهد ، أو يكذب الود ، أو يخيب الظن ، لمن يكل اليه أموره ، ويسلمه قياده ! ؟

+ والسؤال الخامس ـ وماذا ينبغى أن نفعل ؟

جواب : ان أول ما يجب أن نفعله ، هو أن نسمع صوته ، وانه ليس أدعى الى الأسف من أن نعيره ما يشبه الآذان السامعة ولكنها لاتسمع ، حتى اذا ماكانت

لنا الآذان التى تسمع ، فاننا نغرق همسات دعوته فى خضم من الصخب والضوضاء حتى لا نسمع ! ! ومع ذلك فعلينا أن ندرك بأن صوته قد يصل الينا من خلال وخزة لضمير ، او نبضة لفكر ، أو فى ثنايا أمل قد خاب ، أو جوع قد ألح ، أو مرض قد وفد ، أو خوف قد دهم ٠٠٠ أن صوت المسيح قد يأتينا عن طريق حديث عابر لصديق ، أو فى طيات عظة لواعظ ، أو خطبة لخطيب ، أو مقالة لأديب ٠٠٠ والمهم اننا متى سمعنا صوته ، فلا نقسى قلوبنا أو نصم آذاننا لأن « من له آذان للسمع فليسمع » هكذا يقول الرب يسوع ٠

٢ ــ فاذا ما سمعنا صوته ، وأصغينا لقرعه ، تعين علينا أن نبادر فنفتح له ــ لا باب البيت فحسب ــ وانما أيضا باب القلب !

وفتح الباب ، كما لابد ان نعرف ، هو الأسلوب التصويرى لعمل الايمان به كمخلص ، وعمل التسليم له كرب ؟

● فأولا هو عمل محدد : فالنص يعنى ، فى الأصل ، أن الباب لا هو بالمفتوح ، ولا هو « بالموارب » ٠٠ وانما هو مغلق ، ولابد من أن يتقدم انسان ما ليفتحه ! ٠

ولكن المسيح لا يستطيع أن يفتحه من الخارج (هكذا تعمد الفنان أن يكون تصميم الباب) اذ ليس للباب من الخارج رتاج أو مزلاج ، واذن فلا مفر من أن يكون هذا كله من الداخل ، حتى اذا ما قرع المسيح الباب ، كان علينا « نحن » أن نفتح لاستقبال الضيف (ولم لا نقول صاحب الدار الحقيقى ، فنحن لسنا الا مستأجرين ؟ !) ٠

● وثانيا هو عمل فردى ، ويسأل كل فرد عنه لأنه « ان سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل اليه ، وأتعشى معه ، وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠)

واذن ، فعلى كل فرد فينا أن يحسم بنفسه أمره ، وأن يتخذ قراره ، فالخطوة الأولى له هو وليست لآخر ينوب عنه ! حقا قد يكون فى وسع الآباء ، والمعلمين ، والرعاة ، الارشاد الى الطريق ، ولكن ستظل يدك ، ويدك وحدها ، هى التى يجب أن تدير المزلاج ٠

● وثالثا هو عمل فريد ، لا يكون الا مرة وينتهى فلا يتكرر ٠ والباب اذ يفتح ، يدخل الرب ، ويغلق الباب ٠٠٠ وهذا هو ما أوضحه لنا فى

مثل العذارى الحكيمات (١) · حين « جاء العريس ، والمستعدات دخلن معه العرس ، وأغلق البـاب » (مت ٢٥ : ١٠) ·

ويجب أن نثق بأن المسـيح مذ يدخـل البيت ، فانه لا يفـكر مطلقـا فى تركه · فليكن مقامه فىبهو الاستقبال ، أو فى « الكرار » ، فانه لايتركك لأنهوعد فقال : « لا أهملك · لا أتركك » (عب ١٣ : ٥) فهل من مطلب لك فوق هذا ؟ بالمقطع لا · لأن كل ما عداه باطل ! ! ·

وانى اذ أتحدث اليك بهذا ، فانى لا اقصد مطلقا أن أدخل فى روعك بأنك سرعان ما تفتح البـاب حتى تصير ملاكا نورانيا مطهرا ، أو انســانا كاملا مبررا ، فى لمح البصر ! انك حقا تصير مسيحيا فى لحظة ، لأنك بفتحك الباب تسمح ليسوع أن يدخل اليك ، فينظفك ، ويطهرك ، ولعل هذا كله أن يتم فى ثوان ··· ولكن لكى تصير مسيحيا ناضجا متجددا ، ولكى تصاغ حيـاتك فى القالب الذى يريده الله لك ، ·· **فان هذا كله يستلزم وقتا طويلا ، وجهادا مستميتا ، فى سهر وفى يقظة دائبين !** ·

ولأضرب لك مثلا بالعريس وعروسه لأن شأنك هو شأنهما : ان الزواج بينهما يتم فى دقائق ، لـكن ارادة أحدهما تظل تصـطرع مع ارادة الآخر ، فتتراوحان بين مد وجزر ، وذبذبة من يسار ليمين ، ومن يمين ليسار ، وهكذا قد تتفقان ، وقد تتنافران ··· حتى يتهيأ لهما اخـيرا الاستقرار والانسجام ، فتتآلفـان ! ! هكذا الشأنمع تسليمنا للمسيح· فهو يتم غالبا فجائيا ومباغتا ، فى حين يتدرج التوافق والتلاؤم ، مع ارادة المسيح ، حتى ينضجان ·

● **ورابعـا هو ، عمل اختيارى** ، لا يحتاج منك الى ملائكة تهبط اليك ، أو ألسنة من النـار تستقر عليك ··· مطلقا ! فالمسيح جاء الى العـالم ، ومات من أجلك ··· وها هو يجىء الآن ، ويقف على باب حياتك ، وانه ليقرع ··· فهل لك عليه بعد ذلك ، من مزيد ؟ واذن فالخطوة التـالية لك ، والنقلة الآتية منك ··· وأن تكن يده هى التى امتدت لتطرق ، فان يدك هى التى يجب أنتمتد فورا لتفتح وتستقبل ·

● **وخامسا : هو عمل عاجل** · واذن ، فعليك ألا تطيل الانتظار ·· فالوقت يمر ، بل انه ليفر ، بل انه ليطير ! والمستقبل مجهول ·· وليس لأحد

---

(١) الاشارة الى هذا المثل لم ترد أصلا فيما كتبه المؤلف ، وانمـا أتى بها المعرب لمسايرتها وما ورد بالأصل من سياق ·

أن يتنبأ به • وليس لأحد أن يضمنه • وقد لا تجد أمامك فرصة هى أنسب من هذه الفرصة التى تعرض لك الآن• وليس لك أن تعتمد على غد آخر تستطيع أن تفاخر به « لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم » (امثال ٢٧ : ١) • وها هو ذا الرسول يعلمك أنت ومن هم على شاكلتك فيقول : « ان سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم كما فى الاسخاط ، يوم التجربة فى القفر » (عب ٣ : ٧) •

فلعاك ــ بعد هذا الذى قرأته ــ أن لا تؤجل أو تماطل ، بغية أن تصبح فى غدك خيرا منك فى يومك ، ومستحقا أكثر لدخول المسيح الى بيتك ! ولعله يكفيك أن تؤمن بأن المسيح هو ابن الله الحى ، وانه قد جاء ليهديك ، ومات عنك ليفديك ••• وأما ما خلا ذلك فسيجىء فى دوره ، ومتى حان حينه • أنك قد تجد الآن من يحذرك من العجلة « لأن العجلة تصحبها ندامة » ••• ولكننا ، بدورنا ، نحذرك من التسويف وما يمكن أن يتمخض عنه من وبال وخسارة ! •

فاذا ما أحسست أن شيئا فى باطنك يهيب بك أن تفتح ليسوع باب حياتك ، فانى أنصحك ألا تؤجل مهما يكن زمن هذا التأجيل ، وسيان أن يكون للحظة ، أو لبرهة ، أو لما لا يتجاوز طرفة العين ! •

● **وسادسا : هو عمل لا غنى عنه • لأنك اذ تفتح قلبك لمخلصك ، تكون قد بدأت الخطوة الأولى على الطريق ، وستتلوها ، بطبيعة الحال ، خطوات ••**

فأنت تستطيع أن تؤمن عقليا بيسوع ، وأن تعجب به وتنبهر •••

وتستطيع أن تمارس صلواتك على الأسلوب الذى علمك : تدخل مخدعك ، وتغلق بابك ، وتصلى الى أبيك فى الخفاء •••

وتستطيع أن تصنع الصدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك •••

وتستطيع أن تصدر عن كل ما هو جميل ، وجليل ، ونبيل • فتقطر طيبة ، وتذوب رقة ، وتفيض عذوبة •••

وتستطيع أن تتبحر فى شئون الدين ، وتصير عالما من علماء اللاهوت ، بك يؤتم ، وعندك يلتمس الارشاد والتحكيم •••

كل هذا أو بعضه مما قد تستطيعه ••• ومع ذلك فشيئا منه لن يغنى عنك، اذا أنت لم تفتح بابك ! ! بل انك لتغدو ــ اذا أنت لم تفعل ــ فاترا وكنحاس يطن أو صنجا يرن » •

والآن فالسؤال الهـام الذى أريد أن أسألك : هل أنت مسيحى ؟ وهل أنت هذا المسيحى الذى يسلم بالكامل ذاته ليسوع ؟ ولعلك أن تكون قد لاحظت أنى لم أسألك اذا ما كنت تذهب الى الكنيسة أو لا تذهب ؟ تحفظ قانون الايمـان أو لا تحفظ ؟ تشترك فى اجتماعات الكنيسة أو لا تشترك ؟ تسهم فى أعمـال البر أو لا تسهم ؟ تصوم أصوام الكنيسة أو لا تصوم ؟ تعشر أموالك وباكورات غلاتك ، ومعاصرك ، وأثمارك ، أو لا تعشر ؟ ٠٠٠ ان كل هذا حيوى ومهم ٠٠ ولكن أهم منه كله ، أين يقف المسيح من باب قلبك ، بل من جماع حيـاتك ؟ أيكون فى الداخل حيث هناك متكؤه معك ، أو ما يزال فى الخارج حيث تركته « تمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل » ؟ أو لا يتوقف على الاجابة عن هذا السؤال كل شيء ؟ ! ! ٠

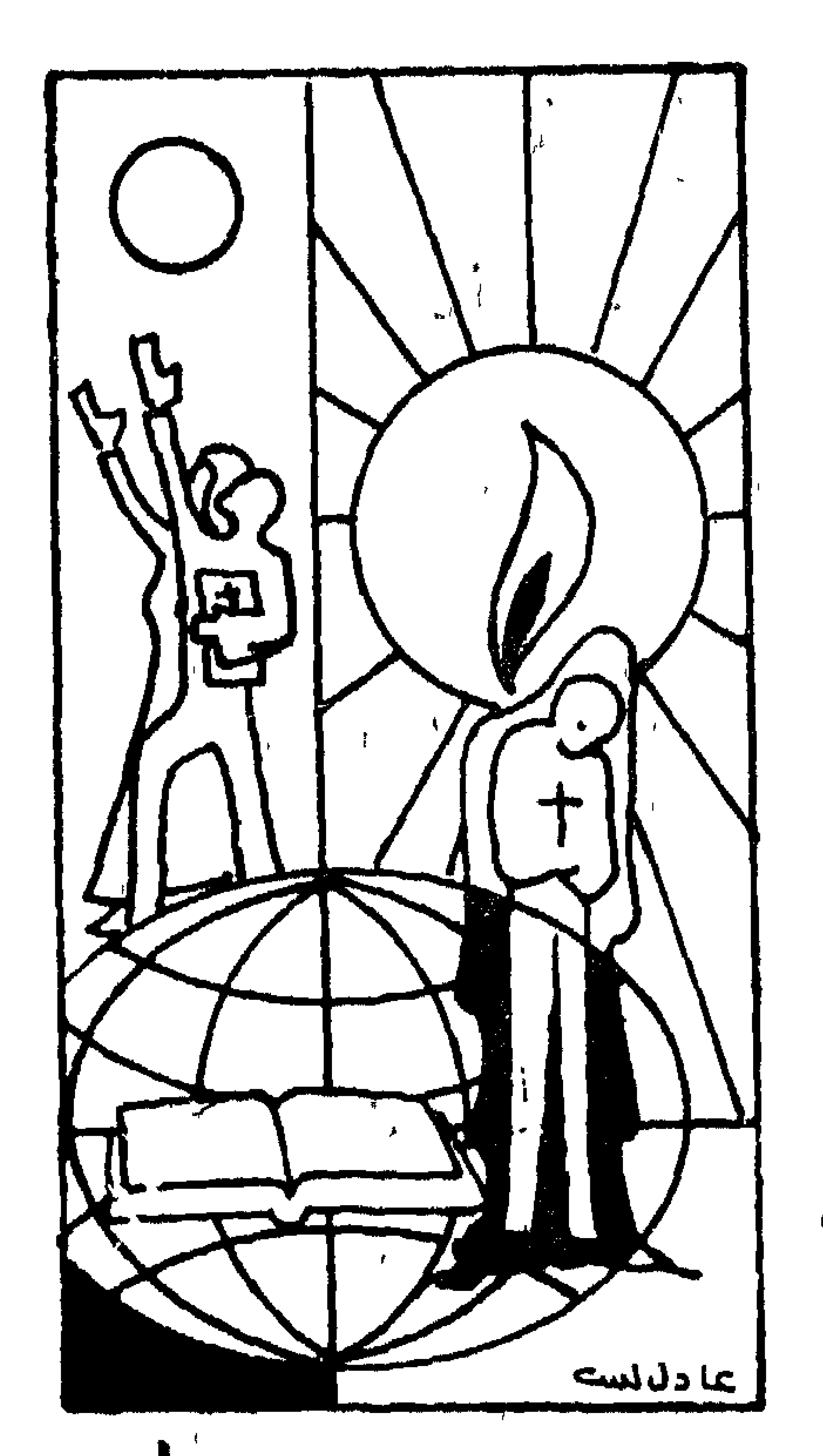
فان تكن ما تزال فى مرحـلة التأرجح بين أن تتخـذ ، بفتح البـاب ، أو بتركه مغلقا ، قرارك ٠٠٠ فنصيحتى اليك « أن تجلس أولا وتحسب حساب النفقة » ، فتختبر ذاتك ، وتستوثق من ارادتك ، وتعجم عود صلابتك ، قبل أن تتخذ قرارك ، والا كنت كمن « يضع الأساس ، ولا يقدر أن يكمل » ! ! ومن ثم تصير هدفا للسخرية ، وتذهب مثلا فى الغفلة والحماقة ! ! ٠

فاذا ما تأكدت ــ بعد اختبارك الدقيق لنفسك ــ من صـدق عزيمتك ، فاخل بنفسك للصلاة ، واعترف لأبيك بخطاياك ، واشكر يسوع الذى خلصك وفداك ٠٠٠ ثم ٠٠٠ افتح له البـاب فورا ، واسـأله ، ضـارعا ، أن يتنازل فيدخل بيتك ٠٠٠ ثم ناجه بمثل هذه الصلاة : « ربى وسيدى وفادى : اعـلم أنى غير مستحق ، ولكنى أجيئك نادما ، ومصمما على طرح خطيتى عنى بكل ما يطيقه كيانى ٠ وانى اؤمن يا ربى بعظم ما قدمته من أجلى ٠ فتقبل عرفانى وشكرى ٠ وتعال لتتسلم زمام نفسى ٠ واجعلنى أهلا لأن أخدمك ، واخدم معك سائر اخوتى ــ آمين » ٠

وبعـد ، فلتكن واثقا من أن يسـوع دائما عند كلمتـه ٠٠٠ وأن حرفا واحدا منها لن يزول ٠ ولتؤمن بأنه سيفى لك بوعوده وعهوده عندما يقول : « ان سمع أحد صوتى ، وفتح البـاب ، أدخل اليـه وأتعشى معـه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) ٠

« وان أحبنى أحد ، يحفظ كلامى ٠ ويحبه أبى ٠ واليه نأتى ٠ وعنـده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢٣) ٠

+ + +



الفصل الحادى عشر

١١ ماذا وراء كونك مسيحياً"

- امتيـازات أولاد اللـه ٠
- مسئوليات أولاد اللـه ٠

الفصـل الحادى عشر

ماذا يعنى أن تكون مسيحيا ؟

هـذا هو الفصـل الأخير من الـكتاب ، وقد كتب من أجل أولئك الذين فتحوا أبواب قلوبهم للرب يسوع ، لأنهم ، وقد أسلموا ذواتهم له ، فقد بدأوا رحلة الحياة المسيحية معه · ولكن ثمة فرق بين أن يصير الانسان مسيحيا ، وبين أن يكون بالفعل مسـيحيا ··· بين أن يغـدو مسيحيا بحـكم اعتناقه للمسيحية ، وبين أن يحيا الحياة المسيحية فى أصالتها وروعتها ، وفى جلالها وكمالها ·

وبعـد فما الذى يستلزمه أن تكون مسيحيا ؟ هذا ما سنقصر حديثنا عنه فى هذا الفصل ·

انها من جانبك لم تكن سوى خطوة واحدة · فالذى فعلته ، بكل بساطة، لم يتجاوز حتى الآن ، دعوتك للمسيح الى الدخول الى قلبـك أما هـو فمـذ دخوله اليه ، أحدث عملا معجزيا بك · فقد أعطاك حياة جديدة ، وأتاح لك أن تولد الولادة الجـديدة ، وصيرك فردا فى أسرته ، ورضى لك أو بك أن تنتسب الى أهل بيته ، وجعلك ــ وبايجاز وتركيز ــ ابنا له · ولعلك لم تحس احساسا واعيا بالتغيير العظيم الذى حدث لك عند هذه الولادة الروحية الجديدة ··· وهل كنت تحس شيئا عندما ولدت بالجسد ؟ ! ·· ومع ذلك فأية تغييرات تلك التى حدثت لك أو بك ؟ ألم تصيرك الولادة الجسدية ، ومنذ اللحظة الأولى لخروجك الى الوجود ، كيانا جديدا مستقلا ؟ على هذا القياس نفسه قد جعلتك الولادة الجديدة التى هى من فوق : خليقة جديدة فى المسيح ·

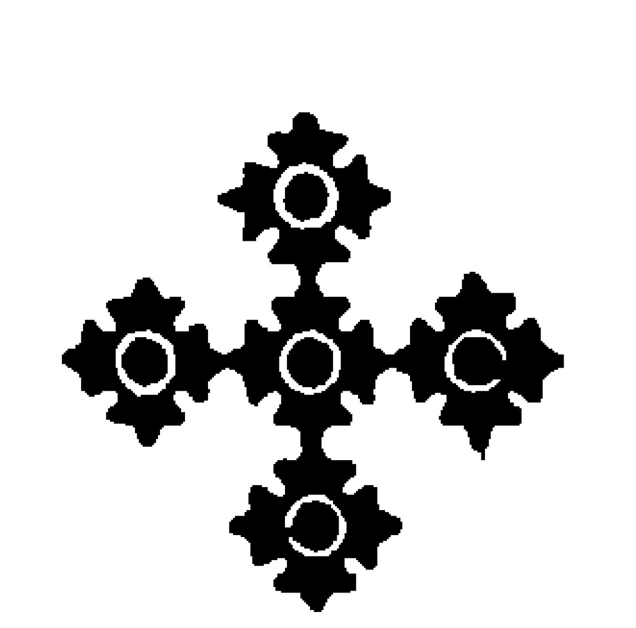
ولعلك ان تسأل ، وبماذا تميزت عن سـائر النـاس ، أوليس اللـه أبا للجميع ، والجميع له أبناء ؟ ان الأمر ليس بهذه البسـاطة ·· « فالـكتاب » نفسه يميز فى وضوح ، بين أبوة الله العـامة التى تمتد الى جميع من خلقهم، وأبوته الخاصة التى هى حق من حقوق ، وامتياز من امتيازات ، هؤلاء الذين ولدوا ثانية فى المسيح ··

انه حقا خالق الجميع ، ولكنه أب فقط لأولئك الذين قبلوا يسوع مخلصا ٠

وقد أوضح لنا يوحنا الحبيب هذا (فيما يعتبر بمثابة المقدمة لانجيله) اذ قال : « الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله ٠ وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله » (ا : ١١ : ١٣) ٠

واضح مما تقدم ، أن الذين قبلوه ، والذين آمنوا باسمه ، هم المولودون من الله ، فان يكونوا بالحقيقة قد صاروا أولادا لله ، فلأنهم ولدوا من الله ، أما لماذا أعطى لهم أن يولدوا من الله ، فلأنهم قبلوا المسيح فى قلوبهم ، وتوجوه ملكا على حياتهم ٠

وبعد ، فاذا ما أردنا أن نفهم ماذا يعنى أن نكون مسيحيين فى ضوء تعاليم « الكتاب » وجب أن نتعرف ، أولا ، الى امتيازات أولاد الله ، وأن نتعرف ، ثانيا ، الى مسئوليات أولاد الله ٠



أولا ـ امتيازات أولاد الله

وفى الحق أنه يكفى الذين ولدوا من الله ، أن يحظوا بهذا الامتياز الفريد ، وهو انتسابهم لله ، وانتماؤهم (بعلاقة البنوة) لله . فما عساها أن تكون هذه العلاقة ؟ .

● أولا ـ هى علاقة وثيقة وعميقة :

ألم نعرف ، فيما قدمنا ، كيف فصلتنا الخطية عن الله ، وقامت سدا فاجبلا بيننا وبينه ؟ ولكن .. ها هو ذا الآن السد قد تهدم ، « والحاجز المتوسط قد نقض » وتهاوى ، والسحابة التى حجبت عنا النور زمانا قد تبددت وذابت .

وها بولس الرسول يصفنا بأننا كنا تحت الدينونة العادلة لقاضى الأرض كلها وديانها ، ولكننا الآن قد تبررنا فى المسيح يسوع ، وعدنا الى مكان البنوة من الله . ذلك أن دياننا صار أبانا ! « فانظروا أية محبة أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله ؟ » (١ يو ٣ : ١) .

ان يسوع ـ فى حديثه عن الله ـ خصه بلقبه المميز : « الاب » ، ثم خص ذاته عند حديثه عن نفسه بلقب « الابن » .. ومع ذلك ، فقد أذن لنا نحن أن نستخدم اللقبين معا ، وكأننا شركاؤه فى علاقته هذه الوثيقة بالاب ! .

وقد نوه أحد أساقفة قرطاجنة فى القرن الثالث للميلاد بهذا الامتياز الذى صار لنا فى رسالة له عنوانها « الصلاة الربية » فقال « عظيم هو تسامح الله ، بل عظيمة هى سماحته ، وكثيرة وغزيرة هى البركات التى يفيؤها علينا ، حين يعلن لنا عن ارادته فى أن ندعوه ـ كلما صلينا ـ « أبانا » ؟ وهل كنا نستطيع أن ننطق بهذا اللفظ فى صلاتنا لو لم يكن هو الآذن لنا به ، حيث جعلنا اندادا لابنه ، وعلى نفس المستوى معه » ! ! .

فاذا ما وصلنا الى هذا الحد من علاقتنا بالله ، كان لنا دون ما خشية ، أن نتلو الصلاة الربية ، ودون ما حرج من أن تتحول صلاتنا الى كلمات جوفاء كما لعلها كانت من قبل ! .

نعم ! انه قد صار لهذه الكلمات الآن « نكهة » خاصة وطعما مميزا ، بل وصارت نبعا لفيض من المعانى السامية الكريمة ، وصار ربنا هو من ندعوه، بحق ، « أبانا » ، وصارت احتياجاتنا فى مكان القبول منه حتى قبل أننسأله٠٠ بل انه ليربأ بنا أن نسأله أمرا يتصل بمأكلنا ، أو بمشربنا ، أو بملبسنا « لأن هذه مما تطلبها الأمم » أما أبوكم فانه « يعلم أنكم تحتاجون الى هـذه كلها » (مت ٦ : ٣٢) ٠٠٠ ثم ها هو ذا يستخدم منطق البشر معنا فى اللغة الـتى نفهمها : « فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه ؟ » ٠

حقا انه قد يعمد ـ ولحكمة يعلمها ـ الى تأديبنا ، ليقوم ما لعله قد أعوج منا ، لأن « الذى يحبـه الرب يؤدبه » (عب ١٢ : ٦) « وكأب بابن يسر به » (ام : ٣ ـ ١٢) ٠٠٠ ومع ذلك فلنطمئن ٠ فعصا التأديب هذه انمـا يمسك بها أب هو الحب كله ، والرحمة كلها

● وثانيا ـ هى علاقة اكيـدة:

ان علاقة المسيحى بربه ، هى كعلاقة الابن بأبيه من حيث القوة والشدة ٠ فهى ليست وثيقة فقط ، بل هى مضمونة أكيدة كذلك٠ وهنا يقفز الينـا هـذا السؤال : « وكيف يتاح لنـا أن نعلم بأن هذه العلاقة قد تأصلت ، وتثبتت ، ثم تأكدت وتوطدت ؟ » نعـم ! كيف لنـا بأن نعلم ؟ ونبادر فنقول بأن الله بنفسه يريد لنـا أن نعلم ٠٠٠ وها معلمنا القديس يوحنا يقول فى رسـالته الأولى مبصرا لنـا بهذه الحقيقة : « كتبت لكم هذا أنتم المؤمنين باسم ابن الله ، لكى تعلموا ان لكم حياة أبدية ٠

ولكيما « يتأكد » المسيحى ، فانه لا يكفى أن يقيس الأمر بمقياس مشاعره هو وأحاسيسه ٠ ذلك أن الـكثيرين من حديثى الايمان ، اذ يعتمـدون على أحاسيسهم ـ وهى غير ثابتة فى حد ذاتها أو مستقرة ـ يجعلون أنفسهم ألعوبة لهـا ٠ فتارة « يشبه » لهم أنهم غدوا قريبين من الله ، وتارة يخيل اليهم أنهم قد غدوا بعيدين ـ كل البعد ـ عنه ٠ أما محك معرفتنا عن علاقة بنوتنا للـه ، فلن يكون شخصيا ٠ انه محك موضوعى ٠ وأن مرجعه ليس الى مشاعرنا ، وانمـا مرجعه الى ما يتحدث به الله الينا ٠ فلنمتد ، اذن ببصائرنا وبصيرتنا الى فوق لنتعرف الى كلمة الله فى الموضوع ٠٠٠ واذ نفعل نجد أن كلمة الله هى التى تؤكد لنـا بنوتنا نحن له ، وعلى المثل ، أبوته هو لنـا ٠

فأين عساها توجد هذه الكلمة التىتؤكد لنـا أننا فى مكان البنوة من الله ؟

(١) انهـا موجودة فى « الكتاب » :

ان وعد الله المكتوب هو أن يعطينا ، نحن الذين قبلنا يسوع ابنه ، حياة أبدية ٠ « وهذه هى الشهادة ، ان الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحيـاة هى فى ابنه ٠ من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله ، فليست له الحياة » (١ يو ٥ : ١١ ـ) ٠

فان نؤمن متواضعين بأن لنـا الحياة الأبدية ، فليس ايماننا من قبيـل الحدس والتخمين ٠٠ بل انه ليس (كما قد نتصور) ضربا من ضروب الزهو والخيلاء ، أو التشامخ والكبرياء ، أو ـ على الأقل ـ نوعا من الادعاء ٠٠٠ ليس الأمر كذلك بحال ٠٠ فايماننا بكلمة الله هو التواضع عينه ، وليس هو من قبيل المين والافتراء ٠ انه يقين ، وليس هو من قبيل الحدس والتخمين ٠ أما الشك فهو حماقة ٠ وهو خطية ٠٠ لأن من لا يصدق الله « فقد جعله كاذبا ، لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه » (١ يو ٥ ٠ ١١ ـ) ٠

« والكتاب » ملىء بمواعيد الله المستقيمة ، السخية ، الصالحة ، لنا ٠ والمسيحى الحكيم الصالح والمستقيم هو من « يخبىء » هذه المواعيد فى قلبه ٠٠ حتى اذا ما انتابه شك ، أو سقط صريع ريبة ، سارع الى هذه المواعيد الالهية ، لأنه بفضلها يستطيع أن يرقى من حيث هوى ٠

واليك طائفة من هذه المواعيـد ٠ وهى حقيقة بأن يتأملها المؤمن ، وأن يضع قلبه عليها :

- « كل ما يعطينى الآب ، فالى يقبل ٠ **ومن يقبل الى لا أخرجه خارجا »** (يو ٦ : ٣٧) ٠
- « وأنا (أعطى خرافى) حياة أبدية ٠ **ولن تهلك الى الأبد ، ولايخطفها أحد من يدى »** (يو ١٠ : ٢٨) ٠
- « لم تصبكم تجربة الا بشرية ٠ ولـكن الله أمين ٠ **الذى لا يدعـكم تجربون فوق ما تستطيعون »** (١ كو ١٠ : ١٣) ٠
- «كونوا مـكتفين بمـا عنـدكم ٠٠ **لأنه قال لا أهمـلك ـ لا أتركك »** (عب ١٣ : ٥ ـ) ٠
- « **لا تخف لأنى معك** ٠٠ قد أيدتك ، وأعنتك ، وعضـدتك بيمـين برى » (اش ٤١ : ١٠) ٠

- « ··· ان كان أحدكم تعوزه حكمة ، فليطلب من الله **الذى يعطى بسخاء ··· فسيعطى له** » (يع ١ : ٥) ·

- « ان اعترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل حتى **يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل اثم** » (١ يو : ٩) ·

(ب) انهـا مسموعة فى قلوبنا :

ذلك أن محبة الله « قد انسكبت **فى قلوبنا** بالروح القدس المعطى لنا » (رو ٥ : ٥) ، ونحن قد أخذنا روح التبنى « الذى به نصرخ يا أبا الآب · **الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله** » (رو ٨ : ١٥ ، ١٦) ·

ان كل مسيحى يدرك – ولا شك – ما الذى تعنيه هذه الأقوال · أن شهادة الروح القدس الواردة « بالكتاب » تتأيد بشهادة الروح القدس الداخلية فينا ، والعاملة فى قلوبنا ، والتى تعمق – فى دأب – محبة الله داخلنا ، حتى لنندفع صارخين « يا أبانا » كلما طلبنا وجه الله فى الطلبة والصلاة ·

(ج) انهـا ظاهرة فى حياتنا :

فالروح القدس يشهد فى الكتاب المقدس ببنوتنا لله ، **ويشهد بهـا فى** قلوبنا ، ثم يختم عليها فى تصرفاتنا وسلوكنا · وما أن تتم لنا الولادة من فوق ، ونصير ضمن أسرة الله ، حتى يأتى الروح القدس ليسكن فينا ·· **وهو اذ يسكن فينا ، فانما ليمارس عمله ، على الفور ، فى داخلنا ، فيغير من مناهج حياتنا ، ووجوه سلوكنا** ، ولا يدعنا نعود فنسلك فى الظلمة ، وانما نسلك فى النور ، كما سلك المسيح ، بعيدين عن الخطية · وكيف يخطىء من أصبح من الله مولودا ؟ ان يوحنا الرسول يشير ، فى رسالته الأولى ، الى هذه المعانى السابقة فى قوله : « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة نكذب ، ولسنا نعمل الحق · **ولكن ان سلكنا فى النور ·· فلنا شركة بعضنا مع بعض** » (١) ٦ ، ٧) · ويقول أيضا : « من قال انه ثابت فيه ، **ينبغى انه كما سلك ذاك ، يسلك هو أيضا** » (٢ : ٦) · ويكتب : « **كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية** ، ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله » (٣ : ٩ ·

فلا يمكن ، والحالة هذه ، أن نعتبره مسيحيا ذلك الانسان الذى يعصى الوصايا ، ويقصر فى أداء الواجب نحو صحبه ، ورفقته ، واخوته فى الانسانية ·

ذلك أن قداسة الحياة ، ومحبة القريب ، هى أسمى السمات التى يتميز بهـــا أولاد الله ٠

● **ثالثــا ــ هى علاقة مستقرة ومضمونة :**

وحتى لا ننسى ، فقد ذكرنا أن علاقتنا بالله كامتياز لنــا نحن أولاده ، هــى :

١ ــ علاقة وثيقة عميقة ٠

وهى ٢ ــ علاقة وطيدة أكيدة ٠

وهى ٣ ــ (وكما سنذكر الآن) علاقة مستقرة ومضمونة ٠

فاذا فرضنا أننا ارتبطنا بالله هذا الارتباط الوثيق ، واذا فرضنا أننــا قد تأكدنا من قيام هذا الارتباط حسبما أكدته لنــا كلمة الله ، فالسؤال الذى يجابهنا الآن هو : هل هذا الارتباط ، أو هذه العــلاقة ، علاقة ثابتة مضمونة بحيث لا نكون حينا فى حالة قبول فى أسرة الله ، وحينا فى موقف الرفض من أسرة الله ؟ ! ٠

أما « الكتاب » فيؤكد لنــا أن هذه العلاقة لهــا صفة الدوام والاستقرار، ومن ثم تكون مضمونة ٠ وهذا عين ما يقوله لنــا بولس الرسول : « فان كنــا أولاداً ، فاننا ورثة أيضا ٠ ورثة الله ٠ ووارثون مع المسيح ٠ ان كنا نتــألم معه ، لكى نتمجد أيضا معه » (رو ٨ : ١٧) ٠

واذن ، فما الذى يحدث لو أخطأت ؟ ألا أكون ــ والحالة هذه ــ مدعيــا أو مغتصبا لبنوتى لله ؟ وأكون بمثابة الابن المزيف لله ؟ وأكون قد حكمت على نفسى بأنى لم أعد بعد هذا الابن ؟ ! والاجابة فى يقينى « كلا » ثم « كلا » ! ٠٠ ولننظر الى الأسرة الانسانية : فماذا يجرى فيها ؟ ان أحد شباب الأسرة قــد يتنكر لأبوية أو لأسرته ٠٠ فيغير منسلوكه نحو هؤلاء الذين يتنكر لهم ،وتتحول تصرفاته نحوهم من الأدب والطاعة ، الى التحدى والوقاحة ٠ ويصير جــو البيت مشحونا بالتوتر ٠ فتركد ريح التفاهم مثلا بينه وبين أبيه ، وتتعطل فيما بينهما لغة الكلام ! ٠

وهنا يقوم هذا السؤال : أيكون الابن ، فى هذه الحالة ، قد كف عن أن يكون ابنا لأبيه ؟ وهل تكون علاقة الأبوة قد توقفت ؟ مطلقا ! فالعلاقة ــ من أبوة أو بنوة ــ ما تزال قائمة لم يعتورها تغيير ما ، لأنها ترتكز علىآصرة الدم

والنسب والانتماء ٠ أما الذى تغير ، فانما هو أسلوب التعامل وطريقة الأداء٠ واقصى ما نقوله عنهما أنهما قد تعرضا لشيء من الفتور أو التصدع ٠٠٠ أما بنوة الابن وأبوة الأب ، فانهما ما تزالان كما هما فيما يتصل بهما معا : الأب والابن ٠ وما أن يعتذر الابن عن سلوكه النابى نحو أبيه ، حتى يسارع الأب بالصفح ، فيرتق الصدع ، وتلتئم الشركة بينهما ، وتعود المياه الى مجاريها ٠٠٠ أما علاقتهما ، التى هى علاقة الدم ، فانها ستظل كما هى لا ينال منها عقوق أو جحود أو عصيان ٠٠٠ وسيظل الأب أبا ، وسيظل الابن ابنا ، دون تعرض لتحول أو تغير أو نقصان ٠

هكذا الحال مع أولاد الله بالنسبة لله : لا يستطيع شيء أن يثلم العلاقة بينهم أو يصرمها ٠ انها حقا قد تتعرض لشيء من الوهن أو الضعف أو الفتور٠ ولكن ما أن نقر كأبناء بما كان منا من قصور ٠٠ وما أن نتوب عن هذا الذى صدر منا « حتى يغفر (الاب) لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل اثم » (١ يو ١ : ٩) ٠

وفى نفس المعنى يكتب يوحنا الرسول : « يا أولادى ! أكتب اليكم هذا لكى لا تخطئوا ٠ وان أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا » (١ يو ٢ : ١ ـ ٢) ٠

+ + +

ثانيا ـ مسئوليات أولاد الله

انهـا لميزة عجيبة وعظيمة ، أن تكون ابنا لله ٠ ولكنها ميزة لها ثمنها اذ تتقاضاك واجبات ، عليك أن تلتزم بها ليتحقق لك امتيازك ! ولعل بطرس الرسول كان يشير الى هذا حينما قال : « وكأطفال مولودين الآن ، اشتهوا اللبن العقلى العـديم الغش لكى تنموا به » (١ بط ٢ : ٢) ٠

فان كان من حق ذاك الذى صار ابنا لله أن يتلذذ ويستمتع ببنوته له ، وأن يفاخر بنسب صار له شرف الانتماء اليه ، فان من أكبر مسـئولياته أن يظل جاهدا حتى ينمو فى القداسة ومعرفة الله ، يوما بعد يوم ، حتى يظل جديرا بهذا اللقب الكريم الذى صار له ٠

وهل يوجد منا من يكره الأطفال ؟ ومع ذلك فنحن لا نحب لهم أن يظلوا أطفالا ! بل اننا لنعدها مأساة ان ظلوا ! فنحن نريد لهم أن ينموا ، وأن يخلفوا مرحلة الطفولة ـ فى الوقت المناسب ـ وراءهم ٠ وهكذا الشأن فى الحيـــاة الروحية ٠ فالنكوص الروحى مأساة ، والردة الروحية كارثة ٠٠٠ لأن قصد الله أن يصير كل واحد من هؤلاء « انسانا كاملا فى المسيح » ٠ من أجل هـذا يكتب بولس الرســول لأهــل كولوسى : « وأنتم الآن الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء ٠٠٠ قد صالحكم الآن ٠٠٠ ليحضركم قديسين وبلا لوم ٠٠٠ ان ثبتم على الايمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين من رجاء الانجيـل ٠٠٠ الذى صرت أنا بولس خادما له ٠٠ منذرين كل انسان ومعلمين كل انسان بكل حكمة لكى نحضر كل انسان كاملا فى المسيح يسوع » ٠

فولادتنا من فوق ، يجب أن يتبعها نمونا فى المعرفة ٠ وتبريرنا وقبولنا أمام الله ، يجب أن يتبعه نمونا فى القداسة ٠

وكما ترى ، فهناك مجالان للنمو المسيحى : أن ينمو فى المعرفة ، وأن ينمو فى القداسة ٠ ذلك أنه حين يبدأ أولى خطواته فى الحياة المسيحية ، فان معرفته تكون جد محدودة ٠ ومن هنا كان لزاما عليه « أن يكون مثمرا فى كل عمـل صالح ، وناميا فى معرفة الله » ، وناميا كذلك « فى النعمة ، وفى معرفة ربنـا يسوع المسيح » (كو ١ : ١٠ ، ٢ بط ٣ : ١٨) ٠

ان هذه المعرفة ذات شقين : عقلية وشخصية · أما المعرفة العقلية فتستوجب أن يقرأ المسيحى « الكتاب » وغيره من الكتب الدينية الصالحة ، لأن الجهل ، ومثله الفهم الناقص ، يجعل من الحياة المسيحية طريقا مرصوفا بالأشواك ، محفوفا بالمصاعب ·· أوليس الحرف يقتل ؟ أجل ! وكم هم هؤلاء الذين يقتل ؟ ! ·

كذلك من واجب المسيحى أن ينمو فى القداسة · وفى هذا المجال كم يتحدث الينا « الكتاب » مطالبا لنا أن ننمو فى الايمان بالله ، ومحبتنا للأخوة ، وتمثلنا بالرب يسوع ؟ ! ·

ان الحياة المسيحية هى حياة بر · ومن أهم سماتها أن نحفظ فرائض الله ، وأن نعمل حسب ارادته · من أجل هذا كانت عطية الله لنا بالروح القدس ، الذى جعل من أجسادنا هياكل لسكناه · وكلما سمحنا له أن يسكن فينا وأن يملأنا بالنعمة أكثر فأكثر ، فانه يتجاوب معنا ، مبطلا رغباتنا الشريرة ، لتحل محلها ثمار الروح التى هى « محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، ايمان ، وداعة ، تعفف » (غل ٥ : ١٦ ، ٢٢) ·

ولكن كيف ننمو ، وما هو سر النجاح ؟ ·

هناك مسئوليات ثلاث كبرى على كل ابن لله أن يلتزمها وأن يقوم بأدائها ··· وهذه هى المسئوليات أو الواجبات :

● ١ ـ فالواجب الأول هو واجبنا نحو الله :

فعلاقتنا بأبينا السماوى ، وأن تكن وطيدة مأمونة ، الا أنها غير مجمدة أو راكدة · ولذلك فهو يريد لأولاده ، فى غيرة وحرارة ، أن ينموا لتزداد معرفتهم به أكثر فأكثر ·

وقد تعارف المسيحيون فى كل العهود ، على أن الطريق الى نمو هذه المعرفة يكون فى تخصيص وقت كل يوم للتأمل الهادىء وللصلاة · وليكن هذا الوقت ، على الأقل ، عند صحونا (لتكون باكورة اليوم للرب) وعند نومنا (لتكون خاتمة يومنا للرب) · وهذا ضرورى الى أبعد حد لكل من يبتغى النمو والتقدم الروحى ·

ومع التسليم بأن مشغولياتنا غدت فى أيامنا هذه كثيرة ومتشعبة ، الا أننا بلا عذر ، والموقف يقتضى منا ، على كل حال ، بعض المراجعة لتقديم الأهم على المهم ، بحيث نستطيع أن نستخلص وقتا للتأملات الروحية ، بشرط

أن نأخذ أنفسنا بالحـزم حتى تتكون هـذه العـادة وتتأصـل ، وبذا تستقيم أمورنا وتستقر · على أن هذا الوقت الذى سيخصص للتأمل الهـادىء ، ينبغى أن يكون من شطرين : يخصص أحدهما لقراءة « الكتاب » قراءة منظمة هادفة، ويخصص ثانيهما للصلاة · حتى تتوفر لنـا الفرصة التى يتحدث فيها اللـه الينـا عن طريق كلمته ، والفرصة التى نتحدث فيها نحن الى الله ونسـمعه صوتنا بالصـلاة ·

وحتى تكون القراءة منظمة فانها يجب أن تستهل بالصلاة · فنطلب الى روح الله القدوس أن يفتح لنـا بصيرتنا وأبصارنا ، لتكون قراءتنا متأنية قائمة على حصر الفكر والتأمل ··· والتصارع مع ما نقرأ ، لكى يفضى الينا بـكل مكنوناته ··· حـتى اذا ما أعيانا تفسـير قول أو عبـارة ، اسـتعنا بالتفاسير والتراجم ، حتى ينفتح ما يكون قد استغلق علينا · ثم نحاول أن نطبق كلمة الله التى قرأناها على ظروفنا ، باعتبارها رسالة وجهت الينـا قصدا ، ثم نبحث فيها عن المواعيد التى تقدمها لنـا ، والوصايا التى تسوقها الينـا ، والمثل التى تريد لنـا أن نحتذيها ، والخطايا التى لا يصح أن نسقط فيها ··· ويا حبذا لو أننا استعنا بمفكرة نثبت فيها ما عساها أن تـكون قد علمتنا كلمة الله ··

ثم علينا أن نتبع هذا كله بالصلاة · لأن الله اذ يحدثك فهو يريد ، بدوره ، أن يستمع اليك فيما حدثك بشأنه · فان كان حـديثه اليـك عن ذاته ، وعن أمجاده ، فلا تتجه بالحديث وجهة أخرى ، واعبده ··· وان كان حديثه عنك وعن خطيئتك ، فلتعرفها لتتوب عنها · ثم اختم على كل ذلك الذى أعلن لك ، بالشكر لله والاشادة باسمه ·

انك اذ تصلى صباحا فانما لتسلم كل عملك اليومى لله · واذ تصـلى مساء ، فانما لتسرد عليه كل ما كان منك فى يومك ، وما يمكن أن تكون قـد أثمت فيه ، فتسأل الصفح عنه ، ولتسـتعرض البركات التى نلتها فتشـكره عليها ، ولتذكر من قابلت من الناس فتصلى من أجلهم · ولن تكون الصـلاة قاصرة ، بداهة ، على الصباح والمساء ، لأنه قد صارت الينا كلمة الله « أن نصلى كل حين ولا نمل » ·

● ٢ ـ والواجب الثـانى هو واجبنا نحو الكنيسة :

ذلك أن الحيـاة المسـيحية ليست مسألة شخصية ممـا يتعلق بالفـرد ويرتبط به · فبمجرد أن يدخل فى دائرة أسرة الله ، فان الله لم يعد له وحده فقط ، وانمـا هو أب لكل مسيحى مؤمن فى العـالم · لأننا قد صرنا تحت لواء هذه « الاخوة » التى لنـا فى المسيح ، والتى صيرته أخا لنـا · ومن هنا جاء

ذلك الاسم الرائع الذى أطلقه العهد الجديد على كل المسيحيين حين أسماهم « الاخوة » ٠

ولكن هذه العضوية فى الكنيسة العامة لا تعد فى ذاتها كافية ، لأن هناك كنيستك المحلية ، وهى فى حاجة الىعضويتك لتسهم بنصيبك فى عبادتها، وفى شركتها ، وفى شهادتها للمسيح ٠ والمعمودية هى طريق الدخول الىهذه الكنيسة المنظورة ٠٠٠ حتى اذا ما اعتمدت وصرت عضوا فى جسدها ، صار لزاما عليك أن تواظب على اجتماعاتها ، وأن تتناول فيها مع سائر زملائك من الأسرار الالهية ٠٠ حتى اذا صدقت نيتك على أن تكون عضوا كاملا ، فان آفاقا جديدة ، فى ميدان « الاخوة » المسيحية سوف تتفتح لك ٠ فمنهمسيكون الأصدقاء ٠٠٠ ومنهم ستكون شريكة الحياة ٠٠٠ لأنها قطعا لن تكون الا مسيحية لأن الرسول يحذرنا فيقول : « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين » (٢ كو ٦ : ١٤) ٠

● ٣ ـ اما واجبنا الثالث فهو نحو العالم :

فالحياة المسيحية هى شركة عائلية يتمتع فيها الأبناء بشركتهم الحلوة مع أبويهم ومع بعضهم البعض ٠ وليس ذلك فقط ٠ بل ينبغى أن يتسع أفق حياتهم للاهتمام بالآخرين ٠ فما كان المسيحيون ـ وما يجمل بهم أن يكونوا ـ جماعة تحد اهتماماتها فى نطاق ما يتصل بذاتها ٠ واذن فاهتمام المسيحى يجب أن يتسع حتى يصل الى من يسميهم « الكتاب » « العالم » ٠

حقا قد تدعى لخدمة الانجيل هنا أو هناك ـ فى هذا الحقل أو ذاك ـ داخل الوطن أو خارجه ٠٠٠ فلا تتردد ٠ لأن العالم ما يزال مفتقرا الىالمزيد من الكرازة بالانجيل ، حيث ما يزال الملايين الذين لم يسمعوا عن الرب يسوع، وبالتالى ، لم يتعرفوا الى خلاصه العجيب ! ! ومما يدعو الى الأسف أن « الكنيسة » تغط فى نوم عميق من قرون ٠٠٠ وهذا الذى كانت تضطلع به فى القرون الأولى للمسيحية ، لم تعد تنشط له الآن ٠ أيقدر لجيلنا هذا أن يرى الكنيسة ، وقد هبت مستيقظة بعد طول رقاد ، لتربح العالم للرب ولمسيحه ؟ !٠

وبعد ، فانى أحب لك أن تعلم بأن الله قد يدعوك لعمل معين يريد لك أنت أن تضطلع به ٠٠٠ وعليك أن تكشف عن العمل الذى أعده لك ، وعنارادة الله ، وقصده ، لحياتك ٠٠٠ فتسلم وتخضع ٠٠ ومع ذلك ، ومن قبيل الاستدراك ، فانى أذكرك بأنه ليس ضروريا أن يكون كل مسيحى راعيا ، أو مرسلا ، ولكن الذى لا فكاك منه هو أن كل مسيحىمدعو لأن يشهد للمسيح ، وأن يربح لله النفوس ٠٠٠ يستوى فى ذلك أن تكون نفوس خاصته وأهل بيته ، أو أهل جيرته ، أو من تضمهم واياه المعاهد ، والملاعب ، والمصانع ، والمكاتب، من خلان وأقران ٠٠٠

وخير ما تربح به النفوس هو الصلاة :

على أن شهادتك للمسيح ـ مهما يكن أسلوبها ـ لن تثمر أو تنجح اذا تناقضت معها حياتك • بل لعله لا توجد شهادة أعمق فى النفس أثرا ، وأشد فى القلب تاثيرا ، من شهادة انسان غير المسيح حياته ، ففدت مجددة ، مخلصة، وممجدة (بأعمالها) ذاك الذى تشهد له ! •

هذه هى الامتيازات الثمينة ، وتلك هى المسئوليات الخطيرة التى يستمتع بها أولاد الله من جهة ، ويقع عليهم واجب الالتزام بها من جهة أخرى ••

انهم ـ وهذا فى جانب الامتيازات ـ قد ولدوا فى أسرة الله ، وتلذذوا بعلاقة أكيدة وطيدة بأبيهم ••• ثم هم ـ وهذا فى جانب المسئوليات ـ قد دربوا على التأمل الهادىء ، والقراءة فى « الكتاب » ، والصلاة ••• وبذل الذات فى ربح الآخرين ، سواء بالابتهالات والصلوات ، أو بالشهادة ، ممثلة فى سيرة طاهرة مستقيمة وفى سلوك عف أمين ••• فالناس اذ يرون منهم هذه « الأعمال الحسنة » لن يسعهم الا أن « يمجدوا أباهم الذى فى السموات » •

والمهم ، أن أبناء الله يسلمون فى يقين ، بأنهم ليسوا من هذا العالم •• وأنهم ، وان كانوا يضطلعون فيه بمسئوليات من نحو مجتمعهم ووطنهم كمواطنين صالحين ، الا أنهم ، مع ذلك ، غرباء ونزلاء ، وانهم فى موقف الانتظار للرحيل الى وطنهم الدائم فى السماء ••• وترتيبا على ذلك ، فانهم لم تعد تستهويهم المصالح الشخصية أو تحتويهم المطامع العالمية ، أو تفت فى عضدهم المضايقات التى يلقونها فى حياتهم اليومية ، أو تنال من ايمانهم أحزان وتجارب وضيقات هذه الحياة الزمنية ••• وحسبهم أن يهتفوا مع الرسول : « ان كنا نتألم معه ، لكى نتمجد معه أيضا » (رو ٨ : ١٧) •

ان المسيحى الحقيقى هو من يجعل عينيه نحو الأفق والى العلاء دائما ، فى رنو وتطلع الى مجىء الرب الثانى « فى مجد أبيه مع ملائكته » « ليجمع مختاريه من أقصاء الأرض الى اقصاء السموات » (مر ١٣ : ٢٧) •

« يقول الشاهد بهذا نعم • أنا اتى سريعا • آمين • تعال أيها الرب يسوع » •

نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين

(رؤ ٢٢ : ٢٠ ، ٢١)

\+ \+ \+

محتويات الكتاب

تصويب لبعض الأخطاء مما لا تغيب عن فطنة القارىء

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٨	١٥	قمم حيث	قمم من حيث
١٨	٢٦	اللاارادبين	اللاادريين
٢٠	٢٠	فحسب	فبحث
٣٢	١٦	والخطر	والخطير
٨٢	١٩	بقوله	يقوله
٨٤	٢٨	خدرها	فى خدرها
١٠٩	١٤	الاستمتاع	الاستماع
١٢١	١٣	عبيدا	عبيد
١٢٦	٥	أساسا أخذ	أساسا مجرد أخذ
١٣٥	١٩	بالتلاث	بالثلث
١٤١	١	يموت	نموت
١٤٨	١	المصارحة	المصالحة
١٥٦	١٤	والعلم	والتعليم
١٥٧	٧	اريح	اريج
١٥٨	١٤	الرذال	الرذائل
١٥٩	١٧	على	لى
١٥٩	١٥	عن	على
١٦٩	١٤	هذا	هذه

هـذا الكتاب الذى بين يديك ، قد قرأته الملايين قبلك ، وسوف تقرأه الملايين بعدك ، حيث ترجم الى ثلاث عشرة لغة ، وبذلك تيسر لهم ـ وفى لغاتهم الأصلية ـ الاطلاع عليـه ..

● وهذا الكتاب يبحث فى ماهية المسيحية ـ أصولها ـ وما تفردت به عن غيرها .

● وانه ليزودك بالاجابة عن هـذه الأسئلة : أيكون نجار النـاصرة هو ابن الله ؟ .. أيكون المسـيح « الله ظهر فى الجسـد » ؟ .. أيكون قد مات وقام ، وكانت قيامته حقيقة مقطوع بهـا ؟ ..

● ثم يأتى الكتاب بالأدلة القاطعة على القيامة بما لم يتيسر لكتاب قبله ـ فيما نعلم ـ أن يأتى به .

● ويتحدث بعد ذلك عن حاجتنا الى الخلاص ، والى المخلص الذى كان لنـا فى المسيح ، حيث فيه « صالح الله العـالم لنفسه » ، وجعل الذى لم يعرف خطية ، « خطية من أجلنـا ، لنصير بر الله فيه » ...

● ثم يعرض الكتاب بعد ذلك لمظاهر هذا الخلاص ، ويسألك عما عساه يكون موقفك منه ...

● فموقف المسيحى ينبغى أن يكون ايجابيا : يبدأ بقرار يتخذ ، وينتهى بعمل ينجز ..

● فمتى اختـار أن كون مسـيحيا ، فليحسب نفقة الاختيار ويحسن التقدير لمـا وراءه ..

● على أن هنـاك امتيـازات سـوف توهب له ، ومسئوليات سوف تلقى عليه سواء من نحو الله ـ أو نحو العـالم ..

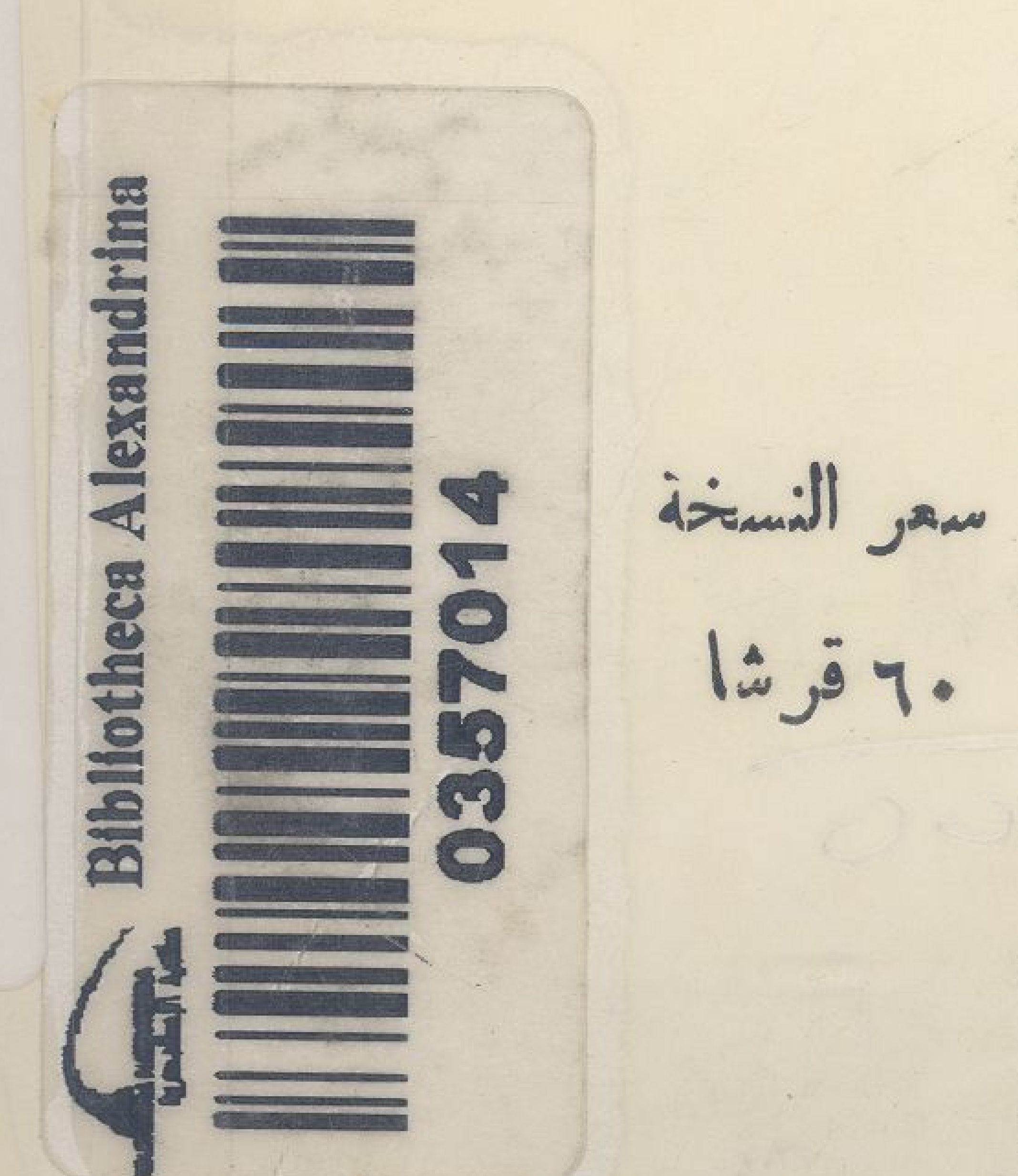
★★★

يطلب من :

* كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر

١٦ شارع غالى ـ ت : ٩٣٢٣٩٠

القـاهرة



سعر النسخة

٦٠ قرشا